

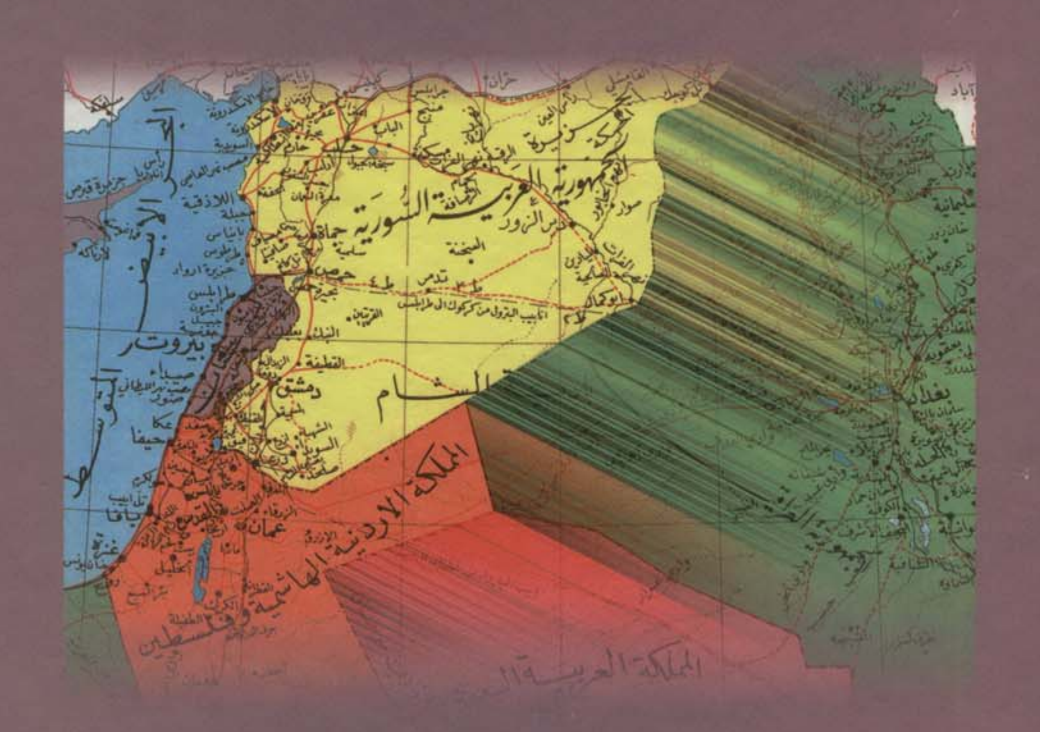
المؤامرة الكبرى على بلاد الشام «٢»

التيارات الفكرية والعقدية

في النصف الثاني من القرن العشرين

إعداد

محمد فاروق الخالدي







المؤامرة الكبرى على بلاد الشام

«٢»

التيارات الفكرية والعقدية

في النصف الثاني من القرن العشرين

إعداد

محمد فاروق الخالدي





الموضوع : تاريخ معاصر ـــ تيارات فكرية
العنوان : التيارات الفكرية العقدية في النصف الثاني من القرن العشرين في بلاد الشام
التأليف : محمد فاروق الخالدي
الصف التصويري : دار البيان ـــ القاهرة
تصميم الغلاف : رشاد برس
التنفيذ الطباعي : رشاد برس ـــ بيروت
عدد الصفحات : 488 صفحة
قياس الصفحة :17 x 24
عدد النسخ : 2000 نسخة

Email : samirm@sahara.com

الطبعة الأولى
1423 هـ ـــ 2002 م

الدراسات والمؤلفات التي نشرها الدار تعبر عن آراء الكتاب نفسهم ولا تعبر بالضرورة عن أي الدار.



ص.ب : ٥٢٠٢٦٧ ـ الرمز البريدي : ١١١٥٢ ـ الوحدات ـ عمان ـ الأردن
تطلب جميع منشوراتنا خارج الخليج العربي من دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان

طبعة خاصة بدار التوزيع والتسويق الدولية بالدمام
ص.ب : ٦٠٩٣ ـ الرمز البريدي : ٣١٥٤٥ ـ هاتف : ٨٣٦٠٤٦٣

(جميع المراسلات باسم دار التوزيع والتسويق الدولية بالدمام)
جوال : ٥٥٨٨٤١٦٢ (٠) ٠٠٩٦٦





المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وصلىٰ الله علىٰ سيد المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه الكرام الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وبعد:

فهذا هو الكتاب الثاني من سلسلة «المؤامرة الكبرىٰ علىٰ بلاد الشام».

تحدثنا في الكتاب الأول عن أبعاد تلك المؤامرة سياسياً، حيث مزقت بلاد الشام إلىٰ دويلات متناثرة، خلال فصول من الكيدِ والحقد والغدر.

وقد سَخَّرت قوات الشر الصليبية والصهيونية، جهلة المسلمين وغوغاء القوميين، لتحتل ديارهم، وتستعمر بلادهم وتستغل خيراتها.

● ويأتي هذا الكتاب ليتحدث عن بقية فصول المؤامرة، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، لكن اللاعبين هذه المرة هم تلامذة المستعمرين، الذين كانوا خلفاءهم في إكمال المسيرة الشوهاء، باسم الوطنية حيناً، أو التحديث والتجديد حيناً آخر.

لقد تمكن رواد حركة التغريب، وعملاء المستعمر الذي نزح عن ديار المسلمين، من مسخ هوية الأمة المسلمة والتنكر لتراثها ومقدساتها، وشن الحرب علىٰ مَنْ يتمسك بإسلامها وشريعة بارئها، خلال نصف قرن من الزمان.

نزح المستعمر وترك مَنْ أصبح هواه تبعاً لهوىٰ أسياده وتشرب أفكار المستعمر وأخلاقه، في دمه وفي أسرته وبيئته، حيث استمر العدو يحتل بلادنا، لمن رباهم علىٰ عينه، وسقاهم كؤوس المذلة والهوان.

● لقد كانت فصول المؤامرة هذه المرة فكرية عقيدته أطبقت علىٰ أمتنا، وتغلغلت في ديارنا، بهجمة مشبوهة، وأشكال مختلفة من التيارات الغازية علمانية أو قومية أو شيوعية.

لقد طغت العلمانية علىٰ مظاهر الحياة في بلاد الشام وبقية ديار المسلمين، فنحيت الشريعة الإسلامية، وساد الانحلال وأخلاق الأمم الضالة، ومُزّقت أواصر الأسرة، فتغيرت المفاهيم واضطربت المقاييس.

وقد تحمل وزر هذا التغيير أحزاب قومية علمانية أو يسارية اشتراكية، بقوة العساكر، ودبابات الانقلابيين.

لقد تغيرت المفاهيم، ضمن مسرحية مرعبة، أنستْ المواطنين وحشية فرنسا وأحقاد بريطانيا، خلال فترة الانتداب المشين.

●● رُفعت شعارات براقة، ودعي إلى أهداف ووعود خلابة، إلىٰ الوحدة والحرية والاشتراكية، وسقطت مصداقية هذا الثالوث، فكانت الفرقة والعبودية والفقر، تمثل الإحباط المرير...

● لقد أردنا من هذا البحث أن يكون دعوة صريحة صارخة لأبناء أمتنا،



حتىٰ يدركوا المخاطر التي تحيط بهم، والمخططات التي تحاك للإجهاز علىٰ مقدساتهم، والنيل من معتقداتهم...

أردنا أن نبرئ الذمة، فنكتب عن أبعاد هذه المؤامرة على ديارنا، كما عايشها جيلنا، واكتوىٰ بنيرانها أبناء جلدتنا...

أردنا أن يكتب تاريخنا ، الذي اعتاد الأعداء أن يكتبوه بتدليس مرّ وتزوير رخيص.

●● لقد تمادىٰ كثير ممن رُبّوا في كنف الغزو الفكري، وفي مدارسه التنصيرية، علىٰ مقدساتنا، فأعلنوا الإلحاد وصرحوا بمهاجمة ذات الإله وبشتم الكتاب والسنة، باسم الأدب والإبداع حيناً، أو التطور والتجديد حيناً آخر، مما سنوضح أبعاده في فصول هذا الكتاب، الذي جاء موزعاً علىٰ ستة أبواب كالتالي:

الباب الأول:

العلمانية في بلاد الشام.

وقد تحدثنا فيه عن نشأة العلمانية، والعوامل التي أدت إلىٰ تسربها، وهي نوعان:

عوامل داخلية كفكر الإرجاء والتصوف، وانحراف مفهوم العبادة، وضعف عقيدة الولاء والبراء.

وعوامل خارجية: كحركة الاستشراق ومساعي التبشير «التنصير» وتأثير المستعمر الخطير.



كما تحدثنا عن مظاهر العلمانية التي تمثلت بتحكيم القوانين الوضعية الكافرة، وشيوع الانحراف الخلقي، وانتشار السفور والاختلاط...

الباب الثاني:

خصص لبحث مخاطر الشيوعية في المنطقة العربية، وبيان أبرز مبادئها الكافرة، وقوة الصلة بينها وبين الصهيونية... حيث كان مؤسسو الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية من اليهود، وختمنا الباب بإيراد بعض الفتاوىٰ في كفر الشيوعية وإلحادها.

الباب الثالث:

بينا فيه دور الحركات القومية في النصف الثاني من القرن العشرين.

وكان من أبرزها: حزب البعث العربي الاشتراكي، وحركة القوميين العرب، والاتحاد الاشتراكي. وقد تبنت هذه الأحزاب: العلمانية المتطرفة، ورفعت شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية، ووعدت بتحريرفلسطين.

وقد فشلت في تحقيق أي شيء من وعودها، فأوصلت البلاد إلى الفرقة والعبودية والإرهاب، والفقر والبؤس والعذاب.

الباب الرابع:

خصص للحديث عن الحصاد المر للحلول المستوردة خلال نصف قرن..

تحدثنا عن النتائج المريرة التي وصلت بلاد الشام إليها في ظل العلمانية والأحزاب القومية والماركسية.

فقد نسخت الشريعة الإسلامية، وسقطت الشعارات الثورية، وتمزقت



أواصرالأسرة، وتوالت الانهزامات أمام إسرائيل، وبرزت الحلول الاستسلامية والقناعة بالتنازلات، واتفاقيات الذل والعار.

ثم كانت الجرأة على المقدسات، وإظهار الردة والإلحاد، شعراً ونثراً، في إصدارات تشجَّع.

الباب الخامس:

أدب الردة والتغريب.

تحدثنا فيه عن مظاهر التمرد والغموض والانحراف، في بعض المدارس الأدبية الحديثة أمثال:

الرابطة القلمية وجماعة أبوللو، وشعر الحداثة.. وخصصنا فصلاً لأصنام الحداثة في بلاد الشام أمثال: نزار القباني وأدونيس وآخرين، مع ذكر نماذج من أدب الجنس والتمرد على المقدسات والأنبياء وحتى الذات الإلهية.

وكان لشعراء اليسار الفلسطيني نصيب في إظهار الكفر الصريح والافتتان بالرموز الماركسية، والتنكر للتاريخ الإسلامي ورموزه، ومن هؤلاء: محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وآخرون.

ثم ختمنا الباب: ببيان معنى الردة وحكم المرتد في الإسلام، كما ذكره علماء المسلمين... وبيان مخاطر أدب الجنس في إفساد الأجيال الناشئة.

وقد ركزنا الحديث على الانحراف العقدي في أدب الردة لأنه ألصق بالبحث وبالتيارات الفكرية التي غزت بلادنا.



الباب السادس:

جماعة الأحباش

وقد بينا ظروف نشأتهم وبعض أساليبهم، وانحرافاتهم العقدية في التوحيد، والتطاول على عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، وتكفيرهم لعلماء المسلمين الثقات في القديم والحديث.

كما ألقينا الضوء على شذوذ زعيم الجماعة، في تتبع الفتاوى الرخيصةالمنحرفة كإسقاط الزكاة عن العملة الورقية، وإباحة النظر إلى المرأة الأجنبية، وإباحة الاختلاط بين الرجال والنساء، ونقلنا أقوال العلماء في فتنة الأحباش والحكم عليهم بالزيغ والضلال.

● هذا وأضرع إليه تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيبني عليه، ويجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما أضرع إليه تعالى، أن يسد هذا البحث حاجةً لأجيال أمتنا المؤمنة، وأن يجنبني الزلل والخطأ فيه، وذلك أقصى ما نرجوه ونسعى إليه.

●● اللهم أعنا وانصرنا ولا تخذلنا، وجنب أمتنا الفتن والمحن، ما ظهر منها وما بطن، اللهم ردنا إلى دينك رداً جميلاً.

ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حرر في: ٢٢/٧/١٤٢٢هـ، الموافق ٩/١٠/٢٠٠١م.



الباب الأول

العلمانية في بلاد الشام

الفصل الأول: النشأة والجذور

المبحث الأول:

التعريف بالعلمانية وملابسات نشأتها .

المبحث الثاني: العلمانية في بلاد الشام : النشأة والتاريخ .

١ - تسرب العلمانية في أواخر العهد العثماني .

٢ - العلمانية في عهد الانتداب الغربي .

٣ - استمرار التيار العلماني في عهد الاستقلال الوطني .

الفصل الثاني: أسباب تسرب العلمانية إلى ديار المسلمين .

المبحث الأول: أسباب داخلية تتمثل في انحراف الأمة عن منهج الإسلام القويم .

المبحث الثاني: أسباب خارجية ، تتمثل في الغزو الفكري والتخطيط اليهودي والصليبي .



الفصل الثالث: مظاهر العلمانية في الحياة الإسلامية.

١ - في الحكم والتشريع.

٢ - في التربية والتعليم والثقافة العامة.

٣ - في قضايا المرأة والأسرة.

٤ - في قضايا السلوك والأخلاق.

الفصل الأول

العلمانية النشأة والجذور

المبحث الأول

التعريف بالعلمانية وملابسات نشأتها

لفظ العلمانية، ترجمة خاطئة لكلمة « secularism » الإنجليزية وهي كلمة لا صلة لها بلفظ العلم ومشتقاته، بل هي ترجمة مضللة لأنها توحي بأن لها صلة بالعلم..

والترجمة الصحيحة للكلمة هي « اللادينية » أو « الدنيوية » وبمعنى أخص هي كل ما ليس له صلة بالدين، بل إن علاقتها بالدين هي علاقة تضاد.

والمدلول الصحيح للعلمانية، هو إقامة الحياة على غير الدين، سواء أكان ذلك بالنسبة للأمة أو الفرد[١].

● وقد ساد هذا المذهب في أوروبا، كردة فعل على تسلط الكنيسة ومبادئها المحرفة، فكانت هروباً من واقع غربي، إثر صراع دامٍ ومرير، بين الكنيسة والعلم، وكانت لها تطبيقات متنوعة في شؤون الحياة الأوربية: فهنالك الفصل

---

(١) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها: د. سفر الحوالي، ص ٢١، طبعة جامعة أم القرى/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م، الطبعة الأولى.



بين العلم والدين، أي علمانية العلم، وهناك علمانية الاقتصاد، وعلمانية الحكم، وهنالك علمانية الأدب والفن[1].

فالعلمانية وافد غريب على مجتمعاتنا لا مكان لها عندنا، لأنها نشأت حلاً لمعضلة واجهها المجتمع الغربي النصراني، ولم يكن أمامه من حل سوى اللجوء إليها، حيث بدأ العقل الغربي يتمرد على الكنيسة بعد أن قطع في الحركة العلمية والمجال التجريبي شوطاً بعيداً، وبعد أن صادرت الكنيسة العقل، وصادرت العلم، وصادرت حق الحياة بعد صراع مرير على السلطة مع الأمراء، وكان لذلك الصراع أثره في حياة المجتمعات الأوربية، حيث أخذت في البداية مفهوم فصل الدين عن الدولة، وانتهت إلى نبذ الدين جملة، ومحاربته حرباً لا هوادة فيها[2].

ثم تمادى التيار العلماني وانتهى إلى ما يسمى «بالإلحاد العلمي» الذي ساد أوروبا شرقاً وغرباً، وصارت العلمانية أخيراً تساوي الإلحاد، وتعني انفصال الدين جملة وتفصيلاً عن المجتمع وعن توجيه الحياة فيه[3].

وقد انتشرت بعض مظاهر العلمانية هذه في المجتمعات الإسلامية، بعد أن تخلت عن شريعتها السماوية، مما سنوضحه في الفصول القادمة.

فالعلمانية فكرة مستوردة لا يشك في ذلك أعداؤها ولا يماري فيه أحد من دعاتها، ومعنى ذلك أنها ليست من إنتاج المسلمين، فهي بضاعة مستوردة،

---

(١) المرجع السابق/ ص ١٤٥ وما بعدها.

(٢) مجلة البيان/ العدد (١٦١)، ندوة العلمانية والفن، (ص ٤٨)، (ص ٤٩).

(٣) المرجع السابق.



وعلينا أن ننظر إليها نظرتنا إلى أية بضاعة مستوردة، نحن في غنى عنها[1].

والعلمانية تعني بداهة الحكم بغير ما أنزل الله، وهذا هو معنى قيام الحياة على غير الدين، وهي «بداهة» نظام جاهلي، لا مكان لمعتقده في دائرة الإسلام، بل هو كافر بنص القرآن الكريم: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤][2].

إن الغلطة من الأصل، هي محاولة وضع الإسلام وتطبيقاته على ميزان التجربة الأوربية، واستخدام المصطلحات الغربية، ذات الدلالات المحلية البحتة، كأنها اصطلاحات عالمية تصلح للتطبيق على أي شي، وفي أي مكان، دون النظر إلى الفروق الجوهرية بين الاصطلاحات التي وضعها البشر في ظروف معينة، والمصطلحات التي أنزلها الله لتحكم حياة الناس[3].

لقد كانت تجربة أوربا مع «الدين» تجربة بئيسة إلى أقصى حد.. إذ كان الدين بالنسبة إليها ظلاماً وجهلاً واستبداداً وغلظة، وانصرافاً عن عمارة الأرض ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

وقد وقر في حس أوربا من خلال تجربتها الخاصة، أنّ هذا هو «الدين» ولذلك نفّرت منه، ثم هاجمته وأبعدته عن واقع الحياة، وحبسته في نطاق ضيق، في ضمائر الناس، إنْ بقي للناس ضمائر بعد أن أُبعدوا عن الدين[4].

ومهما يكن من أمر، فقد تحول الدين النصراني على يد الكنيسة وآبائها

---

(١) العلمانية د. سفر الحوالي/ ص ٦٤٧.

(٢) المرجع السابق: (ص ٦٨١).

(٣) العلمانيون والإسلام: الأستاذ محمد قطب/ ص ٥٩، طبعة دار الوطن عام/ ١٤١٤ هـ.

(٤) العلمانيون والإسلام: الأستاذ محمد قطب/ ص ٥٩.



ومفكريها إلى أغلال تفسد الحياة وتقعد بها عن النمو السوي، وتحولها إلى مستنقع آسن لا ينبض بالحياة، ولا يسمح للحياة أن تنبض فيه[1].

وكانت العلمانية، بما تشتمل عليه من إبعاد للدين وعزله عن النفوذ السياسي بصفة خاصة، ومن ثم تقرير حق الإلحاد والمنافحة عنه، وحق مهاجمة الدين ومفاهيمه لمن أراد ذلك...

كانت العلمانية بهذه الصفات، هي سبيل الخلاص في نظر أوربا، من ربقة ذلك الدين، الذي يمثل في حسها الظلام والأغلال، التي تسحق وجود الإنسان[2].

على أن العلمانية في ديار الغرب، استمرت في ترك المواطن يعبد ربه في الكنيسة، كما أطلقت له حرية الاعتقاد، أما العلمانية في ديار المسلمين فلها شأن آخر، فقد تحولت في تركيا الكمالية، والبلاد العربية الثورية، إلى أنظمة قمع وإرهاب، وأصبحت أقرب إلى الأساليب الفاشية والنازية، واستعباد الأنظمة الشيوعية لمواطنيها.

●●●

(١) المرجع السابق: (ص ٢٧).

(٢) المرجع السابق: (ص ٣٠).



المبحث الثاني

العلمانية في بلاد الشام: النشأة والتاريخ

لقد تسربت العلمانية إلى ديار المسلمين، وكانت لوناً من ألوان الغزو الفكري، فكر غربي، لم ينبت في أرض الإسلام، على كثرة ما نبت فيها من انحرافات خلال القرون المتطاولة، لقد تغلغلت العلمانية في بلاد المسلمين، بتأثير الثقافة الغربية، وبعد غلبة أوربا على العالم كله، وعلى العالم الإسلامي في عصر ضعفه وانحساره وتخاذله.

وكانت الهزيمة الروحية التي تسربت إلى النفوس، هي التي يسرت في نفوس المنهزمين تقبل هذا الفكر الغريب، الذي لا أصل له في دين الله، ولا يمكن أن يتقبل في دين الله.. .وإلا فقد كان المسلمون ـ أيام قوتهم ـ معتزين بدينهم، لا يقبلون تغييراً في أصوله[١].

(١)

ففي أواخر الدولة العثمانية:

كان الغزو الفكري (والعلمنة) قد بدأ يتغلغل في مؤسسات الدولة، عن

(١) العلمانيون والإسلام: الأستاذ محمد قطب/ ص ٤٢ -٤٣.



طريق ما سمي بالإصلاحات العسكرية والإدارية، أو عن طريق المدارس التنصيرية والبعثات العلمية والعسكرية إلى فرنسا خاصة وأوروبا عامة.

وقد عمل سلاطين الدولة العثمانية المتأخرون، على استيراد المبادئ والنظم من الغرب.

ومن أبرز هؤلاء: السلطان سليم الثالث، والسلطان محمود الثاني، وولده السلطان عبد المجيد.

وكان البادئ الحقيقي في ذلك هو السلطان «سليم الثالث» منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري، واستمر ذلك مدة سبعين سنة.

وقد فشل السلطان سليم الثالث في تحقيق ما يريد، إذ قتله الانكشارية عام ١٨٠٧م بعد عزله.

ثم جاء السلطان محمود الثاني، وكانت أمه فرنسية، ولذلك كان شغوفاً بحضارة أوربا وفرنسا خاصة، يهيم بتقليدها في كل شيء، ابتدأ حكمه عام ١٨٠٨م.

وقد تخلص من الجيش الانكشاري، وخلت له الأجواء في تغريب السلطنة، وتنحية الشريعة الإسلامية.

ولم يحقق السلطان محمود من وراء حركته طوال ثلاثين عاماً إلا أشياء تافهة، من التطلعات والأهداف الضئيلة، من ذلك إدخال الفرق الموسيقية إلى الجيوش، وإلباس عناصرها أزياء أوربية[1].

---

(١) ينظر الانحرافات العقدية والعلمية/ ص ٨٧٦ - ٨٨٣، والمؤامرة الكبرى على بلاد الشام، الجزء الأول/ ص ٤٥ - ٤٧.



يقول محمد رشيد رضا عن تلك الإصلاحات: «وأما رجال السياسة والإدارة فكانوا مفتونين بتقليد الإفرنج في معيشتهم وحريتهم وظواهر نظمهم، كانوا يقلدونهم فيما يسهل فيه التقليد.. كالأزياء والعادات، وشكل المدارس والدواوين، وقد ترجموا أكثر القوانين، فلم يقيموا منها شيئاً، أما العلوم والفنون والصناعات، وطرق الثروة والنظم المالية، فلم يتقنوا منها شيئاً»(١).

وقد مات السلطان محمود الثاني سنة ١٨٣٩م فخلفه ابنه «عبد المجيد»، وكان في السادسة عشرة من عمره، فتمادى في استحداث الوسائل التغريبية، وكان الذي تحمل وزر هذا التغريب وزيره «مصطفى رشيد باشا» الذي وجد في الغرب مثله الأعلى، وفي الماسونية فلسفته في الإصلاح، وتوصل إلى مرتبة «الصدر الأعظم» وهو الذي أعد الجيل التالي له من الوزراء ورجال الدولة، فأسهموا في دفع عجلة التغريب التي بدأها مصطفى رشيد باشا(٢).

ويعتبر السلطان عبد المجيد أول سلطان عثماني يضفي على حركة التغريب صفة رسمية، إذ أنه أمر بتبني الدولة لحركة التغريب التي بدأها والده وأكملها (رشيد باشا)، ثم أمر بإصدار فرماني التنظيمات عامي (١٨٤، ١٨٦م) وبهما بدأ في الدولة الثعمانية ما سمي «بعهد التنظيمات» وهو اصطلاح يعني تنظيم الدولة وفق المنهج الغربي، وبهذين (الفرمانين) تم استبعاد العمل بالشريعة الإسلامية وبدأت الدولة تستلهم الروح الغربية في الحياة، والفكر الغربي في

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام، جـ ١/ ٤١٥، مطبعة المنار، القاهرة، محمد رشيد رضا.

(٢) ينظر: الشرق الإسلامي في العصر الحديث: حسين مؤنس/ ص ٢٥٣، مطبعة حجازي بالقاهرة/ ١٩٣٨م، ومقدمة مذكرات السلطان عبد الحميد/ ص ٣، ترجمة وتعليق محمد حرب عبد الحميد/ دار الوثائق - الكويت.



التقنين وإقامة المؤسسات[1].

وعندما جاء دور كمال أتاتورك، ألغى الخلافة والسلطنة نهائياً، وحول تركيا إلى دولة علمانية معادية للإسلام، وصار قدوة للعلمانيين العرب، من حيث التنكيل بالمسلمين، وإبعاد الأمة عن هويتها وتراثها، لتصبح إمّعة تابعة، تقتفي أثر أعدائها.

وماذا جنت العلمانية على تركيا بلد الخلافة والتوسع الإسلامي في أوربا؟

لقد مر على قيام الدولة العثمانية التركية نحو (٧٧ عاماً) وقد تحولت العلمانية التي أسسها هذا الفاجر (كمال أتاتورك) إلى (أيديولوجية قمعية) أقرب إلى الأساليب الفاشية، والنازية والشيوعية.

فكل من تسول له نفسه الخروج على مبادئها، فإن مصيره إلى السجن والتنكيل بل والقتل.

ولم تستطع العلمانية أن تحقق الاطمئنان للمواطن التركي، لأنها مزقته بين تاريخه وإسلامه وحضارته، وبين هذه القيم الغريبة عنه، والمفروضة عليه، كما لم تحقق العلمانية لتركيا حلم الالتحاق بأوربا «المسيحية» إذ ما زالت أوربا تنظر إلى تركيا على أنها مسلمة، ولم تعبأ بتبني التغريب والحداثة من قبل أتاتورك الذي انسلخ من الإسلام نهائياً، ومِنْ قِبَلِ مَنْ جاء بعده حتى اليوم[2].

وقد اشتد تيار التغريب لدى كثير من المثقفين أتراكاً وعرباً، ونشط المبشرون

---

(١) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، علي بن بخيت الزهراني / ص ٨٩٠، دار الرسالة للنشر والتوزيع بمكة المكرمة / الطبعة الأولى.

(٢) مجلة البيان، العدد (١٦٠)، ص ٩٦، ذو الحجة / ١٤٢١ هـ.



في عاصمة الخلافة والمدن الشامية الكبرى، فكثرت المدارس الأجنبية، وأعمال الاستشراق، وجاءت طلائع الغزو الفكري بعد الاحتلال العسكري لبلاد الشام، وكانت متعددة الاتجاهات، عليها من البهجة والبريق ما يكفي لتضليل أمة مهزوزة منبهرة.

جاءت الاشتراكية والقومية والوطنية والديمقراطية، وغيرها من الشعارات، وسرت عدوى هذه الأوبئة سريان النار في الهشيم، وتربت على ذلك أجيال ممسوخة هزيلة، أخذت على عاتقها تعبيد أمتها، والإجهاز عل منابع الحياة الكامنة فيها[١].

كان للحركات القومية ـ عربية وتركية ـ أثر في غرس العلمانية على حساب الرابطة الإسلامية، وقد بدت طلائع الفكر العلماني تظهر في كتابات عدد من قادة تلك الحركات أمثال الشيخ عبد الحميد الزهراوي، وعبد الرحمن الكواكبي ولدى العديد من نصارى الشام... آل البستاني وآل اليازجي، وجورجي زيدان وأديب اسحاق ومجلاتهم مثل المقطم والهلال وغيرهما[٢].

كما كان للمحافل الماسونية دور كبير في نقل أفكار العلمانية، وكانت الترجمة من أهم طرق نقل الفكر الغربي إلى العالم الإسلامي[٣].

---

(١) ينظر: العلمانية للدكتور سفر الحوالي/ ص ٩، والمؤامرة الكبرى، الجزء الأول / ص ٤٣ – ٦٣.

(٢) ينظر: دور الحركات القومية عند العرب / ص١٤٩ وما بعدها، من كتاب المؤامرة الكبرى على بلاد الشام.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين، ص ١٢٩ – ١٣٠.



(٢)

العلمانية في مرحلة الانتداب الفرنسي ـ البريطاني:

بعد أن احتلت فرنسا وبريطانيا بلاد الشام، منذ مطلع القرن العشرين، نشطت الأفكار العلمانية في البلاد، ونفذ الغزاة خطتهم الخبيثة، لإبعاد هيمنة الإسلام على مجالات الحياة كلها.

وقد اشتد أوار النزعة القومية في عهد «فيصل بن الحسين» فلم نجد تنظيماً سياسياً يقوم على أساس التوجه الديني، في ذلك العهد، وكان الأمير الهاشمي يستغل كل مناسبة للتأكيد على التيار القومي العلماني «فالعرب هم عرب، قبل موسى وعيسى ومحمد»[١].

وكانت الرابطة القومية مقدمة لديه على رابطة الدين، وكذلك الجمعيات القومية، كانت تسير على هذا الطريق فاستغل النصارى هذا التيار وتغنوا به إلى حين.. حينما كان فيصل بن الحسين يرفع شعار الدين لله والوطن للجميع.

لكن نصارى لبنان غيروا مواقفهم لصالح المستعمر الفرنسي، بعد سقوط الحكومة العربية في دمشق، متناسين تقديم الملك فيصل بن الحسين لزعمائهم، ووضع ثقته بهم[٢].

وكانت النزعة القومية العلمانية سائدة أيضاً، في خطب الملك عبد الله بن الحسين، وفي منشوراته، قال في بيان للشعب الأردني: «لو كانت لي سبعون

---

(١) من خطاب للأمير فيصل في مدينة حلب، في ١١/١١/١٩١٨م.

(٢) ينظر: المؤامرة الكبرى، الجزء الأول، ففيه تفصيل حول هذه الموضوعات.



نفساً، وضحيتها كلها في سبيل القومية والوطن، لما رأيتني قمت بالواجب»[١].

وقد أمضى الحلفاء الغزاة ما يزيد على ربع القرن في بلاد الشام، فقطعوا أوصالها، واستغلوا خيراتها، وأفسدوا مناهج التعليم فيها، وربوا العلماء ليحكموا عنهم بالوكالة، واتخذوا قوانينهم الوضعية بدلاً من الشريعة الإسلامية، واستمر العملاء بعد جلاء سادتهم، يكملون المسيرة الشوهاء، وما زالوا ينفذون ما عجز عنه سادتهم[٢].

لقد كان توجه المستعمرين هؤلاء توجهاً حاقداً وغادراً في آن واحد..

فكانت أبرز شروط معاهدة لوزان للانسحاب من الأراضي التركية، هو إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاماً، وطرد الخليفة خارج البلاد، مع مصادرة أمواله وأملاكه، وإعلان علمانية الدولة.

ولم تنسحب بريطانيا من تركيا، حتى تحققت تلك الشروط كلها[٣].

وقد فرض المستعمرون دساتير وقوانين وضعية في بلاد الشام، ما تزال هي السائدة رغم خروج المحتلين الغزاة.

وقد كانت النزعة العلمانية اللادينية، تسود الدساتير الوضعية في سوريا ولبنان، وكان ذلك هدفاً من أهداف فرنسا الصليبية، بعد أن ألغيت مجلة

---

(١) الآثار الكاملة: للملك عبد الله الحسين، ص ١٦٨، الدار المتحدة للنشر – بيروت/ ١٩٧٩، الطبعة الثانية.

(٢) المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، محمد فاروق الخالدي/ ص ٣٣٠.

(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، علي حسون/ ص ٢٨٧، طبعة المكتب الإسلامي – بيروت ودمشق.



الأحكام العدلية، التي كانت سائدة في العالم العربي، أيام الدولة الثعمانية، وهي منبثقة عن الفقه الإسلامي.

●● وكذلك كانت بريطانية تطبق قوانيها في شرقي الأردن وفي فلسطين، حيث كان الوضع السيئ بسبب تعاون الانتداب البريطاني وتغلغل النفوذ الصهيوني لتغيير هوية المسلمين في ذلك القطر المنكوب(١).

● وقد تمكن المستعمرون من مسخ مناهج التعليم في المدارس، وحاربوا دروس الدين والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية، ومجدوا تاريخهم ولغتهم «فنشأ نتيجة للتربية الاستعمارية هذه، جيل مقطوع الصلة بدينه، مفتون بالغرب وتياراته الثقافية المختلفة، التي تتفق على شيء واحد هو تحللها من الالتزام بالدين الإسلامي الحنيف»(٢).

●● وقد حمل الغزاة معهم عاداتهم وتقاليدهم، وبثوها في المجتمعات رويداً رويداً، فأحدثوا فساداً كبيراً في قضايا المرأة، والتربية والتشريع، والسياسة والأخلاق.

(٣)

العلمانية خلال العهد الوطني:

لقد خرج المستعمر من بلاد الشام، وترك جيشاً من المثقفين، الذين رباهم على عينه في بيروت ودمشق ومدن فلسطين.

---

(١) ينظر تفصيلاً لذلك: المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، محمد فاروق الخالدي/ ص ٤٠٣، الباب الخامس، مرحلة الانتداب «ص ٣٢٧ وما بعدها».

(٢) العلمانية: د. سفر الحوالي/ ص ٥٤٢، ٥٩٦.



ترك عملاء رباهم على عينه، من أبناء البلاد، فحملوا آراءه وتوجهاته بإصرار عجيب.

فكانت الكتلة الوطنية، وكانت الأحزاب العلمانية، وكانت الانقلابات العسكرية، وقد تضافرت كلها على تبني العلمانية والترحيب بالتيارات اللادينية في مجالات الحياة كلها.

الكتلة الوطنية:

لقد كان معظم رجال الكتلة الوطنية، من أولئك المتعلمين، الذين خدموا في أجهزة الدولة العثمانية، وجلهم من المحامين وكبار العسكريين والإداريين، ومنهم تشكلت طلائع الحركات القومية، ومن ثم نشأت الكتلة الوطنية في عهد الانتداب الفرنسي بعد عام ١٩٢٠ م.

وقد حملت لواء الحرية والاستقلال، وتبنت استراتيجية مهادنة للمستعمر الفرنسي، استراتيجية «التعاون المشرف مع الفرنسيين» وكان قادتها من العائلات الإقطاعية الكبرى، وكان الميثاق الوطني الذين وضعته هو: «الدين لله والوطن للجميع، فكانت أشبه بحزب علماني على الطريقة الفرنسية، تضم عناصر من مختلف الطرائف، وكان معظم رجال الكتلة الوطنية ممن يحملون الأفكار الجديدة، متأثرين بالثقافات الغربية، كما كان شعار الثورة هو: «الجلاء والحرية والاستقلال والإخاء والمساواة، والدين لله والوطن للجميع» مما يوضح مدى تأثرهم بمبادئ الماسونية، ومبادئ العلمانية الغربية[١].

---

(١) النكبات والمغامرات: بشير فنصة، ص ٦٠ - ٦٣، وص ٦٨، دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق/ ١٩٩٦م.



● لقد كان كثير من الزعماء المسلمين في تلك الفترة، ممن يحارب الاستعمار، وهوعلى طريقتهم وتفكيرهم.

يقول الشيخ علي الطنطاوي «رحمه الله» في ذكرياته:

«لقد عرفت كثيراً من الزعماء المسلمين، الذين قاموا يحاربون الاستعمار والمستعمرين، ولكنهم يسلكون طريقتهم، ويفكرون تفكيرهم، ويعتادون عاداتهم، ولا يكاد جلهم يتمسك بما يدعو إليه الإسلام».

«فخبروني: كيف يحارب الاستعمار، مَنْ كان الاستعمار في رأسه؟! فأفكاره أفكار المستعمرين، والاستعمار في بيئته، وفي أسرته، فسلوكه في البيت سلوك المستعمرين؟! إذا كنت لا أستطيع أن أتحرر أنا منهم، فكيف أحرر بلادي من الاستعمار؟!»[١].

● وقامت تكتلات جديدة، علىٰ أسس طائفية وخاصة في لبنان، كما ظهرت تكتلات قومية عربية أو سورية «فينيقية»[٢].

أي بدأت النزعات الجاهلية والطائفية تظهر على؛ السطح بسبب ما زرعه رجال الاستعمار في الأهالي...

● «وقد تميزت هذه المرحلة بتطور المفاهيم السياسية، إذ كان التوجه نحو العلمانية سريعاً، وقويت النزعة العلمانية لدىٰ القيادات السياسية للبلاد، بحجة مخاطبة فرنسا وعصبة الأمم بلغة حديثة، واتضحت هذه النزعة لدىٰ عدد من المفكرين أمثال: «الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وزكي الأرسوزي، وأنطون

---

(١) ذكريات الطنطاوي: جـ ٥ / ص ٢١١، الحلقة/١٤٤.

(٢) ينظر: المؤامرة الكبرى/ ص ٤٠١ – ٤٠٣، وجريدة لسان الحال في ٢/ آب/ ١٩٣٣م.

سعادة، زعيم الحزب القومي السوري، وقادة حزب البعث العربي الاشتراكي «العفلق والبيطار والحوراني» في الأربعينيات من القرن العشرين، وكذلك قادة الكتلة الوطنية، وإن كانت تستخدم الدين وسيلة ضغط علىٰ سلطات الانتداب»[1].

● وكان هنالك بطبيعة الحال، تيار آخر يقاوم هذه التوجهات العلمانية، هو تيار المؤسسات الدينية، من معلمين ووعاظ وقضاة، فقد قاوموا السيطرة الأجنبية، ومخططات التغريب بكل قوة[2].

●● ولذلك فقد أفرز الاستعمار الغربي صراعاً فكرياً وعقدياً في الساحة الإسلامية، لازالت الأمة تعيش انعكاساته حتىٰ اليوم، فقد عمد المستعمر إلىٰ فرض النظام الفكري والحضاري الغربي، لملء الفراغ السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي نتج عن انهيار الخلافة الإسلامية، وقد أدىٰ ذلك في كثير من الأحيان إلىٰ ارتكاس في المفاهيم، وتضارب في المناهج، أبعد المسلمين عن الفكر الإسلامي المنظم لواقع الحياة، كما أدىٰ كذلك إلى؛ تبني الأحكام والتشريعات الغربية الوضعية، دون اعتبار لمناقضتها لأحكام الشريعة الإسلامية[3].

إن فصل الدين عن الدولة أمر يناقض الفطرة الإنسانية، إذ لا يمكن فصل عقيدة الإنسان ومشاعره عن ممارساته وتصرفاته بصورة دائمة.

وقبول تشريعات مستمدة من غير خالق، هو في الحقيقة عبودية لغير الخالق،

---

(١) الفكر السياسي المعاصر في سوريا: د. جورج جبور/ ص ٥١.

(٢) الشرق الأوسط الحديث، جـ ٣/ ١٢٨ – ١٢٩، ترجمة أسعد صقر.

(٣) ينظر: التشريع وسن القوانين في الدولة الإسلامية: د. محمد أحمد مفتي، ود. سامي صالح الوكيل/ ص (٧، ١٢، ١٤ – ١٥) دار النهضة الإسلامية/ ١٤١٣هـ.



وهو كفر صريح، ومحادة لله ولرسوله[١].

● **وكان من تركة الفرنسيين في البلاد تركيبة الجيش الوطني:**

فقد كان لذلك الجيش الناشئ دور كبير في الإسراع نحو العلمانية باسم التحديث والإصلاح، وسن القوانين المدنية.

كان هذا الجيش، قد شكل من بقايا الجيش المختلط الذي كان تحت إمرة القادة الفرنسيين مباشرة، وكان معظم ضباطه قد جندوا أيام فرنسا من الأقليات الدينية والعرقية، وتطويعها فيما بعد، ليصبح هو نواة القوات المسلحة في سوريا ولبنان.

وبهذه المواصفات، أصبح الجيش السوري الناشئ مطية سهلة للمغامرين من ضباطه، الذين زجوا به في خضم السياسة والنزاعات الحزبية والطائفية.

لقد كان جيشاً ناشئاً لم يكتمل تكوينه، ويعتبر إلى حد بعيد من بقايا الجيوش المرتزقة أيام الانتداب الفرنسي الغاشم[٢].

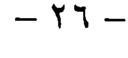
● وقد قام بعض ضباط الجيش بثلاثة انقلابات عسكرية متوالية، ما بين عام (١٩٤٩ - ١٩٥١م)، فهزت الحياة السياسية والاجتماعية في البلاد هزاً عنيفاً، وسببت القلق والاضطراب، وأراقت الدماء، وطبعت تاريخ سوريا بهذا الطابع بقية القرن العشرين...

لقد قام الانقلاب الأول بقيادة حسني الزعيم عام (١٩٤٩م وخلفه سامي الحناوي ثم أديب الشيشكلي..

---

(١) المرجع السابق.

(٢) النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص (٦٨ - ٦٩).





كان الزعيم يحلم بأنه سيحرر البلاد، وسيصبح كمصطفىٰ كمال أتاتورك؛ إذ كان معجباً به أشد الإعجاب، وكان علمانياً يكره التعصب المذهبي[1].

وكان الشيشكلي معجباً أشد الإعجاب بنابليون بونابرت، وتقلب ما بين الحزب القومي السوري، والأفكار القومية العربية.

● وفي عهد الانقلابيين هؤلاء، غُيرت دساتير البلاد وبصراحة تبنت العلمانية في قوانينها.

ففي عهد حسني الزعيم، صدر القانون المدني الجديد، وقد منحت المرأة حق التصويت، وألغي التفريق بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، كما شجع الزعيم السفور، واقتباس القوانين المدنية الحديثة، مما أحنق عليه المحافظين، فندد به الإخوان المسلمون، وبإصلاحاته العلمانية كذلك[2].

●● كما أعطيت المرأة في عهد الانقلاب الثاني «عهد سامي الحناوي»، حق التصويت في قانون الانتخابات الجديد.

وخلال فترة حكم الشيشكلي، تم إنجاز وضع دستور جديد، نشر عام/ ١٩٥٠م، وكان أبرز مبادئه، أن دين رئيس الدولة الإسلام، وأن الفقه الإسلامي، هو المصدر الرئيسي للتشريع، وحرية الاعتقاد مصونة، والدولة تحترم

---

(١) ينظر المرجع السابق/ ص ١٩٥، والانقلابات العسكرية: محمد أبو عزة ص (٢٠)، المنارة في دمشق وبيروت/ ١٩٩٨م.

(٢) النكبات والمغامرات: ص (١١٣، ١١٥، ١١٣، ١٤٠)، والصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص ٩٣، والهلال الخصيب: د. محمود حسن منسي/ ص ٢٣٢.



جميع الأديان السماوية[1].

● وهكذا توالىٰ الإرهاب العسكري «منذ الاستقلال» علىٰ يد قادة الانقلابات، فكان التخبط والفوضىٰ وبلاغات منع التجول، فكان الارتماء في أحضان عبد الناصر، ثم الانفصال، وتوالي الصراعات العسكرية.

● **وبعد بداية الاستقلال، قامت الأحزاب العلمانية:**

تنادي بتطبيق مبادئها.. مكملة مسيرة الحركات القومية أواخر العهد العثماني.

ـ فكان حزب البعث العربي الاشتراكي: الذي أسسه ميشيل عفلق وصلاح البيطار عام/ ١٩٤٧م، وهو حزب علماني، جعل العلمانية اللادينية مسلكاً له ومنهجاً، وكان من أبرز مبادئه: فصل الدين عن شؤون الحياة، وعن قضايا الحكم والسياسة[2].

ـ وقد سبق زكي الأرسوزي إلىٰ تأسيس «عصبة العمل القومي» عام/ ١٩٣٦م، فكان أول حزب في سورية، يقوم علىٰ أسس من المبادئ العلمانية والاشتراكية[3].

● وأُسِّس الحزب القومي السوري علىٰ يد «أنطون سعادة»، وكان حزباً فاشياً، هدفه الرئيسي تحقيق وحدة سورية الطبيعية مع قبرص، أسس بعد عام /

---

(١) النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ٢٢٢، وص ٢٨٠.

(٢) كتاب حزب البعث، تاريخه وعقائده: سعيد بن ناصر الغامدي/ ص ٩، ص ١٢، وص ١٤/ دار الوطن في الرياض/ ١٤١١هـ.

(٣) النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ٦٣.



١٩٤٧م.

● والحزب الشيوعي السوري، بدأ نشاطه عام/ ١٩٢٢م، معتمداً علىٰ الأقليات العرقية، تولىٰ زعامته: خالد بكداش عام/ ١٩٣٢م[١].

●● وكان لهذه الأحزاب دور بارز في توجيه الحياة السياسية والعقدية في البلاد، إضافة إلىٰ حركات قومية أخرىٰ، كحركة القوميين العرب، والاتحاد الاشتراكي، وسوف نتحدث عن هذه الحركات كلها في الأبواب القادمة بإذن الله[٢].

●●●

(١) الهلال الخصيب: د. محمود حسن منسي/ ص (٢٤٠ - ٢٤٢).

(٢) ينظر: البابان الثاني والثالث من هذا الكتاب.

الفصل الثاني

العوامل التي أدت إلى تسرب العلمانية في ديار المسلمين

المبحث الأول:

العوامل الداخلية:

تتمثل في انحراف الأمة عن منهج دينها القويم

١ - الفكر الإرجائي.

٢ - ضعف عقيدة الولاء والبراء.

٣ - انحراف مفهوم العبادة.

٤ - الآثار السلبية لظاهرة التصوف.

٥ - أسباب أخرى.

- التعصب المذهبي.
- إغلاق باب الاجتهاد.
- الجمود الفكري والضعف العلمي.

ـ مواقف العلماء السلبية .

المبحث الثاني:

العوامل الخارجية.

تتمثل في : الغزو الفكري والتخطيط اليهودي الصليبي

١ - الاستعمار المباشر .

٢ - الاستشراق ودور المستشرقين .

٣ - التنصير ودور المنصّرين «المبشرين» .

المبحث الأول

انحراف الأمة عن نهج دينها القويم

في العصور الأخيرة وخاصة في القرن الرابع عشر، باتت العقيدة الصحيحة غريبة بين خضم العقائد الباطلة، وركام البدع والخرافات والتصورات الفاسدة، فقد ابتعد الناس عن العقيدة السليمة، وذلك بفعل عوامل كثيرة أحدثت أثرها علىٰ مدىٰ قرون طويلة، فأصبحوا متعلقين بأغشية من الجهل والخرافة والسذاجة، علىٰ أنها ن صميم الدين، وكل ما خالفها فهو غريب مردود[١].

● فالعلمانية «فصل الدين عن الحياة»، تعتبر إحدىٰ الانحرافات الكبرىٰ التي أصابت الأمة الإسلامية، إذ أنها حملت في طياتها مجموعة من التشوهات والمفاسد التي مسّت أو تغلغلت في تصورات أفراد هذه الأمة وقيمهم.

ونحن لا نعدم في بواكير التراث الفكري الإسلامي بعض الجذور العميقة لتصورات ومفاهيم منحرفة عن الإسلام الصحيح، قد ساهمت إلى حد كبير في إخصاب الأرضية الفكرية التي قامت عليها العلمانية[٢].

من ذلك: الأثر الذي تركته الفلسفة اليونانية في تضخيم العقل لدىٰ المعتزلة

---

(١) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين: علي بن بخيت الزهراني – دار الرسالة للنشر والتوزيع بمكة المكرمة/ الطبعة الأولى/ ص ٢٠٣.

(٢) ينظر: مجلة البيان/ العدد (١٥٩) ص ٤٦ وما بعدها مقال: خالد أبو الفتوح.



ومن جاء بعدهم، ومن ذلك أثر الفكر الإرجائي الذي هز تصور كثير من المسلمين لحقيقة الإيمان.

- ومن تلك الانحرافات أثر التصوف علىٰ قطاعات كبيرة من المسلمين، في مفهوم العبادة والتربية السليمة.

- أضف إلىٰ ما تقدم ضعف عقيدة الولاء والبراء، مما أفسح المجال لتقبل العلمانية، وبهرج الحضارة الغربية.

- ولا ننسىٰ الأثر السلبي لإغلاق باب الاجتهاد، والجمود الفكري الذي ران علىٰ الأمة، منذ العهد العثماني، مما شكل قابلية للعلمانية، شبيهة بالقابلية للاستعمار[1].

- وكانت الهزيمة النفسية لدىٰ المسلمين، من أبرز العوامل التي ساعدت علىٰ انتشار الفكر العلماني، مما مكن الغرب بشقيه اليهودي والصليبي، من التوجه نحو غزو بلاد المسلمين عسكرياً وثقافياً، فجند قوافل المستشرقين والمنصّرين «المبشرين»، لنشر سموم الحضارة المسمومة واستغلال عدد من أبناء المسلمين في تلك الجهود المشبوهة.

- وسوف نتحدث في المبحث التالي عن أبرز هذه العوامل بإذن الله.

---

(١) ينظر: العلمانية للدكتور سفر الحوالي الصفحات «٥١٥، ٥٢١ وص ٥٣٧، ٥٥١».

(١)

الفكر الإرجائي:

يعتبر فكر المرجئة من أشد الانحرافات التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية، ولا تزال آثار هذا الفكر إلىٰ يومنا هذا.

فقد ابتدع المرجئة القول بخروج الأعمال من حقيقة الإيمان، وعليه بات يُكتفىٰ في الإيمان «بالتصديق والقول»، فكثرت الأعمال التي لا تنسب إلىٰ الإيمان، وإن كانت تشمل الحياة كلها.

● ولو كانت كلمة التوحيد مجرد لفظ فقط، لما لقي رسول الله ﷺ ما لقي من عنت في سبيلها، هو وأصحابه الأبرار، ولكنها كلمة قامت بها السماوات والأرض، وهي كلمة لها شروط ونواقض.

ولو فهم الصحابة والتابعون (رحمهم الله) ما فهمت المرجئة، لما قام الدين، ولما انتشر الإسلام، وبقي إلى هذا اليوم، ... ولما تغير مجرىٰ تاريخ البشرية بعد ظهور الإسلام»[١].

●● فعندما أخرج المرجئة العمل من مسمىٰ الإيمان، وأنه مجرد تصديق القلب، وأرجأوا ما يرتكب من فواحش وانحرافات إلىٰ الله؛ شجعوا بذلك علىٰ التفلت من التكاليف الشرعية، ولو عن غير قصد منهم ابتداء، ثم جاء زمن زعم فيه المرجئة أن «من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن، ولو لم يعمل عملاً واحداً من

---

(١) من مقدمة تحقيق كتاب السنة/ ص ٧١، د. محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم – الدمام، ط: أولى / ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.



أعمال الإسلام»[١].

●● وقد ربّت هذا الفكر على التسيّب والانحراف داخل المجتمعات الإسلامية، وأوجد له الفتاوى العريضة.

فشجع على الفسق والفجور، والتهاون في شأن العبادات، ما دام يحكم لهؤلاء بالإيمان لأنهم يقرون بقلوبهم أنهم مؤمنون[٢].

● **وقد كان للإرجاء آثار خطيرة على المجتمعات المعاصرة[٣].**

كان من أبرزها:

أ ـ اضطراب مفهوم لا إله إلا الله:

فقد اضطرب هذا المفهوم، وصار عند كثير من المسلمين لا يعني أكثر من لفظ مجرد باللسان؛ و يتناسى هؤلاء أن الشهادة ليست كلمة تقال، وإنما هي مفتاح هذا الدين، ولها مقتضياتها، والشهادة تعني أنه لا معبود إلا الله، ولا طاعة إلا لله، وإلا فهي عبادة الشيطان أو الطاغوت[٤].

«فلا تعبد إلا الله في عقيدة القلب، ولا تعبد إلا الله في شعائر التعبد، ولا تعبد إلا الله في التشريعات والتنظيمات التي تنظم علاقة البشر بعضهم ببعض...

هذا هو المعنى الحقيقي للشهادة، والذي كان القرآن في العهد المكي كله،

---

(١) بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة: محمد الناصر ص (٧٥ - ٧٦) - مكتبة السوادي بجدة/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) بدع الاعتقاد: محمد الناصر/ ص ٧٦.

(٣) ينظر بدع الاعتقاد/ ص ٧٧ - ٩٠.

(٤) المرجع السابق/ ص ٧٧.



يتنزل لترسيخه في القلب، واستمر الجهد في العهد المدني يعلم الناس أن هنالك إلهاً يجب أن يعبد كما أمر سبحانه وتعالىٰ»[١].

ب ـ انحسار مفهوم العبادة وانتقاص توحيد الألوهية:

ووقوع الأمة في الشرك الأكبر، حتىٰ أصبح المرجئة في عصرنا الحاضر، يجاهرون به بإنكار دخول الأعمال في العبادة...

وينحصر الشرك بزعمهم في اعتقاد القلب أن هذا المخلوق إله أو رب من دون الله مع اعتقاده أن ذلك لا يخرجه من الملة، فهو ليس بكافر[٢].

● ومن هنا فقد تفاقم الفسق والفجور بعد ذلك، بل لقد تفشت مظاهر الشرك في مجتمعاتنا الحديثة، وظهر شرك الاتباع والتشريع بغير ما أنزل الله حيث ألغيت المحاكم الشرعية في أكثر البلدان، وما بقي منها حُجّم دوره، ومن ثم شُيّدت المحاكم التي تحكم بقوانين وضعية ملفقة[٣].

● «من شرائع شتىٰ وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي والأمريكي والبريطاني... فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة»[٤].

---

(١) المرجع السابق/ ص ٧٧.

(٢) دراسات قرآنية: الأستاذ محمد قطب/ ص (٦١ – ٦٢) بتصرف.

(٣) بدع الاعتقاد وأخطارها/ ص (٨٠ – ٨١).

(٤) ينظر: رسالة تحكيم القوانين: للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمه الله/ ص ٦/ طبعة الرياض/ ١٤٠٣هـ.



ج - تأويلات المرجئة في قضية الحكم بغير ما أنزل الله:

تعتبر هذه القضية من أخطر القضايا في العصر الحديث، حيث نُحيت شريعة الله جهاراً نهاراً، ووجدت هذه القضية تأويلات فاسدة، من ضلالات المرجئة، وانحرافات التائهين، وراء ما يفد إليها من حثالات الأمم[1].

« ويرىٰ المرجئة: أننا إذا لم نطلع على استحلال لتحكيم شرع غير شرع الله، فأعمال الإنسان تعتبر عندها بحكم المعصية، حتىٰ ولو كان يصدر القوانين تلو القوانين، حتىٰ وهو يترصد للمطالبين بتطبيق الشريعة ويلاحقهم بصنوف الأذىٰ، حتىٰ وهو يظهر الموالاة الصريحة للكافر، ويلغي ما شرعه الله من الفوارق الجلية بين المؤمنين والكافرين من الرعية، ويرخص بإقامة أحزاب علمانية لا دينية، ويمنع قيام أحزاب ذات صفة دينية.

كل ذلك يعتبر من المعاصي - في نظر المرجئة - التي لا تخرج صاحبها من الإسلام، ما لم نطلع علىٰ ما في قلبه، فنعلم أنه يفضل شرعاً وحكماً غير شرع الله، علىٰ شرع الله وحكمه »[2].

وبذلك فقد ابتعدت الأمة عن تحكيم شرع الله، وهي لا تحس غضاضة من ذلك، ما دامت تقرّ أنّ شرع الله أفضل من شرع الطواغيت وكفىٰ!

---

(١) بدع الاعتقاد: محمد الناصر/ ص ٨٥.

(٢) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: د. سفر الحوالي/ رسالة دكتوارة/ جامعة أم القرى عام/ ١٤٠٥ هـ/ ص (٥٠١) بإيجاز.



د ـ الجرأة علىٰ دين الله سخرية واستهزاء: من قبل الملاحدة وذلك بعد أن مهد فكر المرجئة لهم الطريق، ما داموا لا يخشون عقاباً، ويجدون اللين والتهاون في فتاوىٰ المرجئة...

وقد انضم أكثر المثقين، إلىٰ الأحزاب العلمانية الكافرة، والمذاهب الأدبية المنحلة، بعد أن سقط حدّ الردة إلا من كتب الفقه الموروثة.

وها نحن نقرأ ونرىٰ عشرات الكتب وآلاف الصحف والمجلات، وهي تهاجم أصول الدين، وتسخر من قضايا التشريع واستقامة الأخلاق، بل إنها باتت تشجع الخنا والفجور، وتهزأ بالرسل والصحابة ورجال السلف الصالح[1].

* * *

«لقد كان لعقيدة الإرجاء آثار عميقة علىٰ مسيرة الأمة، بل هي أساس الضلال والتخبط (في هذا العصر) في مسائل التكفير، ومنها نشأ التوسع في استخدام: «شرط الاستحلال»، حتىٰ اشترط المرجئة ذلك في أعمال الكفر الصريحة، كإهانة المصحف، وسب الرسول ﷺ وإلغاء شريعة الله، فقالوا: لا يكفر فاعلها إلا إذا كان مستحلاً بقلبه!!»[2].

---

(١) ينظر: بدع الاعتقاد وأخطارها/ ص ٨٢ – ٨٤/ بإيجاز.

(٢) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي/ ص ٣٩١/ د. سفر الحوالي.

(٢)

ضعف عقيدة الولاء والبراء:

نعتبر عقيدة الولاء والبراء من أهم الأمور التي يجب على المسلم أن يعتقدها، ويسير في شؤون حياته وفقها، فيحبّ المؤمنين ويواليهم، ويبغض الكافرين ويعاديهم، إذ «أنه ليس في كتاب الله حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ـ أي الولاء والبراء ـ بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»[١].

● وعلىٰ الرغم من وضوح هذه العقيدة في القرآن والسنة، وفهم الأجيال الأولىٰ من المسلمين لمعناها، وتطبيقها في حياتهم تطبيقاً كاملاً إلا أنها أصيبت كباقي مجالات العقيدة الأخرىٰ بالانحراف، نتيجة للجهل الذريع الذي خيم علىٰ أغلب البلدان الإسلامية، ولغياب العلماء الربانيين الذين ينيرون للأمة دروبها، ويأخذون بزمامها إلىٰ الطريق المستقيم[٢].

●● ففي موالاة المشركين خطر علىٰ عقيدة المسلم، فقد كان الجيل الأول ينفر من موالاتهم، ويتقرب إلىٰ الله بهذا النفور.

أما موالاة المؤمنين ومحبتهم فهي من علامات الإيمان. قال تعالىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢][٣].

---

(١) من كلام الشيخ حمد بن عتيق (رحمه الله)، وانظر الولاء والبراء ص ١٣/ د. محمد بن سعيد القحطاني/ دار طيبة ـ الرياض/ ط ٢/ ١٤٠٤ هـ.

(٢) الانحرافات العقدية والعلمية: علي بن بخيت الزهراني/ ص ١٣٩.

(٣) سورة المجادلة/ الآية: ٢٢. وينظر: الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام/ محمد =

وقال عليه الصلاة والسلام: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله»[1].

«وعلىٰ المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين وعدم موالاتهم، وأخبر أن ذلك من شروط الإيمان، ونفىٰ الإيمان عمن يواد من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم»[2].

● إلا أن هذا لا يمنع من التسامح في المعاملة مع أهل الذمة وأهل الكتاب عموماً، لكن التحالف معهم والتناصر منهيّ عنه، ذلك أن الاعتداء علىٰ المسلمين واضح للعيان في هذا القرن، ولسنا بحاجة إلىٰ التذكير بما يصنع بالمسلمين في فلسطين والبوسنة وبقية المسلمين في البلقان، من تهديم المنازل علىٰ رؤوس أصحابها ثم جرفها وإخفاء معالمها، وها هي القبور الجماعية تكتشف يوماً بعد يوم، ثم يُطلب من المسلمين حسن المعاملة مع القتلة والمجرمين، ومعاداة إخوانهم المضطهدين تحت مسميات شتىٰ من الإرهاب والأصولية وما شابه ذلك[3].

● لو كانت عقيدة الولاء والبراء صحيحة هذه الأيام، لما كانت مواقف دول المسلمين علىٰ ما هي عليه من اضطراب وتبعية.

= الناصر وخولة درويش/ ص ١٢٩ - ١٣٠، الانحرافات العقدية والعلمية/ ص ١٤٥/ علي بخيت الزهراني.

(١) صحيح الجامع الصغير: ٢/٣٤٣، حديث ٢٥٣٦، وقال الألباني (رحمه الله): حديث حسن.

(٢) الجامع الفريد: للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده، وابن تيمية وابن القيم - رئاسة إدارة البحوث العلمية - السعودية/ ص ٢٨٤.

(٣) ينظر: الانحرافات العقدية والعلمية/ ص ١٣٢ - ١٤٠.



●● ومما ساعد على إضعاف هذه العقيدة، ما أصيب به المسلمون في عصورهم الأخيرة، من ضعف، جعل الحكام يصانعون الأعداء من الكافرين، ويتولونهم من دون المؤمنين، وخاصة خلال فترة الضعف والتقدم العسكري والعلمي، لدى أوربا، وإن كان لا يجوز لنا أبداً أن نبرّر لهؤلاء المنبهرين انبهارهم بواقع الكافرين[١]...

● وقد تعرضت عقيدة الولاء والبراء في عهد الضعف إلى انحرافين كبيرين هما:

١ - موقف المسلمين موقف المعتزل المحايد في وجه الحضارة الأوربية الغازية، وعدم الانتفاع بما فيها من تجارب، في مجالات الطبيعة والكيمياء والطب والهندسة، واستيراد كل ما ينفع[٢].

فازدادت عزلة المسلمين، مما مكن لدعاة التغريب من أبناء المسلمين، أن يجرّوا الأمة المنهكة بعيداً عن الخط الإسلامي، ويندفعوا بها نحو طرق العلمنة والتغريب، والتفرنج المقيت[٣].

٢ - الانحراف الثاني: ويتمثل في موالاة الكافرين واتباعهم، واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين.

لقد حدث هذا الانحراف الخطير عند فئة ممن كانوا يتولون أمور المسلمين، ويتربعون على مقاعد الحكم في ديارهم، فقد ولى هؤلاء الحكام وجوههم شطر

---

(١) ينظر: الانحرافات العقدية والعلمية/ ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية/ ص ١٢، أبو الحسن الندوي/ الطبعة الخامسة/ ١٤٠٥ هـ/ دار القلم - الكويت.

(٣) الانحرافات العقدية والعلمية/ ص ١٤٥، علي بخيت الزهراني.



أعداء أمتهم، وخرقوا هذا السياج المنيع الذي أقامته عقيدة الولاء والبراء، متحدّين بذلك شعوبهم المسلمة[١].

● على رأس هؤلاء السلطان العثماني «محمود الثاني» المتوفى عام/ ١٨٣٩م، إذ قام بحركة نسبت إلىٰ الإصلاح اتبع فيها السلطان سليم الثالث، وقد اعتمدت هذه الحركة علىٰ مسخ عقيدة الولاء والبراء، ومحاولة طمسها في النفوس، واستبدال الطابع الأوروبي بالإسلامي.

ويتجلىٰ هذا الاتجاه الخطير في قول السلطان نفسه: «إنني لا أريد أن يميز المسلمون، إلا في المسجد، والمسيحيون إلا في الكنيسة، واليهود إلا في المعبد، إني أريد ما دام الجميع يتوجهون نحوي بالتحية، أن يتمتعوا بالمساواة في الحقوق وبحمايتي الأبوية...».

ومن هنا نعمت المسيحية واليهودية وغيرهما في الدولة، آنذاك بحرية واسعة النطاق.

● وانتشرت في هذا العصر المدارس اليونانية الأرمنية والكاثوليكية انتشاراً واسعاً بفضل رعاية السلطان وتشجيعه[٢].

وبذلك فتح مجالاً وسعاً للتغريب والعلمانية، ثم سار علىٰ طريقه ولده السلطان عبد المجيد الذي أكمل ما بدأ والده، من التمادي في استحداث

---

(١) السابق / ص ١٤٦..

(٢) حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩)/ د. محمد عبد اللطيف البحراوي/ دار التراث في القاهرة، الطبعة الأولى/ ١٩٧٨م/ ص (٢٠٠، ٢١٤).



الوسائل التغريبية »[١] .

●● وكان محمد علي باشا رائداً للتغريب في العالم الإسلامي، وعلىٰ رأس من لجّوا في موالاة الكافرين، وممن أمعنوا في اتباعهم، وسار أولاده وأحفاده من بعده علىٰ نفس الطريقة، يتسابقون إلىٰ كسب ولاء الغرب وخطب وده[٢] .

● وقد سار الزعماء العسكريون وقادة الانقلابات في بلاد الشام على نفس الطريق، كانوا يتميزون بجنون العظمة، فاستغل الغربيون هذه الصفة، وسخروهم لخدمة أهدافهم « وليس من باب المصادفة أن الذين اختيروا للأدوار الكبرى في حرب الإسلام كانوا يتصفون بجنون العظمة، وقسوة القلب، من أمثال محمد علي باشا، وكمال أتاتورك، وجمال عبد الناصر، فجنون العظمة وقسوة القلب صفتان لازمتان لمثل هذا الدور العظيم »[٣] .

● وكان حسني الزعيم تواقاً للسلطة، مصاباً بجنون العظمة، وله كلمة مأثورة، كان يرددها في مجالسه الخاصة منذ طفولته وهي قوله :

« ليتني أحكم سوريا يوماً واحداً، ثم أُقتل في صباح اليوم التالي؟؟ » وقد حكم سوريا « ١٣٧ يوماً »، وفي اليوم الأخير من ولايته، استقرت في أماكن متعددة من جسمه « ١٧٦ رصاصة »[٤] .

وكذلك كان زعماء الانقلابات، كأديب الشيشكلي، ومَنْ حكم البلاد

---

(١) وقد تحدثنا عن ذلك في الفصل الأول : نشأة العلمانية أواخر الدولة العثمانية .

(٢) الانحرافات العقدية والعلمية : علي بن بخيت الزهراني / ص ١٨٧ .

(٣) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب / هامش صفحة / ٢٠٥ ، مؤسسة المدينة للصحافة – جدة .

(٤) صور وطرائف من تاريخ دمشق : هاني الخيّر / ص ٢٣٣ ، مؤسسة النوري للطباعة والنشر / دمشق .



بعده حتى نهاية القرن . . .

●● فعندما ضعف الولاء للإسلام، هزلت النفوس، وضاعت القيم، واضطربت الولاءات، وذلّ طلاب المناصب لأعداء الأمة . . ولا عزة إلا بعودة صادقة إلى المنبع الصافي إلى الكتاب والسنة، وتطبيق ما فيهما، والله ولي التوفيق .

(٣)

انحراف مفهوم العبادة[١] :

لقد ابتعد كثير من المسلمين عن المفهوم الصحيح للعبادة، مما جعلها تضمر في حس الأجيال المعاصرة، لتتحول إلى معنى باهت غريب عن الإسلام .

« لقد كان المفهوم الصحيح للعبادة في حس الأجيال الأولى، أن عبادة الله هي غاية الوجود الانساني كله، كما فهموا من قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » [الذاريات : ٥٦] إن هذه الآية كانت تمثل في حسهم معنى هائلاً جداً، وعميقاً جداً، وشاملاً لحياة المسلم كلها . .

« ومن ثم لم ينحصر مفهوم العبادة في حسهم في نطاق الشعائر التعبدية وحدها، كما انحصر في حس الأجيال المتأخرة، التي جاءت بفهم غريب عن الإسلام . . . »[٢] .

---

(١) ينظر : الانحرافات العقدية والعلمية / ص (٩٢ – ١١٠) .

(٢) مفاهيم ينبغي أن تصحح : الأستاذ محمد قطب، ص ١٧٤، دار الشروق القاهرة / الطبعة السابعة / ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .



● فالجيل الأول فهم معنى العبادة، على أنها تشمل الصلاة وبقية الشعائر، وتشمل معها كل الحياة، فهم لم يحصروها قط في معنى الشعائر التعبدية، بحيث تصبح اللحظات التي يقومون فيها بأداء الشعائر التعبدية، هي وحدها لحظات العبادة، وتكون بقية حياتهم «خارج العبادة؟!».

«إنما كان في حسهم، أن حياتهم كلها عبادة، وأن الشعائر إنما هي لحظات مركزة، يتزود الإنسان فيها بالطاقة الروحية، التي تعينه على أداء بقية العبادة المطلوبة منه...»[1].

● لقد أصبحت العبادة في القرون الأخيرة منحصرة في صورة الشعائر التعبدية، التي صارت تؤدى كعادة موروثة ليس لها من أثر في حياة ممارسيها، اللهم إلا ما تستغرقه من زمن لأدائها.

ثم تمّ عزل العبادة عن بقية شعائر الإسلام، كالجهاد مثلاً وأحكام المعاملات والعلاقات المالية، والجوانب الاجتماعية الأخرى[2].

●● وقد نتج عن هذا الانحسار الخطير في مفهوم العبادة، أن خرجت جميع الأعمال الأخرى عن دائرة العبادة، فخرج العمل السياسي بما يشتمل عليه من رقابة الأمة على أعمال الحاكم، والسهر على تطبيق الشريعة، وإجراء العدل في حياة الناس ... ثم كانت الطامة الكبرى في خروج الأخلاق من دائرة العبادة، فندر أن يتمسك الناس بالأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة والوفاء، وفشت الأخلاق السيئة، كالكذب والخيانة...[3]

---

(١) المرجع السابق/ ص ١٧٩، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: الانحرافات العقدية والعلمية/ ص (٩٧ - ٩٨).

(٣) مفاهيم ينبغي أن تصحح/ ص ٢١٤، والانحرافات العقدية والعلمية/ ص (١٠٢ - ١٠٣).



●● فالأمة لا تكتمل قوتها ولا يستقيم أمرها، إلا إذا رسخ مفهوم العبادة الشامل في تفكيرها وسلوكها، أما إذا انحصرت العبادة في مجال معين، فإن ذلك يضعفها عن القيام بما أوجبه الله عليها.

● فيوم كانت ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ عبادة، لم يجرؤ أحد على احتلال أرض المسلمين..

ويوم كان «طلب العلم فريضة» لم يكن هناك تخلف علمي، بل كانت الأمة المسلمة هي أمة العلم التي تعلمت أوربا في مدارسها وجامعاتها!..

ويوم كانت «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» عبادة، وكان ولي الأمر يستشعر أنه راع ومسؤول عن رعيته، لم يكن للفقراء في المجتمع الإسلامي قضية، لأن العلاج الرباني لمشكلة الفقر كان يطبق في المجتمع الإسلامي على أنه عبادة لله، وهكذا فإنه «لن يصلح آخر هذه الأمة، إلا بما صلح به أولها»[١].

● هكذا كان مفهوم العبادة، كان انطلاقة خالصة نحو الأداء الإيجابي لما يطلب من المسلم في حياته كلها فلم يعد بالإمكان أن يدخل في حسه أي فكر وافد دخيل...

وعندما ضمر هذا المعنى للعبادة في حس الأجيال المتأخرة، وعندما تغلغل الفكر الإرجائي في حياة تلك الأجيال، وحينما سادت النزعة الصوفية بسلبياتها على النفوس، عندها شاع المذهب العلماني، وهيمنت الشعارات المنحرفة على يد رجال التغريب من أبناء أمتنا، في كثير من الأقطار الإسلامية.

---

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح: الأستاذ محمد قطب/ ص ٢٤٩.



(٤)

الآثار السلبية لظاهرة التصوف[١] :

لقد كان لظهور الصوفية بانحرافاتها منذ القرن الرابع الهجري وتغلغل الانزواء والسلبية في كثير من طقوسها، أثر كبير في ابتعاد الأمة عن معالم دينها الصافي.

وازداد الأمر سوءاً أيام الدولة العثمانية، فصارت سطوة المشايخ والأولياء قوية، مع انتشار للبدع، وتقديس للأضرحة والمشاهد، والاعتماد عليها في جلب النفع، ودفع الضرر[٢].

● لقد سيطر الفكر الصوفي في القرون الأخيرة على العالم الإسلامي، لأن روح العصر كانت خاضعة لذلك الفكر، إذْ كان للأولياء مكانة عظيمة في عرف الناس، بل ربما سقطت عنهم التكاليف الشرعية في عرف الكثيرين آنذاك.

وكان الحكام يعفون الأولياء والمتصوفة من الضرائب في كثير من الأحيان – وخاصة في العهد العثماني – ويرون أن أخذها منهم من الكبائر[٣].

●● لقد طغت الصوفية على العالم الإسلامي، فجعلته ينام في سبات

---

(١) ينظر: بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة: محمد الناصر/ ص (٢٧١ – ٣١٥)، والانحرافات العقدية والعلمية: علي بن بخيت الزهراني/ ص (٤٣٥ – ٥٦٢).

(٢) ينظر: العلمانية، د. سفر الحوالي/ ص (٥١٥ – ٥٦٢).

(٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار: الشيخ عبد الرحمن الجبرتي/ ج٣/ ٣١٩، دار الفارس/ بيروت.



عميق، وخدرته إلى حد لا يفيق منه، فانشغل المسلمون بالأضرحة والقبور والشفاعة، ولازموا الزوايا والتكايا ورددوا أوراد المشايخ، وهم عاطلون عن العمل، وعن العلم الشرعي، فقد غسل المشايخ أدمغة أتباعهم، فصدقوا كل مستحيل، وآمنوا بما يقول الشيخ العتيد، فكانت تربيتهم للأتباع في الغالب، تربية ذليلة هزيلة.[1]

● ● ●

وكانت نظرة المتصوفة إلى الحياة تتسم بالمبالغة في التقشف ومدح العزلة والفقر: فقد مدحوا التعري، ومجدوا الجوع والتسول وكان الهدف الأسمى لهم، هو الوصول إلى الحضرة الإلهية - كما يزعمون - وكان الطريق إلى ذلك هو ما تمثل في نظرتهم إلى الحياة، من استهانة بها، وإعراض عن ملذاتها.

كما ذم المتصوفة الزواج، ومدحوا العزوبة على طريقة سلوك الرهبان عند النصارى[2].

● فقد تطرف المتصوفة في مفهوم التوكل على الله، وفهموه فهماً خاطئاً، فقطعوا الأخذ بالأسباب، وفسروا التوكل بغير معناه الشرعي، مخالفين بذلك الكتاب والسنة... بل ذموا التكسب، وذلك هو التواكل المذموم، الذي ينتج المتسكعين في الشوارع، الملازمين للتكايا والزوايا، كان من ثمرات هذا السلوك، أن تخلفت المجتمعات الإسلامية في القرون الأخيرة.[3]

---

(١) بدع الاعتقاد/ ص ٢٧٢/ محمد الناصر.

(٢) ينظر تفصيلاً لذلك: بدع الاعتقاد/ ص (٢٧٣ - ٢٧٩)، والانحرافات العقدية والعلمية/ ص (٤٥٦ - ٤٦٨).

(٣) بدع الاعتقاد/ ص (٣٠٢ - ٣٠٥).



●● كان زهد السلف الصالح زهداً إيجابياً، يدفع أصحابه إلى الجهاد والمواجهة، لا إلى الانحسار داخل النفس، لقد انصرف المتصوفة إلى الصلاة أو الصيام والذكر، وقالوا: هذه هي الأعمال المطلوبة للآخرة، أما أمور الدنيا فلا حاجة لنا إلى الخوض فيها، لأنها فتنة توقع في حبائل الشيطان.

وكانت النتيجة، بسبب هذا الفكر السلبي، إضافة إلى الفكر الإرجائي، الذي شجع على التفلت من التكاليف، أنْ وصل العالم الإسلامي إلى حالته الراهنة من الفقر والجهل والمرض.[1]

●●●

المتصوفة والجهاد في سبيل الله:

يعتبر موقفهم من الجهاد من أبرز مواقفهم السلبية، إذ أن التربية الصوفية، التي تعتمد على الدعة في التكايا والزوايا، مع سماع الأناشيد والأشعار، والاعتقاد بأن إرادة الله نافذة ولا مجال عندهم لدفع العدو بالجهاد..

كل ذلك أبعدهم عن الجهاد في سبيل الله، بل جعل أكثرهم يوالي الأعداء، أو ينزوي بعيداً عن أحداث الأمة ونكباتها.[2]

● والصوفية تهيء العامة لتحمل الظلم، والصبر غير المشروع، دون السعي إلى تنحية الظلم ونصرة المظلوم، ذلك أن الصوفية جبرية مرجئة، تربّت على أكتاف النائمين، فيستولي اليأس والقنوط على الحياة..

---

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح: الأستاذ محمد قطب/ ص (٣٢٣، ٣٢٨).

(٢) بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة/ ص ٣٠٧.



هذه النظرة السلبية كانت خير عون للمستعمر في ديار المسلمين، المستعمر الذي غذى الصوفية، وأنفق على مشاهدها وزواياها الكثير من أجل قتل الحيوية، وإماتة نفسية الجهاد عند المسلمين.[1]

● لقد أغرق الفكر الصوفي الناس بالتعلق في الخوارق والكرامات وعدم الأخذ بالأسباب في مقاومة المعتدين، حتى صارت قراءة أحاديث البخاري للبركة، ورفع النازلات، ودفع غوائل الحرب . . . .[2]

● ● ●

أسلوب التربية عند المتصوفة[3]:

للصوفيين عالمهم الخاص، فيه يهيمون ويسبحون، ويدربون مريدهم على بدعهم وأفكارهم، مع إلحاح على طاعتهم، بل وإلغاء للمنطق والعقل، لأن المتصوفة لا يجيزون الاعتراض على الشيخ، ويقولون: «من قال لأستاذه: لم؟ لا يفلح أبداً، لأن الشيخ في أهله كالنبي في أمته».[4]

● ومن أبرز مخاطر الصوفية في التربية، أنها فصلت بين الدين والدنيا، بين الآخرة والحياة الدنيا «فقد اتكأوا على الآيات التي وردت في ذم الدنيا، والأحاديث التي وردت في ذمها، واتكأوا على حال الزهاد وأفكارهم، واعتبروا

---

(١) أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية: خادم حسين إلهي بخش/ دار حراء للنشر/ الطبعة الأولى/ ص ٢٣٥.

(٢) بدع الاعتقاد/ ص ٣٠٩.

(٣) ينظر: المرجع السابق/ ص (٣١٣ – ٣١٥).

(٤) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي/ ص ١٩٧، دار الكتب الحديثة/ القاهرة/ ١٩٧٠م.



أنه لا سبيل إلى درء المعاصي، إلا باحتقار الدنيا وازدرائها . . . لكن هذا شيء واعتبار الدنيا والآخرة معسكرين متضادين شيء آخر» .[1]

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

● وقد وضع المتصوفة قواعد عامة لتربية مريديهم، وكلها تحوم حول الخضوع التام من المريد للشيخ، بحيث يتحول التلميذ المسكين إلى آلة جوفاء، تردد ما يقال لها بلا تفكير ولا شخصية مستقلة، ومن ثم أمروهم بلباس معين، ومشية معينة، وشيخ معين، وطريقة معينة» .[2]

ويؤكد السهروردي على هذه التربية الدليلة حيث يقول:

«وهكذا يكون أدب المريد مع الشيخ، أن يصبح مسلوب الاختيار، لا يتصرف في نفسه وماله، إلا بمراجعة الشيخ وأمره» .[3]

●● ومن آداب المريد مع شيخه، ألا يعترض عليه فيما فعله، ولو كان ظاهره حراماً .[4]

إن تربية الأتباع، وعمليات غسل الأدمغة، جعلت كثيراً من هؤلاء يسيرون كالقطعان البشرية، لا يفكرون فيما يقومون به، حتى لو خالف النصوص

---

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح: الأستاذ محمد قطب / ص ٣٠٦.

(٢) الصوفية: الأستاذ محمد العبدة، والأستاذ طارق عبد الحليم، ط١ / ص ٧٨ / ١٤٠٦ / دار الأرقم بالكويت.

(٣) عوارف المعارف: عبد القادر السهروردي / ص ٤٠٣، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت / ١٩٦٦م.

(٤) تنوير القلوب / ص ٥٢٨، نقلاً عن النقشبندية لعبد الرحمن دمشقية.



الشرعية[١]؛ ولذلك سهل اتخاذهم مطايا عند الأنظمة العلمانية، فنجدهم يقربونهم ويكرمونهم ويتخذون من مشايخهم بطانة سوء، تفتي وتبيح المحرمات وتحرم المباحات، أو تميت روح الجهاد، وتبرر تحكيم القوانين الوضعية بشكل أو بآخر.

● وقد ضخم المتصوفة دور مشايخهم وقدسوهم أحياء وأمواتاً واعتمدوا على الرؤى والمنامات، واستدلوا بأحاديث ضعيفة وأخرى موضوعة...

●● وعموماً فالمتصوفة ليسوا سواء في معتقداتهم. وأفكارهم، فمنهم المعتدل، ومنهم من جاهد بسيفه لنشر الدعوة، وكان منهم زهاد فقهاء يقفون عند النص الشرعي، وإن كان هؤلاء في الحقيقة زهاداً ألحقوا بالصوفية.

ومنهم أصحاب غلوّ قالوا بوحدة الوجود، وانحرفوا انحرافاً خطيراً عن جادة الصواب[٢].

●● وبسبب ما تقدم، شاعت البدع في المجتمعات المعاصرة، وهي متفاوتة في حرمتها، منها ما هو كفر صريح كالطواف بالقبور تقرباً لأصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، والاستغاثة بأصحابها، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور، ومنها ما هو معصية كبدعة الصيام قائماً في الشمس[٣].

وقد حوربت السنة لتحل محلها البدعة، ومعظم هؤلاء يعتمدون على تأليه العقل وتأويل السنة أو رفضها، ورد مقاصد الشارع، فهم يضخمون دور العقل،

---

(١) بدع الاعتقاد/ ص (٣١٦ - ٣١٧)، وفيها شواهد كثيرة على ذلك.

(٢) ينظر الحياة الدينية عند العرب: محمد الناصر وخولة درويش، ص (٤٩٥ - ٤٩٦) دار عالم الكتب/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) الاعتصام للإمام الشاطبي/ ج٢/ ٣٧ بإيجاز، مكتبة الرياض الحديثة/ الرياض.



وقد وقف العلماء للرد على هذه البدع قديماً وحديثاً.[1]

(٥)

عوامل أخرى لتسرب العلمانية إلى ديار المسلمين:

هنالك عوامل أخرى، إضافة إلى ما سبق، قد ساهمت في ضعف الأمة، وابتعادها عن مصادر قوتها، وفسح المجال لتغلغل تيارات العلمانية، وسموم الغزو الفكري، في جسم الأمة المسلمة.. وكان أبرزها:

- **العصبية للمذاهب الفقهية:**

فقد أضعفت شعور المسلمين بوحدتهم، وأوقعت فيما بينهم العداوات، مما شغلهم عن الأخطار المحدقة بهم... وصرف جمهورهم عن معالجة قضايا المسلمين الكبرى، السياسية منها والعقدية كالغزو الفكري وقضية فلسطين وكشمير وغيرهما[2].

وقد ساهم التعصب المذهبي في الحجر على العقول وتكبيل الأفهام، وتسبب في جمود العلوم، وبث العداء والانقسام، وكان له أعظم الأثر في تدهور الأمة، وما وصل إليه المسلمون من تأخر وتخلف[3].

---

(١) الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام/ ص (٤٨٢ - ٤٨٣).

(٢) المجتمع الإسلامي المعاصر: الأستاذ محمد المبارك - رحمه الله -، دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى/ ١٩٧١م/ ص ٩٠.

(٣) الانحرافات العقدية والعلمية ص(٧٠٩ - ٧١٠)، بإيجاز.



● **إغلاق باب الاجتهاد:**

ويعتبر هذا الموضوع من أبرز العوامل التي أدت إلى استيراد القوانين الوضعية من الغرب، منذ أواخر العهد العثماني، إذ أنّ «انحراف المسلمين وجهلهم بحقيقة دينهم، وسنّة الله في الحياة، وعجزهم عن مسايرة الأحداث، كانت المنفذ الرئيسي لتسرب العلمانية إلى الشرق المسلم»[1].

ففي إغلاق باب الاجتهاد حَجْرٌ على الكتاب والسنة، وتقليص للأحكام المستنبطة منهما.. وكانت الحاجة ملحة لفتح باب الاجتهاد بسبب تطور مظاهر الحياة منذ القرن الرابع، حيث أقفل باب الاجتهاد، وازدادت الحاجة منذ أواخر العهد العثماني، ولم يقدم العلماء الحلول البديلة، فاستغل رواد العلمانية الأوائل ذلك الأمر، وتقدموا بالبديل ممثلاً في التغريب والعلمانية[2].

● إن إغلاق دائرة الاجتهاد، تؤدي إلى أحد أمرين: إما أن تجمد الحياة وتتوقف عن النمو، أو أنْ تخرج على القوالب المصبوبة، وتبتعد عن ظل الشريعة وقد حدث هذان الأمران معاً، الواحد تلو الآخر... حصل الجمود أولاً، ثم الخروج بعد ذلك من دائرة الشريعة[3].

● ● وقد توقفت الحركة العقلية عند المسلمين، إزاء كل جديد، وكان أن مضى الناس من غير المسلمين قدماً مع تطور الحياة، يواجهون كل جديد، ويتعاملون معه، ووقف المسلمون حيث لا يبرحون مكانهم الذي كان عليه الآباء

---

(١) العلمانية: د. سفر الحوالي/ ص ٥١٥.

(٢) مجلة البيان: العدد (١٥٩)/ ص ٤٨.

(٣) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب/ ص ١٥٩ بتصرف يسير.



والأجداد منذ بضعة قرون.[1]

● الجمود الفكري والضعف العلمي:

لقد أدت الانحرافات الفكرية والعقدية، إلى تفشي الضعف في الأمة، في مختلف القضايا «مما جعل المسلمين يستسلمون لنوم طويل، فلم يوقظهم إلا هدير الحضارة الغربية، وهي تدك معاقلهم، وتقتحم حصونهم، وكانت المفاجأة المذهلة، التي زعزعت إيمان الأمة بدينها.

وفي لحظة الانبهار هذه، تسلل المبشرون والمستشرقون وأذنابهم لبث ما يريدون من سمومهم، باسم الحضارة الغربية، والتشكيك بالإسلام ومعطياته.[2]

● وقد كانت العزلة والجمود الفكري، من أسباب تسرب التيارات الغربية الوافدة فيما بعد.

يقول الأمير شكيب أرسلان: «ونحن مع الأسف نرى المسلمين اليوم أقل الأمم اعتناء بالعلوم، التي يكفل لهم إتقانها، الحيل الحربية، واختراع الآلات التي توفر دماءهم، وتصون دهماءهم، كالميكانيكا والطبيعيات والكيمياء...

ونرى جمهور علمائهم نافرين من هذه العلوم والفنون، وكأنها من عمل الشياطين...

لقد أهملنا علوم الدنيا، وحصرنا غايتنا في علوم الآخرة، غير ذاكرين أن الإسلام، إنما هو شرع الدنيا والآخرة، وأن مَنْ أهمل أحد الشقين فهو آثم، كما

(١) سد باب الاجتهاد وما ترتب عليه: عبد الكريم الخطيب/ ص ٤٤، دار الأصالة، الطبعة الأولى/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(٢) العلمانية: سفر الحوالي، ص ٥٢١، بتصرف يسير.



لو أهمل الشق الآخر» .[1]

● كان هذا التوجه قوياً في القرن الماضي، وكان موقف المسلمين من حضارة الغرب موقفاً مضطرباً .

« فالأشياء النافعة، اتجهوا إليها ولكن بجهد متقاعس متخاذل، متعثر الخطوات، أما الفساد فقد سارعوا إليه، واستوعبوه كله، وعبّوا منه عبّاً، كأنما هو الزاد، وأما النظم فقد سعوا إلى استيرادها وتقليدها، ضاربين صفحاً تماماً عما أنزل الله » .[2]

●● وقد أصبح العالم الإسلامي عالة على الغرب « متطفلاً على مائدته، حتى في اللغة العربية وآدابها وعلومها، وحتى في علوم الدين « كالتفسير والفقه والحديث »، وأصبح المستشرقون هم المرشدين الموجهين في البحث والتحقيق وفي الدراسة والتأليف، وصاروا هم المرجع والحجة في الأحكام والآراء الإسلامية، وفي النظريات العلمية والتاريخية » .[3]

●● لقد خضع العالم الإسلامي بسبب ذلك للنظام التعليمي في أوربا، وقبل ذلك النظام على علاّته، وتناسي أن أوربا تقطع أشواطاً بعيدة في التقدم العلمي والصناعي، وأخذ كل ما سوى ذلك، من وسائل الفساد والإفساد فتخلت الأمة المسلمة عن دورها الحضاري، وتهاونت في الأخذ بأسباب القوة والتقدم .

---

(١) الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، للأمير شكيب أرسلان، ص ١٩٣، بإيجاز، تعليق الشيخ محمد رشيد رضا .

(٢) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب/ ص ٣٤٤ .

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي ص ٢٩٣، دار القلم – الكويت / ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.



المواقف السلبية لكثير من العلماء:

ساهم بعض العلماء بسبب عزلتهم بهذاالتخلف، وانصرفوا إلى حلقات العلم والدرس فقط، ظانين أنهم قد أدوا ما عليهم من مهمة، وأخلوا أنفسهم من المسؤولية.

● يقول الشيخ مصطفى صبري رحمه الله: «والذين جردوا الدين في ديارنا عن السياسة، كانوا لا يرون الاشتغال بالسياسة لعلماء الدين، بحجة أنه لا ينبغي لهم وينقص من كرامتهم.. ثم يفعلون ما يشاؤون بدين الناس ودنياهم..

فالعلماء المعتزلون عن السياسة، كأنهم تواطؤوا مع كل الساسة، صالحهم وظالمهم، على أن يكون الأمر بأيديهم، ويكون لهم رواتب الإنعام والاحترام»[1].

● على أن للعلماء مكانة بارزة في الإسلام، لا تعد لها مكانة أخرى، فهم حملة الشريعة وورثة الأنبياء، والقائمة على فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. تلك كانت مهمة علماء الدين، عندما كان الدين حياً في النفوس.

وفي التاريخ نماذج كثيرة لعلماء أرضوا ربهم وأدوا الأمانة وجاهدوا وصبروا على ما أصابهم في سبيل الله[2].

● وفي عصرنا الحاضر وقف عدد من العلماء رواد الحركة الإسلامية يعلنون كلمة الحق، وكانوا وراء حركات الجهاد ضد المستعمر والصهيونية، وقد لاقوا أشد أنواع الابتلاء والاضطهاد.

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين، ج٢/ص٨٤.

(٢) الانحرافات العقدية والعلمية: علي بخيت الزهراني/ ص٩٣، ٦٢٤.



المبحث الثاني

الأسباب الخارجية لتغلغل العلمانية

الغزو الفكري والتخطيط اليهودي الصليبي:

كان التخطيط شرساً ومركزاً، لإخراج الأمة الإسلامية من دينها، وتعريتها من مقومات وجودها، وحملها كما يقول المستشرق (جب)، على العلمانية[١] .

● وقد سلك الغزو الفكري عدة وسائل للنفوذ من خلالها، ولكن أعظم وسيلتين اعتمد عليهما هما: مناهج التعليم، ووسائل الإعلام.

أما القضايا التي ركز عليهاالغزو الفكري أثناء هجومه فهي كثيرة، ولكن أهمها كانت قضية تنحية الشريعة الإسلامية وفصل الدين عن الدولة « العلمانية »، وقضية ما يسمى بتحرير المرأة، وقضية القومية والوطنية، وقضايا أخرى[٢] .

●● وكان إلغاء الخلافة، وتنحية الشريعة، نتيجة طبيعية ومتوقعة لتفاقم الانحرافات العقدية والعلمية، التي أتاحت المجال أمام غزوات الفكر الرامي إلى إلغاء الخلافة التي كانت على علاّتها لا تزال الرابطة الوحيدة بين المسلمين، وإلى

---

(١) العلمانة: د. سفر الحوالي/ ص٥٣٧ – ٥٣٨ .

(٢) الانحرافات العقدية والعلمية: للزهراني/ ص٨٧٢ .



تنحية الشريعة الإسلامية في كل بلد، وما كانت تحدث خطوة في ذلك المضمار التغريبي، إلا وتسبقها حملات الغزو الفكري لتمهد لها الطريق وتقودها دعايات التغريب والعلمنة[1] .

● وقد زرع الغرب في بلاد المسلمين الانحرافات والعلمانية باسم الحضارة، فجاء جيل غذي بلبان الغرب أسوأ غذاء، قد فتنتهم الحضارة الغربية المزدهرة، حينما عاشوا في البلاد الأوروبية أو نشأوا في مدارسها المنبثّة في أنحاء الشرق، واستمدوا مثلهم العليا في حياتهم من ثقافاتهم، التي لاتمت إلى الحضارة الإسلامية بسبب قريب أو بعيد .

فهم يعرفون عن تاريخ إنجلترا وفرنسا أضعاف ما يعرفون عن تاريخ المسلمين أو العرب . . وهم يعرفون أعلام الفكر الأوربي وشعراءه، ولايعرفون عن أعلام الحضارة الإسلامية والعربية إلا قليلاً، وهم بعد ذلك يعيشون في بيوتهم حياة تحاول أن تقلد في مظهرها الحياة الغربية[2] .

●● وقد انتظمت جيوش الغزو الفكري في ثلاثة أجنحة كبرى هي :

١ - قوى الاحتلال المباشر .

٢ - المستشرقون .

٣ - المبشرون « المنصّرون » .

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د . محمد محمد حسين، ج٢ /ص٩٧ .

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د . محمد محمد حسين، ج/ ٢٩، دار الرسالة بمكة المكرمة/ ط٩ /١٤١٣هـ .



(١)

الاستعمار المباشر[1] :

الذي سخر جبروته وطغيانه بسلخ الأمة المسلمة عن دينها، فقد تمّ في عهد ذلك الاستعمار إلغاء المحاكم الشرعية، وإحلال القوانين الوضعية محلها، فلا تكاد جيوش الاحتلال تضع أقدامها على أرض إسلامية، حتى تبادر بهذا العمل الإجرامي، لأنهم يدركون نتائجه . . .

وقد تم القضاء على التعليم الإسلامي والأوقاف الإسلامية على يد رجال الانتداب، فأسست المدارس التنصيرية في عواصم بلاد المسلمين، وسلمت فرنسا نصارى سوريا ولبنان الوظائف العليا، وأسست لهم جمعيات ومؤسسات عسكرية ومدنية موالية لفرنسا .

فعند إنشاء الجامعة السورية، عينت لها مديراً نصرانياً هو « قسطنطين زريق »، ونبشت العقائد الميتة للأقليات الدينية والعرقية .

كما اصطنعت لها عملاء من أبناء المسلمين، من ذوي النفوس المريضة . . وعندما رحل المستعمر، لم تكن حركات الجهاد التي جابهت المستعمرين هي التي تحكم البلاد، بل حكمت أحزاب وقوى مشبوهة، جنت على الأمة ما لم يجنه الأعداء السافرون[2] .

---

(١) العلمانية : د . سفر الحوالي، ص٥٣٧ – ٥٤٢ .

(٢) ينظر : الفصل الأول من هذا البحث، العلمانية تحت مظلة الانتداب الفرنسي والبريطاني .



التنصير والاستشراق:

كان التنصير والاستشراق وجهين لعملة واحدة، وما يزالان يسلكان في عدائهما وخططهما نفس الأساليب، إلا أن التنصير «التبشير» سلك طرق التعليم المدرسي في مراحله المختلفة، كما سلك سلك العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ودور الأيتام والملاجئ.

واستخدم دور النشر والمطابع والصحافة من أجل الوصول إلى غاياته.

أما الاستشراق فقد كان هو المصنع الذي يصْنع الشبهات والأكاذيب، وكانت مؤسسات التبشير هي التي تحمل تلك السموم إلى عقول الشباب وقلوبهم، عن طريق المناهج الدراسية.

واستمرت حملات التشكيك والتزوير، حتى خلفهم جيل من أبناء المسلمين، فُتن بحضارة الغرب، وتلقن هذه الأكاذيب في مدارسهم، أو عن طريق البعثات إلى ديارهم، أو الأخذ عن أساطين مستشرقيهم[١].

أمَّا الاستشراق فقد اعتمد أساليب البحث العلمي، والأكاديمي كما يزعم، فاستخدم المقال في المجلات العلمية، والتدريس في الجامعات، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة[٢].

---

(١) ينظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد الناصر/ ص٩٧.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: الدكتور محمد البهي/ ص٤١٧، الطبعة التاسعة، مكتبة وهبة بمصر، ١٩٨١م.



(٢)

لمحة عن مخططات التنصير وأهدافه:

بعد الفشل الذريع الذي واجهه المنصّرون في تحقيق هدفهم الأول، وهو إدخال المسلمين في النصرانية، اتجهوا نحو قطع صلة المسلمين بالله، وزعزعة إيمانهم بالله، وتوهين عقيدتهم، وقد جعل المبشرون فتح المدارس على الطريقة الغربية، من أبرز وسائلهم، إذ وضعوا الناشئين من أبناء المسلمين تحت تأثير التعليم النصراني، وكان هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما، قادة في أوطانهم[١].

● لقد كثرت المدارس التي أسسوها، والجامعات في عواصم ديار المسلمين: بيروت والقاهرة وإسلامبول، وتخرج من الجامعة الأمريكية وحدها عشرات من المفكرين والقادة والأدباء، وقلّ منهم مَنْ سلم من غائلتها، وكانت تلزم الطلاب الداخليين خاصة بحضور صلاة يوم الأحد في الكنيسة، وعلى حضور جميع الطلاب الصلوات في الكنيسة كل يوم[٢].

وقد رعى المستعمر هذه المدارس، واستمرت رعايتها بعد رحيله، وقد كفل الدستور العلماني في كثير من الدول الإسلامية البقاء والحرية لتلك المدارس والجامعات حتى اليوم[٣].

---

(١) المرجع السابق/ ص ١٧٩، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: الانحرافات العقدية والعلمية/ ص (٩٧ – ٩٨).

(٣) مفاهيم ينبغي أن تصحح/ ص ٢١٤، والانحرافات العقدية والعلمية/ ص (١٠٢ – ١٠٣).



واستغل المبشرون حالة الضعف الاقتصادي والسياسي في بعض ديار المسلمين، فأقاموا الملاجئ ودور الأيتام، وأنشأوا المستشفيات، ليهرع إليها آلاف المعوزين واليتامى والأرامل والمرضى، كل ينشد فيها حاجته[1].

قدموا معوناتهم الطبية والغذائية، تحت ستار المساعدات الإنسانية، وركزوا على إفساد المرأة المسلمة، ففتحوا المدارس والكليات للبنات في عواصم المسلمين.

كما شجعوا تحديد النسل، وسيطروا على وسائل التربية والإعلام، وتجسسوا على الحركات الإسلامية لصالح الدول المستعمرة.. واعتمدوا على نصارى العرب، فكانوا أول من دعا إلى العلمانية بشعارها الصريح، أو تحت أسماء أخرى... كالقومية والوطنية، واستخدموا لذلك الصحافة في كل من بيروت والقاهرة، واتخذت الأنظمة المعادية للإسلام من الأقليات النصرانية سنداً لها[2].

• • •

وكان للمبشرين أهداف محددة وخبيثة أبرزها[3]:

أ ـ تفتيت وحدة المسلمين:

يقول لورانس براون في كتابه «الإسلام والإرساليات»: إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية واحدة، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً.. وإذا

(١) الانحرافات العقدية والعلمية، ص٩٤٥، علي بخيت الزهراني.

(٢) ينظر العلمانية: د. سفر الحوالي/ ص٥٥١ – ٥٦٠.

(٣) ينظر العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: (ص٩٨ – ١٠٠) محمد الناصر.



بقوا متفرقين فسيظلون بلا قوة ولا تأثير»[1].

ب ـ التنفيس عن الروح الصليبية:

وعن الانهزامات التي مني فيها الصليبيون طوال قرنين من الزمن.

يقول اليسوعيون: «ألم نكن نحن ورثة الصليبيين؟! أو لم نرجع تحت راية الصليب، لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي، ولنعيد في ظل العلم الفرنسي، وباسم الكنيسة مملكة المسيح»[2].

ج ـ تشكيك المسلمين في عقيدتهم:

إذا لم يستطع المبشرون تنصير بعضهم، وإقناعهم أن حضارة الغرب المادية، هي حضارة السيد المسيح عليه السلام.

يقول زويمر: «إن الغاية التي نرمي إليها، هي إخراج المسلمين من الإسلام، ليكون أحدهم إمّا ملحداً، أو مضطرباً في دينه، وعندها لا يكون مسلماً، له عقيدة يدين بها، ولا يكون له من الإسلام إلا الإسم»[3][4].

ويقول أيضاً: «إنكم أعددتم نشئاً ـ في بلاد المسلمين ـ لا يعرفون الصلة بالله، ولا يريد أنْ يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي، لا

---

(١) في كتاب لورانس براون أصدره عام ١٩٤٤م نقلاً عن الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص ٤٢٣.

(٢) التبشير والاستعمار: الخالدي وفروخ، ص١٧، بيروت ١٩٦٤م.

(٣) الإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي، ص٧٢ دار الاعتصام القاهرة.

(٤) وزويمر هو رئيس مؤتمر القدس التبشيري مخاطباً المبشرين.



يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإنْ تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء»[1].

د ـ الهدف الرابع: علمانية الدولة:

والانتقاص من الثقافة الإسلامية، والغض من شخصيات هامة في التاريخ الإسلامي، والاهتمام بشخصيات أخرى منحرفة، كبشار بن برد والحلاج وأبي نواس، واهتموا بالدراسات الفلسفية والصوفية، أمثال فكر ابن عربي والسهروردي وآخرين[2].

● وكان من نتائج هذه الحملة المسعورة، حملة رجال التنصير والاستشراق، تربية جيل يحمل أفكار هؤلاء، من رجال الغزو الفكري، وقد استلموا المناصب القيادية في الفكر والسياسة في أنحاء العالم العربي والإسلامي.

●● «وما تزال مؤامرة التغريب من أخطر المؤامرات، التي واجهت الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجري، وما تزال آثارها ممتدة حتى اليوم»[3].

●● ذلك أنهم خططوا ليكون «تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها»[4].

---

(١) جذور البلاء: عبد الله التل، ص٢٧٥، بيروت ١٣٩٠هـ.

(٢) الإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي، ص٢٢٨.

(٣) الصحوة الإسلامية، الأستاذ أنور الجندي، ص١٤٣، دار الاعتصام، القاهرة.

(٤) الغارة على العالم الإسلامي، ص٨٠، الدار السعودية للنشر بجدة.



(٣)

الاستشراق[١] :

يرى كثيرون أن الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين هما الاستعمار والتبشير، وأنه ما زال يعمل من أجل هذا الغرض الذي وجد من أجله، وأنه قد غيّر جلده وأساليبه مرات ليتلاءم مع الظروف المختلفة[٢] .

وعندما فُضح أمر المنصّرين، وساءت سمعتهم في ديار المسلمين تحول كثير من القساوسة والحاخامات إلى دائرة الاستشراق، يتظاهرون بالموضوعية العلمية، والبحث النزيه! .

وأنى لهم ذلك وها هي تصريحاتهم تنبئ عن أحقادهم، من ذلك ما كتبه المستشرق الفرنسي «كليمون» في كتابه «باثولوجيا الإسلام» يقول فيه: «إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض مريع وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمور، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي، يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي» .

---

(١) ينظر: العصرانيون ص١٠٤ - ١٢٠ .

(٢) الإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي ص٢٦٥ .

● **وتتسم بحوث المستشرقين عموماً بالظواهر التالية[1] :**

١ – سوء الظن بكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده .

٢ – سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم .

٣ – تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان، تحريفاً مقصوداً، وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف .

● بهذه الروح بحث المستشرقون في كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين، من تاريخ وفقه، وتفسيروأدب، وقد صبغوا بحوثهم بصبغة علمية ـ فيما يبدو ـ وكان من أثر ذلك، أن أصبحت كتبهم وبحوثهم مرجعاً للمثقفين منا ثقافة غربية، وجرى الملمون بلغات أجنبية وراء المستشرقين، ينقلونها كما هي، ومنهم من يفاخر بأخذها عنهم، ومنهم مَنْ يلبسها ثوباً إسلامياً جديداً وقد رأيت من صنيع الأستاذ أحمد أمين في « فجر الإسلام » مثلاً لتلاميذ مدرسة المستشرقين، وكذلك رأيت من صنع أبي ريّة في كتابه : « أضواء على السنة المحمدية »[2] .

●● **وقد استغل الاستعمار المستشرقين، لتقديم الاستشارات الفنية** والبحوث العلمية والأمنية والدبلوماسية والتجارية، وعمل كثير منهم في شؤون الخارجية لبلادهم، وفي دوائر المخابرات لدى دوائر المستعمرين، وكان كثير من شيوخهم من خريجي كليات اللاهوت يهوداً أو نصارى .

●● وقد تحدث الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ في كتابه السنة

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : د . مصطفى السباعي، ص١٨٨ – ١٨٩، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : د . مصطفى السباعي ص١٨٩ .



ومكانتها في اتلشريع الإسلامي، عن عدد من هؤلاء المستشرقين الذين اجتمع بهم خلال زياراته لجامعات أوروبا عام ١٩٥٦م[١].

وخرج بعد لقائه بعدد من المستشرقين بالحقائق التالية:

أ ـ إن المستشرقين في جمهورهم، لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً، أو يهودياً، وقد يشذ عن ذلك أفراد...

ب ـ الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة[٢].

● **أما أساليبهم ومخططاتهم في حرب الإسلام[٣]:**

فتتلخص بأنهم كانوا هم أدمغة الحملات الصليبية الحديثة، وشياطين الغزو الثقافي للعالم الإسلامي، وقد تلخصت جهودهم في:

ـ الطعن في حقيقة الإسلام وحقيقة القرآن والنبوة.

ـ القول بأن القرآن قد استنفذ أغراضه...

ـ أنه طقوس وشعائر روحية لا دخل له في أمور الحكم والحياة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي...

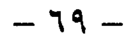
ـ القول بأن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني، والادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع الحضارة، واتهموا الفقه بالجمود، ودعوا إلى

---

(١) المرجع السابق، ص١٢ – ١٧.

(٢) السابق، ص١٦.

(٣) ينظر: العلمانية للحوالي، ص٥٤٣ – ٥٥٠، والعصرانيون ١٠٩ – ١٢٠.





تجديده، وتجديد أصوله . . كل ذلك لفصل الدين عن الحياة .

ـ أثاروا في كتبهم وأبحاثهم ما سمي «بقضية تحرير المرأة» .

ـ اهتموا بتشويه تاريخ المسلمين، وبعث الحركات الهدامة والطوائف الضالة، وتضخيم دورها، مع نبش الحضارات القديمة ـ الوثنية ـ وإحياء معارفها .

فحاولوا إحياء الآثار الفرعونية بمصر، وفي بلاد الشام سعوا جاهدين إلى ربط المسلمين بالحضارات الوثنية : فينيقيين وآراميين عن طريق الحفريات الأثرية .وذلك لتلوين الحياة المحلية في كل بلد إسلامي بلون خاص، يستند إلى أصوله الجاهلية الأولى .

ـ وكثرت مطاعن المستشرقين في السنة النبوية، والحديث النبوي، والسيرة المحمدية، كما طعنوا في رواة الحديث من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين الثقات .

●●●

الفصل الثالث

مظاهر العلمانية في حياة المسلمين

١ - في الحكم والتشريع.

٢ - في التربية والتعليم.

٣ - في قضايا المرأة والأسرة.

٤ - في قضايا السلوك والأخلاق.

مظاهر العلمانية
وآثارها في حياة المسلمين

تمهيد:

كان للعلمانية آثار خطيرة على المجتمعات الإسلامية، فقد نحيت الشريعة وجيء بقوانين وضعية كافرة، منذ عهد كمال أتاتورك، وعهد المستعمرين، وسار على ذلك الطريق أكثر قادة الأقطار العربية، بعد رحيل المستعمرين.

● وكان للعلمانية شرورها الوافدة، على حياة المسلمين الثقافية والسلوكية، فحُطمت القيم الإسلامية، ومُزقت أواصر الأسرة إلا من رحم ربك...

●● أخذنا السلبيات عن العلمانية الغربية، وطبقناها (متناسين ظروف أولئك القوم) في حياتنا دون تعقل..

«ذلك أن علمانية الغرب حررت الإنسان الغربي من سيطرة الكنيسة والإقطاع، حررته من سيطرة الخرافة والدجل والظلم، ورافق ذلك بزوغ التقدم الصناعي والثورة العلمية، فكان من نتائج النهج العلماني الجديد:

- التقدم العلمي الهائل، بعد أن تحرر العقل الغربي من سيطرة الأساطير والخرافات الدينية والعلمية»[1].

«وكان الرخاء الاقتصادي الواسع، الذي تعيشه تلك الشعوب، وكان

---

(١) مجلة البيان، د. عوض محمد القرني، العدد (١٥٩) ذو القعدة ١٤٢١هـ، ص٣٩.



الاستقرار السياسي، وتنظيم العلاقة بين الشعوب وحكامها، فأصبحت السيادة للقانون، وتوفير ضمانات للحريات السياسية، مع الأخذ بالاعتبار، أن المفاهيم الغربية هذه ليست هي المفاهيم الصحيحة، بسبب منطلقاتها الإلحادية والإباحية»[١].

● ورغم ما تقدم، فالحضارة الغربية، عاشت ثلاثة قرون في ظل العلمانية، والإنسان الغربي يعيش مأزقاً نفسياً روحياً، وفكرياً وجودياً، أشد عمقاً وتأزماً من مأزقه حين بشرت العلمانية بحل معضلته، على الرغم من التقدم المادي والرفاه المعيشي[٢].

وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

●● أما تطبيق العلمانية في ديار المسلمين فلها شأن آخر، كانت العلمانية في بلادنا تعني:

ـ فصل الدين عن الدولة، ومنع التعبير عن حرية الاعتقاد ومتابعة المسلمين لمنع حرية العبادة في كثير من الأقطار تحت الحكم الثوري التليد؟!

ـ وصارت العلمانية تعني الإرهاب، والسجون والدكتاتورية، تسلط على رقاب العباد، مع بدعة استمرار قوانين الطوارئ عشرات السنين، باسم المصلحة العامة، أو محاربة الأصولية، والدفاع عن الدساتير الوضعية الكافرة.

ـ وأصبحت العلمانية تعني تحكم الحزب الواحد، أو الطاغوت الواحد، أما

---

(١) المرجع السابق، ونفس الصفحة.

(٢) المرجع السابق ص٤٠، عوض القرني.



الدستور، فله ألف تفسير وتفسير... وعلى رأس ذلك الدفاع عن الجاهليات الوثنية، والعقائد اليسارية، منذ أيام الفجور الكمالي وحتى اليوم.. وفيما يلي سنتعرض لأبرز آثار العلمانية ومخاطرها في بلادنا.

١ - مظاهر العلمانية في الحكم والتشريع:

كان المسلمون خلال ثلاثة عشر قرناً يرجعون إلى مصادر التشريع عندهم: من كتاب وسنة وإجماع وقياس.

«وخلال هذه القرون لم يدر في خلد هذه الأمة قط، أن المسلم يمكن أن يتحاكم إلى شريعة غير شريعة الله، أو أنه يظل مسلماً إذا تحاكم عالماً راضياً إلى شريعة غير شريعة الله»[١].

● ومن أكبرالبلايا والمحن التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في هذا العصر تحاكمها وحكمها بالأنظمة الوضعية، التي تناقض الإسلام، وتعمل على إبعاده وإقصائه عن كل جوانب الحياة المؤثرة..

وهذه الظاهرة، هي ثمرة خبيثة للاستعمار الصليبي، وللغزو الفكري الذي كان مصاحباً للاستعمار، ومن الغريب حقاً أن يستمر المسلمون يتحاكمون بتلك القوانين الكافرة حتى بعد الاستقلال»[٢].

●● لقد بدأت اللوائح والقوانين الغربية، تتسرب إلى ديار المسلمين حتى

---

(١) لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة: الأستاذ محمد قطب، ص٦٨، طبعة دار الوطن بالرياض ١٤١٣هـ.

(٢) ظاهرة التكفير: للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد، ص١٢٤، مكتبة دار المطبوعات الحديثة في جدة/١٤١٢هـ.



نحيت الشريعة ليحل محلها قوانين وضعية كافرة، على يد المجرم (كمال أتاتورك) بعد إسقاط الخلافة، وإلغاء مجلة الأحكام العدلية، ومن ثم سارت الأقطار الإسلامية في مصر وبلاد الشام على نفس الوتيرة.

وماذا جنت هذه الأقطار بعد تعميم القوانين الوضعية منذ مطلع القرن العشرين إلا الشر والتخلف والدمار؟!

● آثار تطبيق القوانين الوضعية في ديار المسلمين:

لقد تنكر كثير من أبناء المسلمين إلى شريعتهم، وأسست كليات لتدريس القوانين الوضعية في الجامعات، وفتحت المحاكم لتقضي بين المسلمين حسب هذه القوانين الكافرة، إلا بعض المحاكم التي تقضي في الأحوال الشخصية من زواج وطلاق.

فما الذي جناه المسلمون من هذه الردة المركزة؟!

- لقد كثرت الانحرافات السلوكية، وطغى الجشع المادي في غيبة التشريع الإلهي، وما الجرائم المنتشرة وجنوح الأحداث إلا نتيجة طبيعية لبعد الناس عن تحكيم شرع الله، وضمور الوازع الديني عندهم[1].

- وقد صار حق الإلحاد مكفولاً في دساتير الجاهلية الحديثة تحت عنوان «حرية العبادة»، وأصبح حق التحليل والتحريم بيد البرلمان، أو مجلس الشعب، فهو الهيئة التشريعية العليا، ولا معقب لحكمه، ولو أباح الفاحشة، وقد أباحها في البرلمانات الغربية، ومن سار على طريقتها، وتلك جاهلية ولا شك، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

---

(١) الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام، ص٤٧٢ - ٤٧٣.



﴿٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

ويتناسى الناس أن الحكم بغير ما أنزل الله «ناقض»، للشهادة: (لا إله إلا الله)، ومن ضمنه اعتناق مذهب من المذاهب التي تبعد الدين عن الحياة، أو تحصره في زاوية ضيقة منها، كالشيوعية والاشتراكية والعلمانية والقومية والديمقراطية»[1].

● لقد اختلطت القيم واضطربت الموازين، فصار تطبيق الشريعة غريباً، وأصبح المنادون بها يسمون أصوليون متطرفين، بينما يعتبر دعاة تطبيق القوانين الوضعية متنورين متطورين.

وبذلك مسخت الحقائق، وشوهت ثوابت الأمة، في أكثر وسائل الإعلام العالمية والعربية.

●● «وقد مكنت القوانين الوضعية الكافرة، لأعداء الله في بلاد المسلمين، فساموهم صنوف العذاب، وتبين بطلان هذه القوانين، ومدى مخالفتها لشريعتنا، وظهر تناقضها وتضاربها، وأشاعت الفوضى والاضطراب»[2].

***

---

(١) كتاب: لا إله إلا الله عقيدة وشريعة: الأستاذ محمد قطب (ص٧٤، و١٥٨) بتصرف وإيجاز.

(٢) ينظر: الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د. عمر سليمان الأشقر، ص١٤٧، وما بعدها، دارالنفائس. مكتبة الفلاح، ط٣، ١٤١٢هـ.



موقف العلمانيين من تطبيق الشريعة:

ومن التبجح العجيب أن يزعم « العلمانيون » أن الدعوة إلى إقامة الدولة الإسلامية تمثل ردة حضارية، وأن قوانين البشر، أقدر على إصلاح المجتمعات من الشريعة الإسلامية.. ونحن لا نعجْب من أن ينتصب لعداوة شريعتنا وديننا، اليهود والنصارى والذين أشركوا، ولكن العجب أن ينتصب لعداوته نفر من بني جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، وينذرون لحربه حياتهم وأقلامهم في تظاهر لا تخطئه العين »[1].

● والحقيقة أن العلمانيين « هم نتاج الكيد الصليبي والصهيوني، الذي وجه ضد الإسلام منذ أكثرمن قرن من الزمان.

وقد لا يدرك العلمانيون ذلك. قد لا يكونون على وعي بمقدار ما أحدث في نفوسهم من مسخ وتشويه، فقد رُكبوا في مصانع الغزو الصليبي، بحيث يرون الإسلام عدواً لهم لا بد من محاربته.. لذلك فقد يعتقدون أنهم في مواقفهم ضد الإسلام، وضد تحكيم الشريعة، من ذوات أنفسهم، وبدوافعهم الخاصة.

ولكن ألا يستوقفهم ذلك التوافق العجيب بين مواقفهم ومواقف الغرب تجاه الإسلام؟!»[2].

●● إن الضعيف إذا تخلى عن عقيدته، مُسخ وسار وراء من يظن أن لديه القوة.

---

(١) ينظر: المواجهة بن الإسلام والعلمانية، إعداد محمد صلاح الصاوي، طبعة ١٤١٣هـ، الآفاق الدولية للإعلام.

(٢) العلمانيون والإسلام: محمد قطب، ص١٢٣، ١٢٤.



فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله! اليهود والنصارى، قال: ﷺ: فمَنْ؟!»[1] أي فمن غيرهم؟!

●● «ويعجب الإنسان حين يعلم أن كثيراً من أولئك العلمانيين كانوا شيوعيين يوم أن كانت الشيوعية ذات سطوة وسلطان، فلما انهارت الشيوعية بالسرعة المذهلة التي انهارت بها، لبس أولئك العلمانيون ثياب «الديمقراطية»، وصاروا ينادون بها، كأنهم كانوا من دعاتها منذ نعومة أظفارهم، «فهم يتخذون مواقفهم في الموقع الذي يهاجم الإسلام والإسلاميين بصرف النظر عن طبيعة ذلك الموقع وحقيقة أفكاره، ولا يجدون حرجاً أن يغيروا مواقفهم من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار...»[2].

تحكيم القوانين في ميزان الإسلام:

فما حكم من نحّى الشريعة وحكَّم القوانين الوضعية؟!

● فالله سبحانه وتعالى هو المنفرد في الحكم ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

● يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو

---

(١) أخرجه البخاري في باب ما نزل في بني إسرائيل، ينظر: عون الباري مجلد ٤، ص٦٦١.

(٢) العلمانيون والإسلام: الأستاذ محمد قطب، (ص ٥ – ٦).



الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً »[١] .

● ومن أقوال ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة : « ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً ، من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر »[٢] .

● ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله : « إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين »[٣] .

« فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب، فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة؟ »[٤] .

● والعلمانيون يعتقدون أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين فيرد عليهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في مجموعة فتاواه بقوله : « من اعتقد أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو اعتقد أن الإسلام ينحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى . أو يرى أن إنفاذ حكم الله بقطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٣ / ص٢١١ ، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

(٢) مجموعة التوحيد : الرسالة الثانية عشر، ص٤١٣ .

(٣) رسالة تحكيم القوانين، ص٥ ، طبعة دار الوطن، ١٤١١هـ.

(٤) رسالة تحكيم القوانين، ص٦ ، للشيخ محمد بن إبراهيم، طبعة ١٤٠٣هـ.



يناسب العصر الحاضر . . فذلك كله كفر اعتقاد يخرج من الملة »[1] .

● وأخيراً ننقل من أقوال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على تفسير ابن كثير لقوله تعالى : ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون** ﴾ ما موجزه :

« أيتجوز في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس من تشريعات أوربا الغربية الملحدة؟ بل بتشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة، يغيرونه ويبدّلونه كما يشاءون، لا يبالي واضعه أوافق شرعة الإسلام أم خالفها .

ولا يشبه وضعنا الآن إلا ذلك القانون الوضعي، الذي وضعه عدو الإسلام جنكيز خان . . ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالاً وأشد ظلماً منهم، لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج في هذه القوانين الوضعية المخالفة للشريعة والتي هي أشبه بذلك الياسق الذي اصطنعه رجل كافر . فهذه القوانين يصطنعها ناس ينتسبون للإسلام، ثم يتعلمها أبناء المسلمين، ويفخرون بذلك آباء وأبناء ثم يسمون من يدعوهم إلى التمسك بدينهم وشريعتهم رجعياً وجامداً، إلى مثل ذلك من الألفاظ البذيئة . . إلى أن يقول : « إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، وهي كفر بواح، لا خفاء فيه ولا مداورة »[2] .

● والحقيقة أن تحكيم الشريعة أمر لا يخير فيه الناس ولا يستفتون، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

---

(١) مجموعة فتاوى ابن باز، ج١ ص١٣٧، جمعها الشويعر .

(٢) عمدة التفسير ج٤، ١٧٣ - ١٧٤، وانظر تعليقه على شرح الطحاوية ص٣٦٤، طبعة المكتب الإسلامي .



والتخيير إنما يكون في أمر يملك الناس فيه الخيار. وفي الميزان الرباني يوجد نوعان اثنان من الحكم: إما حكم الله، وإما حكم الجاهلية ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾ [المائدة: ٥].[١]

* * *

(١) العلمانيون والإسلام، محمد قطب، ص٨٨، وص٩١.

(٢)

مظاهر العلمانية
وآثارها على مناهج التربية والتعليم

كانت الحركة العلمية عند المسلمين، قد آلت إلى طرق جامدة، وثقافة محدودة، مما أفسح المجال لشيوع الثقافة الغربية، الوافدة، منذ أواخر القرن التاسع عشر.

فقد فتح المبشرون «المنصّرون» تحت هيمنة المستعمرين، المدارس الكثيرة، ابتداء من رياض الأطفال، وانتهاء بالجامعات، وعلى رأسها الجامعة الأمريكية، والكلية اليسوعية، في بيروت وفي غيرها[١].

● وكانت كتبهم الدراسية مليئة في الطعن بالإسلام وبرسوله الكريم.. فأفسدواالتعليم الوطني، في كل أرض حكموها[٢].

●● لقد تسلط رجال الانتداب على مناهج التعليم، فأفسدوها في الشام ومصر والشمال الأفريقي - حتى صار الطالب المسلم لا يعرف عن تاريخ أجداده شيئاً، بينما أصبح يعرف الكثير عن تاريخ فرنسا وبريطانيا ورجالاتهم.

● وقد تحدث «ولفرد كانتون سميث» بإجمال عن التأثير الثقافي الغربي

---

(١) ينظر الغارة على العالم الإسلامي، ص٢٠٥، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.

(٢) ينظر التبشير والاستعمار، فروخ والخالدي، ط٣، ١٩٦٤م ص ٦٥ - ١١٢.



قائلاً: «إن أهم أسباب حركة الحرية والإباحية، التي تسود في العالم الإسلامي اليوم، ومن أكبر عواملها هو نفوذ الغرب، فقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب، واطلعوا على روح أوربا وقيمها، وأعجبوا بها إلى أبعد حد..

وهم الذين سببوا «استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه إلى العالم الإسلامي، وحازت المعاهد الثقافية قصب السبق في تربية جيل بأكمله على النمط الغربي الحديث..

ونتج عن ذلك أن كثيراً من المسلمين اعترفوا بهذه النظريات الوافدة، والمعاهد الجديدة كحقيقة ثابتة، وخضعوا لها بالتدريج وبذلك استمرت عملية التغريب تسير بسرعة وقوة بالغتين»[١].

● وقد أثار المستشرقون الشبهات حول كتاب الله وسنة رسوله، وهاجموا الفقه الإسلامي وأصوله، ولغة القرآن وتاريخ المسلمين، فبعثوا التاريخ الوثني السابق للإسلام في كل دولة إسلامية.

«فكانت الغاية من العناية بالآثار القديمة، هي تلوين الحياة المحلية في كل بلد إسلامي بلون خاص، يستند إلى أصوله الجاهلية الأولى.. ثم تكون هذه المدنيات الحديثة أكثر قبولاً لأصول المدنية الغربية»[٢].

●● وساهم التنصير في إنشاء جيل قادر على حمل أمانة المستعمر باسم الحضارة والتقدم، واعتمد على ذلك الجيل الذي توجه من لبنان (خاصة) إلى

---

(١) ينظر: العلمانية، د. سفر الحوالي، ص٥٩٦.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين، ص١٤٠ - ١٤١، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.



القاهرة، وأسس صحافة قوية بقيادة جورجي زيدان وأديب اسحق، كالأهرام والمقطم، والمقتطف والهلال، وكان مؤسسوها من موارنة لبنان الذين تخرجوا من الإرساليات التبشيرية، أو ممن لهم ولاء شديد لها[1].

وكان لهذه الصحف تأثير كبير في بث التيارات العلمانية، في العالم العربي عامة وبلاد الشام ومصر خاصة.

● وقد نشأ نتيجة لهذه التربية العلمانية، جيل مقطوع الصلة بدينه مفتون بالغرب وتياراته الثقافية المختلفة، التي تتفق في تحللها من الالتزام بالدين»[2].

●● وقد أخرج هذا الهجين الممسوخ دعوات ونتائج سيئة نذكر منها على سبيل التمثيل والإيجاز[3]:

١ – الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب، وأخذ حضارته دون وعي ولا تمييز، وقد تزعم هذا الاتجاه كثير من هجناء الفكر في كل قطر عربي.

٢ – احتقار الماضي الإسلامي، وتربية الأجيال تربية لا دينية، ولذلك طولب بتربية الأجيال الجديدة تربية قومية لا صلة لها بالماضي.

«وقد حققت الحركات القومية الحديثة هذا المطلب، فحاولت استئصال رواسب الماضي ورفات الموتى من أذهان الناشئة، حسب زعمهم لأن المواطن العربي يجب أن يكون شخصاً تقدمياً يؤمن بفلسفة التغيير والتطور...»[4].

---

(١) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، ج٢، ٢٢٩.

(٢) العلمانية: د. سفر الحوالي، ص٥٩٦.

(٣) ينظر المرجع السابق، ص٥٩٩ – ٦١٠.

(٤) ينظر الحلقة الدراسية العربية الأولى للتربية وعلم النفس، في مؤتمر التربية العربي، نشرة ص٧٧.



٣ - اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب، فقد أسست الجامعات والمدارس على ذلك النمط، فكان التعليم علمانياً منذ البداية، وكان نتاجه تلك الجموع المستعبدة للغرب فكراً وسلوكاً، والنافرة من آبائها وأجدادها.

ولم يكن الأمر مقصوراً على المناهج، بل تعداها إلى أسلوب التربية وفلسفة السلوك، فطبقوا الاختلاط بين الذكور والإناث في المدارس والجامعات[١].

●● فلو تأملنا معظم كتبنا المدرسية والمراجع التي أخذت عنها لوجدناها مترجمة بالنص أو بالمعنى عن المراجع والثقافات الغربية، ينطبق ذلك على تاريخنا وكتب العلوم الإنسانية والطبيعية، وهي منطلقة من عقائد فاسدة تعارض عقيدتنا، فتصورها خاطئ منحرف عن الوجود كله، وليس في فلسفة الغرب مكان للإله ولا صلته بالإنسان.

●● وقد تخرج معظم طلابنا على مناهج دخيلة غربية وافدة، ومن أخطر تلك المناهج، منهج جون ديوي الذي يستبعد الدين والأخلاق وهو مذهب توجد له مدرسة في البلاد العربية، وتلامذته هم الذين يرون أن غاية التربية ليست هي الأخلاق، فهي تقيم مفاهيمها على اللادينية، والتحرر من الأخلاق[٢].

- وكان لجهود القس «دنلوب» في مصر، أيام كرومر[٣]، دور في إفساد مناهج اللغة العربية والمواد الدينية والتاريخ، وتأتي خطورته من أن هذا المنهج

---

(١) العلمانية: ص٦٠٧ - ٦٠٨، د. سفر الحوالي.

(٢) إطار إسلامي للفكر المعاصر: أنور الجندي ص٤٣٣.

(٣) ينظر: واقعنا المعاصر، للأستاذ محمد قطب، ص٢١٧ - ٢٢٧.



كان رائداً للمناهج في البلاد العربية الأخرى[1].

٤ – استيراد المذاهب اللادينية في الفكر والأدب:

ومن أبرز تلك المذاهب تدريس نظرية داروين الإلحادية، وفلسفة العقليين الوضعية، حتى آل الأمر إلى الواقع الفكري والأدبي المعاصر.

وقد ظهر عدد من الكتاب أعلنوا اعتناقهم لمذهب داروين، ونشروا الشك والإلحاد، من هؤلاء: شبلي شميل وسلامة موسى، وإسماعيل مظهر في مصر.

وسار على طريقتهم عدد من كتاب بلاد الشام، مثل جلال صادق العظم في كتابه (نقد الفكر الديني)، ومحمد شحرور في كتابه (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة)[2].

● كما ظهر عدد من الأدباء والشعراء، نشروا ألواناً من أدب الردة والفجور والانحلال، مما ساعد على نشر الأفكار المادية ولا سيما الشيوعية، وأسهم في الجرأة على مهاجمة المقدسات الدينية، حتى أصبح الشباب المثقف فريسة الشكوك والأوهام القاتلة، وانتظم كثير منهم في صفوف المنظمات اليسارية والقومية اللادينية، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أصبحت الاشتراكية موضة ذلك العصر.

وقد أسهمت وسائل الإعلام بإدارة العلمانيين إسهاماً قوياً في تنمية الاتجاه

---

(١) وكان كرومر الحاكم العسكري البريطاني قد عين «دنلوب» مستشاراً لوزارة المعارف، وكان في يده السلطة الكاملة في وزارة المعارف المصرية الإسلامية، وكذلك الحال في سوريا ولبنان أيام الانتداب الفرنسي.

(٢) سنتحدث عن هؤلاء في الباب الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله.



الإباحي، وهبوط الأدب أسلوباً ومضموناً في كتابات أدونيس ونزار القباني وأمثالهما[1].

(٣)

مظاهر العلمانية وآثارها على قضايا المرأة المسلمة:

كانت الحياة الاجتماعية في ديار المسلمين قد انحرفت منذ قرون، إلا أن صورة الانحراف لم تبلغ أوجها إلا في «مطلع العصر الحديث»، منذ أن عاد المنبهرون بحضارة الغرب ينشرون إعجابهم بعادات فرنسا وباريس ولندن، أمثال قاسم أمين ورفاعة الطهطاوي وأضرابهما، حيث انتشرت دعوة هؤلاء بعد ذلك في كثير من أقطار المسلمين، كتونس والعراق..

«أما بلاد الشام فمن الواضح أن الدعوة فيها تعرقلت بالنسبة إلى مصر، حتى أن أول كتاب يتحدث عن هذه القضية، (قضية ما يسمى بتحرر المرأة) لم يصدر إلا سنة ١٩٢٨م، أي بعد وفاة قاسم أمين بعشرين سنة، وهو الكتاب الذي ألفته ـ أو أُلِّف باسم: «نظيرة زين الدين» بعنوان «السفور والحجاب».

ولعل مما يثير الانتباه، أن الذي قرظه هو الشيخ «علي عبد الرازق» صاحب كتاب: (الإسلام وأصول الحكم)، والذي حكم الأزهر بإحراقه، وفصل صاحبه من مشيخة الأزهر[2].

● ومما قاله في تقريظ ذلك الكتاب: «أما إخواننا السوريون فيلوح لي أن

---

(١) سنفصل القول في تيارات أدب الردة والتغريب، في الباب الخامس من هذا الباب، بإذنه تعالى.

(٢) ينظر: العلمانية للحوالي ص٦٣٠ - ٦٣١.



للسفور والحجاب عندهم تاريخاً غير تاريخه في مصر، فهم لم يتجاوزوا بعد طور البحث النظري الذي بدأه بيننا «المرحوم؟!» قاسم أمين، منذ أكثر من عشرين سنة ولكنهم مع ذلك يسيرون معنا جنباً إلى جنب في الطور الجديد الذي تسير يه، طور السفور الفعلي والكلي الشامل»[١] .

● وللاطلاع على حقيقة الستر والحجاب في الشام حتى مطلع القرن العشرين، نقتطف من ذكريات شاهد ذلك القرن، الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، بعض الفقرات، مما يوضح الفرق الشاسع والانزلاق الخطير الذي أصاب أهالي بلاد الشام خلال قرن من الزمن، على أيدي رجال التغريب وخلفاء المستعمرين.. وكان الستر يشمل حتى النصرانيات في البلاد.

يقول رحمه الله: «وكانت النصرانيات واليهوديات من أهل الشام، يلبسن قبل الحرب العالمية الأولى الملاءات الساترات كالمسلمات، وكل ما عندهن أنهن يكشفن الوجوه ويمشين سافرات، أذكر ذلك وأنا صغير».

«وكان نصارى الشام يحجبون نساءهم عن أعين الرجال ويجرون في زواجهم وأعراسهم على نهج المسلمين، ثم طرأ عليهم التغير مع الأيام».

● وكان السفور بين المسلمات مستغرباً، حتى أنه جاءت مرة وكيلة لثانوية البنات إلى المدرسة سافرة، فأغلقت دمشق كلها حوانيتها، وخرج أهلوها محتجين متظاهرين، حتى روعوا الحكومة فأمرتها بالحجاب، وأوقعت عليها العقاب، مع أنها لم تكشف إلا وجهها، ومع أن أباها كان وزيراً وعالماً جليلاً...»[٢] .

---

(١) مجلة الهلال شهر أغسطس آب ١٩٢٨م، والعلمانية: د. سفر الحوالي، ص٦٣١ .

(٢) ذكريات الشيخ علي الطنطاوي، ج٥، ص٢٢٦ .



● وقد كانت منازل الشام تبنى على أساس الستر والفضيلة، وكانت نساؤها كمنازلها، يسترها عن العيون الحجاب الساتر يقول الشيخ علي الطنطاوي واصفاً ذلك العهد :

« لقد أدركت عهداً في الشام : الدار التي يفتح بابها على الجادة يقل ثمنها، لأن الدار المرغوب فيها، تلك التي يكون بابها في « دخلة » أو « حارة » .

« وكانت نساؤنا كمنازلنا، يسترها عن العيون الحجاب السابغ فلا يبدو جمالها، إلا لمن يحل النظر إليها، فهتكت الأستار عن المرأة وعن الدار . . . »[1] .

* * *

لقد كان عهد الانتداب، عهد تخريب وإفساد، إذ نقل عاداته وأخلاقه إلى ديار الشام كلها . . حتى عمت الفوضى الأخلاقية العالم الإسلامي من أقصاه إلى أدناه، على تفاوت في ذلك، وتولى الجيل الذي رباه المستعمرون، تربية جيل جديد، أكثر مسخاً وانحلالاً، وحوربت أحكام الله على يد أبطال الاستقلال، أكثر مما حوربت بأيدي المستعمرين »[2] .

● كانت قنابل فرنسا المتحضرة؟! التي انتدبت علينا ليلقننا رجالها دروس الحضارة، فإذا هي ثلاثة دروس : درس في ا لإلحاد، ودرس في الفساد، ودرس في تخريب البلاد ونهب ثروات العباد[3] .

« وما كان أهل الشام قبل المستعمرين كالصحابة الأولين، ولا كانوا

---

(١) ذكريات الطنطاوي، ج١، ٢٢ .

(٢) العلمانية للدكتور الحوالي، ص٦٤١ .

(٣) ذكريات الطنطاوي ـ رحمه الله ـ ج٥، ص٢٢٥ .



كالتابعين، وكان قد دخل عليهم في دينهم كثير من البدع والمحدثات، ولكن ما كان فيهم ملحد يظهر إلحاده، ولا سافرة تعلن سفورها، ولاعاصٍ يجاهر بمعصيته، فضلاً عن أنْ يفخر بها أو يدافع عنها...»[١].

● فما الذي دهى الشام وأهالي الشام؟! في عهد رجال ما بعد الاستعمار؟!

يقول رحمه الله: «ألقى المنتدبون ما حملوه من الشوك في طرقنا، ثم لم يكفهم ذلك، حتى أوحى إليهم شيطانهم بما هو أدهى منه وأمرّ، وأبلغ في الأذى والضرّ، فألقوا بذوره في أرضنا، فلما نبت ملأ بلدنا، ودخل إلى بيوتنا، وأصاب أذى شوكه أبناءنا وبناتنا، فكان هذا الاستعمار الجديد شراً من الاستعمار القديم، لأن ذلك يمثله قوم، ليسوا منا، ولا دينهم من ديننا، ولا لسانهم من لساننا، وهذا يقوم عليه ويدعمه ويحرسه أبناؤنا، لذلك تجدون في كثير من البلدان، أن الذي تم بعد جلاء جيوش المستعمرين هو أشنع وأفظع وأبشع مما كان قبلُ، لما كانوا هم الحاكمين»[٢].

●● لقد ترك المستعمر عملاءه يفعلون في بلادنا ما عجز هو عن فعله، ظهر ذلك يوم جلاء فرنسا عن دمشق، فكتب الشيخ علي الطنطاوي، (وهو شاهد عيان) مقالاً آنذاك بعنوان: «امتهان الفضيلة يوم الاحتفال بالجلاء في سوريا»، جاء فيه: «فما الذي كان في ذلك اليوم؟! كان أن دمشق التي عرفناها تستر بالملاءة البنت من سنتها العاشرة، شهدت يوم الجلاء بنات السادسة عشرة، وما فوقها يمشين في العرض، بادية أفخاذهن، تهتز نهودهن في صدورهن، تكاد

(١) ذكريات الطنطاوي، ج٥، ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق، ج٥ ص٢٢٦ – ٢٢٧.



تأكلهن النظرات الفاسقة . . .

وأُخذت صور هذا كله، ونشرت في الجرائد، وعرضت في السينمات، فازدادت جرأة الناس على نقض عرى الأخلاق، وشهدت بنتاً جميلة زينت بأبهى الحلل، وأُلبست لباس عروس، وركبت السيارة المكشوفة وسط الشباب . . .

قالوا: إنها رمز الوحدة العربية!!، ولم يدر هؤلاء أنّ العروبة، إنما هي في تقديس الأعراض لا في امتهانها، وكان في العرض مناظر كثيرة من أمثال هذا المنظر.

قالوا: إنها لوحات حيّة تعبر عن الفرح والسرور، قالوا: إنه يوم النصر، يجوز فيه ما لا يجوز في غيره»[1].

* * *

وازداد الأمر سوءاً في عهد الاستقلال، وعهد الحكومات الثورية «فأنشأت البلدان التي ادّعت الاشتراكية معسكرات الفتوة، وزودت هذه المعسكرات بمجموعة ضخمة من الفتيات الجميلات، قاموا بتجنيدهن خصيصاً إلى جانب الفتيان العزّاب، في هذه المعسكرات لإشاعة الانحلال والفساد بين الشباب»[2].

---

(١) نشرت المقالة في مجلة الرسالة عام ١٩٤٦م، نقلاً عن ذكريات الطنطاوي، ج٥ ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة: د. جميل عبد الله المصري ص٢٣، عمّان، دار أم القرى ١٤٠٩هـ.



لقد عملت الجاهلية المعاصرة على « ترجيل المرأة » وإفساد أنوثتها، وما تزال تنفخ في كيانها باسم المساواة مع الرجل »[1] .

● وأفسدت هذه الجاهلية على المرأة كل شيء، أفسدت عليها حياتها بما لا يتناسب مع طبيعتها، إلا أنها الهزيمة النفسية والتبعية الكاملة لفسّاق الغرب ومجّان التغريب، هي التي أخرجت المرأة المسلمة من بيتها، بهذا الشكل المزري . .

وأدى الإعلام دوره الخطير، مستهدفاً تحطيم ذلك الحاجز القوي، الذي أقامه الإسلام على أساس المحافظة على العرض والشرف، والخلق المستقيم .

فانتشر التبرج الصارخ في المدن الشامية، شأن المدن الإسلامية الأخرى، وهانت العلاقات المحرمة والإغراءات الهابطة في نظر كثير من الناس، ونظرةٌ إلى واقع الحال، تغني عن كل مقال[2] .

●● وها هي أجهزة الإعلام، تتعاون على تحطيم الحواجز الأخلاقية، وعلى إفساد الضوابط الفطرية في النفس الإنسانية بل على تزيين الشهوات البهيمية، وتوهين روابط الأسرة، وضوابط المجتمع ورقابته، وعلى تمجيد العري العاطفي والجسدي والتعبيري، ومن ثم فقد ساهمت الأقلام الهابطة في تلويث شرفنا المحافظ، لتنتزع من الفتاة المسلمة أخلاقها وحياءها الفطري، ثم شاركت الأفلام

---

(١) واقعنا المعاصر: للأستاذ محمد قطب، ص٥١٢ ، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

(٢) ينظر المرأة بين الجاهلية والإسلام: محمد الناصر وخولة درويش ص٢٢٩ – ٣٠٢، دار الرسالة بمكة المكرمة، ١٤١٣هـ.



الخليعة والمسلسلات الخبيثة في إشاعة الرذيلة، وإثارة مشاعر الجنس[1] .

● لقد انتقلت الأوبئة الاجتماعية الغربية إلى ديار المسلمين، فكان التعليم المختلط، والنوادي المختلطة، والشواطئ المختلطة، والأزياء الخليعة المستوردة من بيوت اليهود والنصارى في عواصم الغرب . .

وانتقل الاختلاط المشين إلى دوائر الحكومات والمؤسسات وإلى المدارس ووسائل المواصلات «وظهر الفساد في البر والبحر» فلا عجب بعد ذلك أن تنهار الأسر، وتتقوض البيوت . . .

وها هو الجيل المعاصر المنكود، تتجاذبه الشهوات والشبهات، وتمزقه التناقضات والغوايات، وتغتاله النزوات المتهورة، والغريب حقاً أنه مع هذه النذر كلها، لا تزال الدعوات المحمومة على أشدها، ولا تزال الموجة في عنفوانها، ولا تزال الصيحات (المخمورة) تتعالى من كل مكان، مطالبة بنبذ التقاليد، وفصل الأخلاق عن الدين[2] .

● لقد أفسد اليهود المرأة في أوروبا، وانتقلت تلك العدوى إلى بلادنا، بعد إقصاء الدين عن الحياة، فكان حصاد تلك المأساة شنيعاً مؤلماً . . كان من حصادها :

ـ تمزيق روابط الأسرة، بعد أن كانت مستقرة في رحاب الإسلام .

ـ وشاع القلق والاضطراب، وكثر تردد المرأة على العيادات النفسية بعد أن خرجت من بيتها، وخالطت الرجال، وكان في ذلك مصادمة لفطرتها السوية .

---

(١) ينظر أخلاق العرب بين الجاهلية و الإسلام : محمد الناصر، ص٢١٣، ٢١٧ .

(٢) العلمانية للدكتور سفرالحوالي، ص٦٤٣، ٦٤٤ .



ـ وضاعت العناية بالأطفال، وأصبحوا يتامى مع وجود الأبوين، وخسرت الأمة أغلى ما عندها، تربية الأجيال الناشئة[١] .

* * *

(٤)

مظاهر العلمانية في قضايا السلوك والأخلاق:

عندما بدأت المجتمعات المعاصرة تفتقد إلى الإيمان، وعزلت الدين عن واقع الحياة، تحولت إلى مجتمعات جاهلية تحاد الله ورسوله .

فعندما «تمرد الملحدون في الجاهلية الحديثة في الغرب على الله، لأسباب محلية في الكنيسة إذ نفّرت الناس من الدين . .

قامت حضارتهم على أساس معاد للدين، وانتشرت العدوى مع الحضارة الغالبة حيثما وطئت قدماها، فأصبح النفور من الدين في هذا العصر، كأنه ظاهرة بشرية، وهو لا يزيد على أن يكون مرضاً أصاب جيلاً من البشرية أو عدة أجيال»[٢] .

● وقد ساهمت نظريات علم الاجتماع في هدم الدين والأخلاق ثأراً من الكنيسة، وتأثراً بأحقاد اليهود على البشرية .

---

(١) ينظر تفصيلاً لذلك : المرأة بين الجاهلية والإسلام، ص ٣٢٥ – ٣٥٥ .

(٢) دراسات في النفس الإنسانية : محمد قطب، ص٢٢٩ ، دار الشروق، ١٤٠٧هـ.



« فقد نفى جان جاك روسو عنصر الإيمان من الأخلاق، وجعل مدارها الرئيسي على المنفعة الخاصة والعامة ».

« واعتبر دور كايم أن الدين ليس فطرياً وكذلك الأخلاق والأسرة.. وكان للتلمود أثر في هذا الهدم الحاقد »(١).

ودور كايم يهودي حاقد، فها هو يقول: « إنه لا يمكن إثبات شيء من القيم على الإطلاق، لا الدين ولا الأخلاق ولا التقاليد »(٢).

● وما كانت الشيوعية أحسن حالاً في هذا المجال، فماركس يرى أن لا شيء من القيم أو المثل ثابت بإطلاق »(٣).

● أما الدراسات النفسية، فقد استغلها فرويد مستوحياً معظم أفكاره من التوراة المحرّفة.

« إن هؤلاء اليهود: ماركس وداروين ودروكايم، وفرويد، كانوا قد دمروا بنظرياتهم ما تبقى لدى أوربا من قيم وأخلاق، بعد أن فصلوا بين الدين والأخلاق، وإن البروتوكولات طافحة بهذا الخراب المدروس »(٤).

● ومن المؤسف أن هذه النظريات تدرس في كثير من جامعات بلادنا ومدارسها الثانوية، تحت اسم دراسة علم النفس أو علم الاجتماع، أو الاقتصاد وعلم الأخلاق، ولها حصص مقررة ومحاضرات تلقى على أنها علم ليس إلا..

---

(١) العلمانية، الحوالي، ص٣٨٠، ٣٨٥ - ٣٨٦.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب، ص١١٥، ١١٧.

(٣) العلمانية: الحوالي، ص٣٨٠.

(٤) بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي، الطبعة الثانية، ص١٩٨، ٢٢٠.



وقد تأثر الشرق العربي والإسلامي بعوامل الهدم هذه، وما وجدنا عصراً تبجح فيه الناس بالإلحاد الصريح كهذا العصر.. فقد تأسست أحزاب علمانية تجافي الدين، وأخرى يسارية تحارب المعتقدات الدينية، أو قومية تجمع على إحياء الجاهليات القديمة، ومحاربة تطبيق شرع الله في السياسة والأخلاق والاقتصاد، بل وسائر شؤون الحياة في الأسرة والمجتمع[1].

● **وقد ظهرت آثار العلمانية في السلوك والأخلاق في النواحي التالية:**

١ - سيادة الأخلاق النفعية[2]:

بعد أن اضمحل أثر الإيمان في النفوس، استمد الناس قيمهم في التعامل من الهوى والمصلحة الشخصية.

«فأضحى التعامل الاجتماعي قائماً على رابطة المصلحة وحدها، وعلى الأخلاق التجارية...»[3].

وإنه لأمر مؤلم حقاً أن تسود النفعية كثيراً في مجتمعاتنا المعاصرة، فبعد أن كان الإخلاص والأمانة والصدق، والإيثار، من أهم خصائص أخلاق المسلمين، إذا بالغشّ والكذب والأنانية والخيانة، تحل محل تلك الفضائل عند كثير من الناس، ومن هنا باتت الشكوى مريرة والانهيار خطيراً[4].

● فالأخلاق النفعية سمة بارزة من سمات الجاهلية المعاصرة، أما في الإسلام

---

(١) سوف نتحدث عن هذه الأحزاب ودورها في الأبواب القادمة إن شاء الله.

(٢) ينظرك أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، ص٣٣٣، ٣٣٨.

(٣) العلمانية، الحوالي، ص٤١٠.

(٤) أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، ص٣٣٣، ٣٣٧.



فالغاية لا تبرر الوسيلة، لأنه يشترط أن تكون الوسائل الأخلاقية سامية، كالغايات تماماً[١].

● جاء في البروتوكولات: «إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه»[٢].

إن الانتهازيين والنفعيين، هم من أهم أسباب خراب المؤسسات التجارية والتربوية والدعوية.

٢ - القلق والحيرة والاضطراب:[٣]

يعتبر القلق والحيرة، بل وشيوع الفزع من أهم مميزات المجتمعات المعاصرة، ذلك بعد أن فقدت عنصر الإيمان بالله من النفوس، وأخضعت القيم الأخلاقية إلى مقاييس البشر، رغم التقدم التكنولوجي وانتشار الرفاهية بين الناس.

●● وإذا انحرفت العقيدة لا بد أن تنحرف الأخلاق، وما دامت الأخلاق قد انفصلت عن العقيدة فلا بد أن تموت.. ولا بد أن يعيش الإنسان في قلق وحيرة...

«فمن يقرأ للكتّاب الوجوديين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، يعلم كم يعانون من الاضطراب النفسي والقلق في أعماق قلوبهم،ففي طبيعة الحياة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) البروتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون، ص٣٢ الطبعة الثانية.

(٣) ينظر تفصيلاً لذلك: أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام: ص٣٣٩ - ٣٤٥، دار الرسالة بمكة المكرمة، ١٤١٣هـ.



الإنسانية جانب لا يُملأ إلا بالإيمان.. وقد يدفع القلق هؤلاء الحيارى إلى محاولات الانتحار... و كل ما ينقصهم في الحقيقة: هو الطمأنينة الداخلية، التي لا توجد إلا بسبب الإيمان والعقيدة السليمة»[١].

● وقد ساهمت مخططات حكماء صهيون في إشاعة الفوضى والآلام بين البشرية المنهكة - «زينوا للجموع الهائجة التي وعدت بالحرية أن تطالب بحرية الممارسات الشاذة، والإدمان على الخمور»[٢].

●● وها هم الصهاينة، قد بدأوا يحكمون خططهم، بعد توقيع معاهدات الصلح مع بعض الأقطار العربية، عن طريق السياحة، وتعديل المناهج الدراسية، لتتلاءم مع شروط السلام المزعوم.

٣ - شيوع الإباحية والانحراف الخلقي:[٣]

لقد تميز هذا القرن «العشرون» بانتشار الرذيلة، والجهر بالمعاصي، بشكل لم يسبق له نظير، حتى في الجاهليات القديمة.

وقد تفنن الناس في تزيين الشهوات وتمجيد العري، وتحطيم الحواجز الأخلاقية.

تفننوا في إقامة المسارح المختلطة والليالي الحمراء في الشرق والغرب، وهاجمت الأغنية الخليعة المتكسرة، والرقصات الساقطة البيوت والأسواق وكل

---

(١) انظر: الاتجاه الأخلاق في الإسلام: د. مقداد يالجن، ص٧٩، ١٢١، ٣٢٨، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٢هـ.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي.

(٣) ينظر أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، ص٣٤٦ - ٣٥٢.



مكان، عن طريق وسائل الإعلام وأشرطة الفيديو.

« وصارت فنون العري والرقص والإباحية المتمثلة في المسرح والسينما تُدرّس على أنها فن رفيع، وصار الممثلون يتخرجون من جامعات متخصصة..

فكأن هذا الفساد والتهريج، صار يرتفع ويرتفع، حتى يصبح فناً عالمياً على أيدي دعاته من الماسون والصهاينة والإباحيين فيما وراء البحار، والذين يتلقفون أبناءنا فيصهرونهم في هذه البوتقة »[1].

● ومن هنا لا بد من عودة جادة إلى التربية الإيمانية، كما انطلقت في فجر الدعوة الإسلامية، صافية نقية، لا بد من تزكية النفس بالعبادة الخالصة، لأنها تهيء المسلم لسلوك نظيف ومعاملة شفافة، فمتى استقر الإيمان في القلب ظهرت آثاره واضحة في السلوك.

● « الإسلام عقيدة متحركة، لا تطيق السلبية، إذ أنها بمجرد تحققها في عالم الشعور، تتحرك لتحقق مدلولها في الخارج، وتترجم نفسها إلى حركة وإلى عمل في عالم الواقع »[2].

●● وارتباط الأخلاق بالإيمان والعبادة، ارتباط وثيق، قال عليه الصلاة والسلام: « لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له »[3].

ويقول صلى الله عليه وسلم: « ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا

---

(١) إعادة النظر في كتابة العصريين في ضوء الإسلام: أنور الجندي، ٦٣ - ٦٤.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب، ج٤، ٢٥٢٥.

(٣) صحيح الجامع الصغير، ج٢، ١٢٠٥.



اؤتمن خان »[1] .

وجاء في الآية الكريمة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

●● « فإذا خرجت الأخلاق عن دائرة الإسلام، بمفهومه الشامل صار للناس إسلام بلا أخلاق، إسلام لم ينزله الله تعالى، ولم يأمر به » .

« وبعبارة أخرى حين صار المسلم لا يجد حرجاً في قلبه، أنْ يكذب وأن يغش، أو أن يخون الأمانة، ويخلف العهود، يكون قد تجرد من أخلاقيات « لا إله إلا الله »، وتجرد من قيمها الإسلامية والإنسانية »[2] .

* * *

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢) ينظر: واقعنا المعاصر، للأستاذ محمد قطب، ص١٧٠– ١٧٩، بإيجاز

الباب الثاني

الشيوعية في المنطقة العربية

الفصل الأول:

ما هي الشيوعية

١ - تعريف موجز بالشيوعية ومبادئها الأساسة.

٢ - النظرية الشيوعية ومنافاتها للفطرة السوية.

٣ - الشيوعية وليدة الصهيونية ومخططات اليهود.

الفصل الثاني:

الثورة الماركسية و القضايا العربية

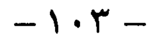
١ - دورالماركسية في الاشتراكية العربية.

٢ - الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية.

ـ ودور اليهود في تأسيس هذه الأحزاب.

٣ - دور اليسار العربي بعد انهيار الأنظمة الشيوعية في العالم.

٤ - فتاوى علماء المسلمين حول الشيوعية.





الفصل الأول

ما هي الشيوعية؟

(١)

تعريف بالشيوعية ومبادئها الأساسية:

الشيوعية تصور شامل للكون والحياة والإنسان، ولقضية الألوهية وعالم الغيب.

والشيوعية مذهب اقتصادي واجتماعي وسياسي فكري، فهي مذهب مترابط متشابك، لا يمكن فصل بعه عن بعض..

والتصور الشيوعي للألوهية والكون والحياة والإنسان، تصورمادي بحت.

ومن أقوال الشيوعيين في هذا الشأن: «لا إله والكون مادة، والمادة سابقة في الوجود على الفكر، والإنسان نتاج المادة[١]».

● وقوانين المادة عندهم، هي التي تحكم حياة البشر، والوضع الاقتصادي هو الذي يكيف شكل الحياة البشرية في أي طور من أطوارها، ويعتبرون أن الوضع الاقتصادي هو الأصل، الذي تنبثق منه الأفكار والمشاعر والمؤسسات، والنظم

(١) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب، ص ٢٥٩ – ٢٦٠، دار الشروق عام ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.



التي ينشئها البشر في حياتهم[1] .

●● هذا وإن ادعاء الشيوعيين في التفسير المادي للقيم الإنسانية يتلخص في «أهمية العامل الاقتصادي في حياة الناس، وذلك أمر لا ينكره عاقل، أما جعله أساس كل شيء، وجعل كل شيء انعكاساً له، وأنه المحرك الوحيد لحياة البشر، فأمر مبالغ فيه، إلى حد الاعتساف الذي يجعل جانب الحق الضئيل يضيع في وسط الأضاليل»[2] .

* * *

وللشيوعية نظريتها وتفسيرها المادي للدين والأخلاق والأسرة:

● **فالدين عند إنجلز:**[3]

«ما هو إلا الانعكاس الوهمي في أذهان البشر لتلك القوى الخارجية، التي تسيطر على حياتهم اليومية، وهو انعكاس تتخذ فيه القوى الأرضية شكل قوى فوق الطبيعة».

ويقول ماركس قولته الشهيرة: «الدين أفيون الشعوب».

● وترى الشيوعية أن الأخلاق، وسائر النظريات الأخلاقية ما هي إلا نتاج لأوضاع المجتمع الاقتصادية السائدة في زمنها[4] .

---

(١) المرجع السابق: ص٢٨١ .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، ص٣٣٤ .

(٣) كتاب انجلز «انتي دوهرلج»، ص٣٨١، من الترجمة العربية نقلاً عن مذاهب فكرية معاصرة، ص٢٩٣ .

(٤) المرجع السابق المترجم، ص١١٤ – ١١٥، ومذاهب فكرية ص ٢٩٧ .



والأخلاق عندهم هي كل عمل يؤدي إلى انتصار مبادئهم، مهما كان هذا العمل منافياً للأخلاق المعمول بها »، كما يقول إنجلز.

ويقول لينين: « يجب على المناضل الشيوعي الحق، أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل، والكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية »[1].

● وتؤكد بروتوكولات حكماء الصهيون النظريات السابقة، حيث أن الشيوعية وليدة الصهيونية: « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان...

إن فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، كي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس..» « وماركس منا، إذ يقول: إن العفة الجنسية من فضائل المجتمع الإقطاعي البائد...».

ومن هنا فقد تحول وجه الأرض إلى ماخور يفغر فاه لكل فتى وفتاة »[2].

● أما الأسرة:

في ظل الشيوعية، فهي ليست أحسن حالاً من نظرتها للدين والأخلاق.

يقول إنجلز: « إن العلاقات بين الجنسين ستصبح مسألة خاصة، لا تعني إلا الأشخاص المعنيين، والمجتمع لن يتدخل فيها ».

ويقول في كتابه « أصل الأسرة ص١١٨، من الترجمة العربية: « إن انتقال وسائل الانتاج إلى ملكية عامة، لا يبقي الأسرة هي الوحدة الاقتصادية

---

(١) اشتراكيتهم وإسلامنا، لبشير العوف، ص٣٦ – ٣٧.

(٢) جاهلية القرن العشرين: الأستاذ محمد قطب، طبعة دار الشروق، ١٤٠٢هـ، ص١٥٦ – ١٥٧.



للمجتمع.. وتصبح العناية بالأطفال، وتربيتهم، من الشؤون العامة للدولة، وبذلك يختفي القلق الذي يستحوذ على قلب الفتاة من جراء العواقب، التي هي في زماننا أهم حافز اجتماعي يعيقها عن تقديم نفسها بلا حرج لمن تحب، وسيكون ذلك سبباً كافياً لازدياد حرية الوصال الجنسي شيئاً فشيئاً، ونشوء رأي عام أكثر تساهلاً فيما يتعلق بشرف العذارى، وعار النساء»[1].

● فالنظام الشيوعي، يريد أن يجعل الولاء للدولة وحدها، يريد من الأفراد أن يذوبوا ذوباناً كاملاً في النظام والدولة والحزب والزعيم، ومن ثم فإن الشيوعيين يكرهون الأسرة، لأنها ـ بداهة ـ ارتباط قائم بذاته، مستقل عن الدولة، ولو كان موالياً لها في الظاهر، أو تحت الضغط البوليسي للدولة»[2].

●● وتبقى الأسرة هي الضابط الطبيعي ضد فوضى الجنس، فالرجل والمرأة كلاهما، يفقدان السكن والسكينة في النظام الشيوعي.. ويبدو الشقاء في صورة الاضطرابات العصبية والنفسية، ناهيك عن القلق والانتحار والجنون، وإدمان الخمر والمخدرات...».

«فليست مهمة الإنسان أن يأكل ويشرب، ويمارس الجنس على طريقة الحيوان، كما تريد الشيوعية لأتباعها ولكن على طريقة الإنسان، أي يكون ملتزماً بما أنزل الله من توجيهات وضوابط، وأن يكون متقيداً بالحلال والحرام... مهمته هي العبادة بمعناها الشامل، الذي يشمل العقيدة الصحيحة وشعائر التعبد، والنشاط الحيوي في شتى مجالات الحياة.. ملتزماً في ذلك كله بمنهج الله»[3].

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب، ص ٣٠٥، بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥١.

(٣) مذاهب فكرية معاصرة ص٣٥٥، ص٣٩٦، بتصرف وإيجاز.



(٢)

النظرية الشيوعية: تنافي الفطرة السوية والعقل السليم

تقوم النظرية الشيوعية على مجموعة من الأسس والمبادئ، يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

١ - إلغاء الملكية الفردية :

تعمل الشيوعية على إلغاء الملكية الفردية إلغاءً تاماً، وإحلال الملكية الجماعية بدلاً منها، إذ يعتبر الشيوعيون أن الملكية الفردية هي المسؤولة عن كل الشرور التي خاضتها البشرية منذ أن تركت مرحلة الشيوعية الأولى، حتى دخلت مرحلة الرأسمالية، وأنها كانت خلال ذلك التاريخ كله مثار « الصراع الطبقي » الذي يبعث الأحقاد والاضطرابات في المجتمعات البشرية، وأنه لا بد من إزالتها والرجوع بالناس إلى الملكية الجماعية . . .

ويرون أن الدولة هي المالك الوحيد للإنتاج كله بوسائله وأدواته وناتجه، وأن الدولة تقوم بذلك نيابة عن الشعب أو عن طبقة « البروليتاريا »، وتعني عندهم الطبقة الكادحة[١] .

● والحقيقة أن كل ما قيل عن قضية الملكية، ما هو إلا مجرد كلام للاستهلاك النظري .

إذ أن الدولة أصبحت كابوساً ثقيلاً، بدكتاتوريتها البشعة التي لا تدع

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة : ص ٤١٤ - ٤١٥ .



للناس فرصة للإحساس بوجودهم، فضلاً عن أن يحسوا بأنهم يملكون شيئاً على الإطلاق.

فجو الإرهاب الدائم، وجو الجاسوسية والاعتقال والنفي إلى ثلوج سيبيريا.. فالإعدام والتعذيب، هذه أجواء لا تسمح بوجود التعاطف بين الشعب والدولة[١].

● وقد أثبت النظام الشيوعي فشله على نطاق الملكية الفردية، وتراجع في عهد ستالين ثم في عهد خروشوف عدة مرات، وها هو النظام الشيوعي ينهار نهائياً، وينفرط عقد جمهورياته، بعد انهيار الاقتصاد فيها.

●● وعندما ألغيت الملكية الفردية في المجتمع الشيوعي، بقي السلطان والنفوذ للحزب، الذي صار طبقة متميزة... لها من الرفاه والنعيم مالم يحلم به بعض القياصرة في زمانهم والشعب في «أكواخه تعيش الأسرة كلها في غرفة واحدة تجمع الأم والأب والأطفال، بنين وبنات ما دون سن التكليف»[٢].

٢ - إلغاء الطبقات:

يسعى الشيوعيون لإلغاء الطبقات بإلغاء الملكية الفردية، والإبقاء على الطبقة الوحيدة المنتجة، وهي طبقة الكادحين «البروليتاريا» لأن الطبقات الأخرى طبقات طفيلية لا تستحق البقاء، كل عملها أن تمتص دم الكادحين، وهي لا تتعب ولا تبذل جهداً، إنما تسرق الجهد لتعيش به حياة ترف وكسل وخمول..

---

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، ٤٢٤ - ٤٢٥.

(٢) المرجع السابق: ص٤٢٨، وينظر: عائد من الجحيم للكاتب: أنطوان دومازة/ طبعة ١٩٧٢م ففيه حقائق مذهلة عن الواقع المر الذي كانت تعيش فيه المجتمعات الشيوعية.



والطريق المؤدي إلى ذلك هو الثورة، وهي ثورة حمراء تراق فيها دماء غزيرة، حتى يستتب الأمن لطبقة البرولتاريا فتصل إلى السلطة وتبيد الطبقات الأخرى، ثم تلغي الملكية الفردية، حتى لا تظهر من جديد طبقة مالكة تستغل الكادحين.

ويرى الشيوعيون: أنه ما دام هناك دول رأسمالية وإقطاعية ما تزال قائمة في الأرض، فإن أعداء الشعب سيتعاونون معها، ولا ينبغي التهاون في هذا الأمر لحظة واحدة ولا التراخي مع أعداء النظام، أعداء الشعب، بل لا بد من مقاتلتهم بكل شدة[1].

● وبذلك تتشكل دكتاتورية جديدة باسم «طبقة البروليتاريا» وهي دكتاتورية بشعة إلى أقصى درجات البشاعة التي يتخيلها الإنسان.. لأنها دكتاتورية تقع على الطبقة الكادحة نفسها، باسم الحفاظ على مصالحها.. هذه طبقة من القطع الآدمية لا وزن لها ولا كيان، عملها أن تنتج كالآلة ثم تغرق حمأة الجنس كالحيوان، وليس لها بين هذا وذاك قلوب ولا مشاعر ولا وجود[2].

٣ - كفالة الدولة لجميع المواطنين:[3]

في الإعلان الشيوعي الذي أعلنه «ماركس» أوجب على الدولة أن تكفل لكل فرد من أفراد المجتمع ضروراته الأساسية، وهي الطعام والملبس والمسكن والجنس، باعتبارها حقوقاً طبيعية وضرورات ينبغي إشباعها.

---

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة ص ٤١٦ - ٤١٧.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢٩.

(٣) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة ص ٤١٧ - ٤١٨، وص ٤٣٢ - ٤٣٣، بتصرف وإيجاز.



ومقابل ذلك على كل قادر على العمل أن يعمل رجالاً ونساء، ومن لا يعمل لا يأكل، وتحدد الدولة لكل فرد في المجتمع نوع العمل الذي يقوم به ومكانه مقابل كفالة الدولة له.

والمرأة كالرجل، لا بد أن تعمل في أماكن العمل خارج البيت وتقوم الدولة بتقديم بطاقات تموينية موحدة، وتقدم الملابس مرة في الشتاء ومرة في الصيف، كما تعد سكناً لكل فرد، أما الجنس فتطلق فيه الحرية للأفراد، فينشؤون علاقاتهم الجنسية على النحو الذي يحلو لهم.

● ثم قام «لينين» بتعديل النظرية.. فصارت هناك مكاتب للزواج والطلاق، تقوم فقط بتسجيل ما يحدث من الزيجات والانفصالات.

●● إن كفالة الدولة لأفراد المجتمع هي كفالة الحد الأدنى من المعيشة مقابل تجنيدهم لحسابها، مع التهديد المستمر بقولها: من لا يعمل لا يأكل، فتحويل كل الناس إلى أجراء للدولة، إنما تستذلهم في الواقع بلقمة الخبز، لا يملكون أن يتوجهوا بكلمة نقد واحدة للقائمين بالأمر، خوفاً على لقمة الخبز أن تضيع.. وذلك عدا عن الإرهاب بالحديد والنار والتجسس عليهم دون التفوه بكلمة، أو إشارة تدل على عدم الارتياح فضلاً عن الاحتجاج الصريح.

لقدحولت الشيوعية حياة مجتمعاتها إلى جحيم لا يطاق داخل الستار الحديدي الذي تحطم بعد ذلك[1].

---

(١) ينظر: عائد من الجحيم لأنطوان دومازة، طبعة ١٩٧٢م.



٤ - إلغاء الدِّين:

تعتبر الشيوعية أن الدين أمر واجب الإلغاء لاعتبارات عديدة.

ـ أحدها أنه خرافة، ونحن الآن في عصر العلم؟!

ـ وثانيها أن الدين يخالف المعتقد الشيوعي القائم على أسس علمية ـ كما يرون ـ وهو أن المادة هي الأصل، وهي سابقة في الوجود على الفكر.

ـ وثالثها «أن الدين أفيون الشعوب» كان المستغلون من رجال الإقطاع والرأسمالية يستخدمونه لتخدير الجماهير كي ترضى بالظلم الواقع عليها، ولا تتمرد عليه[1].

● تقول صحيفة «البرافدا» لسان الحزب الشيوعي في عددها الصادر يوم ٢٦ نيسان ١٩٤٩م.

نحن نؤمن بثلاثة: كارل ماركس ولينين وستالين، ولا نؤمن بثلاثة أشياء: «الله والدين والملكية الخاصة».

وقال لينين في سنة ١٩٠٥م: «الدين أفيون الشعوب» وقال في سنة ١٩١٣م «ليس صحيحاً أن الله ينظم الأكوان والصحيح أن الله فكرة خرافية اختلقها الإنسان ليبرر عجزه».

وقال ستالين سنة ١٩٢٨م «يجب أن تقوم التربية في المدارس على أساس إنكار فكرة الله، ثم قال سنة ١٩٣٧م «يجب أن يكون مفهوماً أن الدين خرافة،

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٢٠.



وأن الإلحاد مذهبنا »[١] .

● وفي التطبيق العملي اشتد الشيوعيون في محاربة الدين، فلم يحرموا الحديث فيه فقط، ومعاقبة من يضبط (متلبساً) بالحديث في الدين مع شاب أو فتاة دون الثامنة عشرة، بل بالغوا في الاحتياط، فوضعوا في مناهجهم الدراسية درساً للإلحاد في مكان درس الدين، حيث يقال : لا إله والكون مادة، ولا مكان للمتدينين في الدولة الشيوعية، وقد قتل ستالين وحده « ثلاثة ملايين ونصف من المسلمين في عهده »[٢] .

● وقد حولت السلطات الشيوعية في الجمهوريات الاشتراكية المساجد إلى مراكز للترفيه عن « طلائع الاشتراكية العالمية » ومخازن للبضائع أيضاً .

ولم يفتها أن تترك مسجداً أو اثنين في هذه العاصمة أو تلك، كدليل على أن رعايا اتحاد الجمهوريات السوفياتية يتمرغون في نعيم الحرية الدينية .

وقد أغلق (٢٦ ألف مسجد) في جميع أنحاء هذه الجهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي، منذ أن قام الانقلاب الشيوعي حتى منتصف الخمسينيات[٣] .

---

(١) ينظر : كتاب فتاوى عن الشيوعية، د . عبد الحليم محمود، ص٣٥، طبعة دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، ص ٤٣٦ .

(٣) المسلمون تحت الحكم الشيوعي : محمد سامي عاشور ص٥٣ – ٥٤، مطابع دار القلم في القاهرة .



(٣)

الشيوعية وليدة الصهيونية ومخططات يهود:

الشيوعية فكرة صهيونية تخطيطاً وتطبيقاً، فعندما أعلنت ثورة أكتوبر الشيوعية عام ١٩١٧م، تولى رئاسة الحكومة اليهودي الصميم «لينين» وتولى وزارة الحربية «تروتسكي» اليهودي، الذي أسس الجيش الأحمر.

كان لينين يهودياً من ألمانيا ينتمي لأبوين يهوديين، وكانت زوجته يهودية كذلك.

وعندما تم تشكيل أول حكومة في روسيا، ألّفت أول مجلس شيوعي قوامه (٥٤٧ عضواً) منهم (٤٤٧ عضواً) من اليهود الغلاة المتعصبين المغامرين، وتأسست اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في بداية الحكم من «٣٨٨ عضواً» منهم (٣٧١) من اليهود، و(١٦ عضواً روسياً) وزنجي واحد[١].

● لقد أسهم أثرياء اليهود في أمريكا في تقديم الملايين للثوار البلشفيك، وفي الأيام الأولى للثورة استولى اليهود على السلطة وانتقموا من الشعب الروسي، وقتلوا ملايين الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال.

وبعد سنة واحدة من قيام الثورة في روسيا، كان تسلط اليهود على الدوائر الرسمية تسلطاً ساحقاً، كان فيها (١٧ وزيراً من أصل ٢٢ وزير من اليهود)

---

(١) ينظر: كتاب الشيوعية وليدة الصهيونية: أحمد عبد الغفور عطار (ص٤٧، ٦٦)، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.



وكانت نسبة اليهود في الوظائف الهامة نحو ٨٠٪[١].

وقد طغى الطابع التوراتي التلمودي على الثورة، فتحول قادتها من اليهود إلى وحوش كاسرة، هدفهم الأول سفك دماء غير اليهود، وتدمير كيانهم، فكان سادة البلاد يُدفن بعضهم حياً، ويشوى بعضهم على النار، وينشر بعضهم ما بين خشبتين[٢].

● فاليهود هم الذين خططوا للثور البلشفية، وهم الذين فجروها بعد أن موّلوها، ودربوا من يقومون بها، وهم الذين تولوا المجازر البشرية التي أودت بأرواح الملايين من الزعماء والكتاب والأدباء والمفكرين وغيرهم[٣].

● لقد كان ستالين نصف يهودي لأن عشيقته ثم زوجته (فيما بعد) والأثيرة لديه كانت يهودية، وكان قد زوج ابنته من صهيوني يهودي أيضاً[٤].

● وكان صاحب النظرية الشيوعية «كارل ماركس يهودياً مأجوراً، ولد لأبوين يهوديين، وقدْ موَّلهُ الكنيست اليهودي، كما موَّلَ (فردْريك إنجلز) وألف الاثنان:

«البيان الشيوعي» وتفرد كل منهما بوضع مؤلفات تعتبر مصدر الشيوعية ومرجعها، كما ألف (ماركس) كتابه **رأس المال** الذي أصبح كتاب الشيوعية الأول[٥].

---

(١) الأفعى اليهودية: عبد الله التل، ص٤٣ – ٤٤، الطبعة الثانية ١٩٧١م، المكتب الإسلامي.

(٢) الأفعى اليهودية: عبد الله التل، ص٤٥ – ٤٦.

(٣) الشيوعية وليدة الصهيونية: أحمد عبد الغفور عطار، ص٦٤.

(٤) المرجع السابق، ص٦٩.

(٥) المرجع السابق، ص٥٦.



●● ومن أبرز القادة الشيوعيين: تروتسكي، وهو يهودي حاقد، كان له أعظم شأن في تأسيس العهد السوفياتي، وقد أوتي هذا اليهودي الحاقد أبلغ قلم وأعمق ثقافة في مجموعة المثقفين الروس، وغيرهم من الأوربيين الذين اتخذوا من نظريات «ماركس» مذهباً للحكم والمعاش والسلوك.

يقول تروتسكي: «إن الحركة الثورية لا تعرف حدوداً قومية أو عنصرية أو دينية، فالزمالة الثورية يجب أن تكون فوق أي اعتبار، وأن تنشر قواعدها في كل وسط»

«والحقد هو أسهل معاول الصراع الطبقي. والصراع الطبقي عامل أساسي في النشوء والارتقاء.. ونجاح الدعوة الماركسية رهين بالثورة الدائمة..»[١].

● والمعروف في جميع أوساط العالم أن معظم قيادات حركات اليسار الثوري العالمية، كان فيها لليهود قدم ثابتة، بل زعامة مطلقة، بما في ذلك حركات اليسار في أوربا الغربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية.[٢]

● فقد عاث الشيوعيون الفساد والخراب في كل من المجر ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا وألمانيا الشرقية ويوغسلافيا، ثم تمكنت هذه الدول من التخلص من الحكم الشيوعي، لما رأت فيه من جرائم ومجاعات يشيب لها الولدان[٣].

---

(١) دور الماركسية في الاشتراكية العربية: د. عمر حليق، دار الكتاب العربي الجديد ١٩٦٥م، ص١٠ - ١٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥.

(٣) الشيوعية وليدة الصهيونية ص٨١ - ٨٤، أحمد عبد الغفور عطار. المكتبة العصرية. صيدا، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.



الفصل الثاني

الثورة الماركسية والقضايا العربية

(١)

الأنظمة العربية والاشتراكية الثورية:

لقد أطلت الاشتراكية على العالم العربي من خلال الحركة الاشتراكية التي بدأها حزب البعث الاشتراكي في سورية، ومن خلال النشاط الذي تقوم به الأحزاب الشوعية، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

غير أن الاهتمام بالاشتراكية لم يصبح جديداً وخطيراً إلا حين تبناها الرئيس المصري جمال عبد الناصر، حينما أصدر «الميثاق الوطني» عام ١٩٦١م، على الأسس الاشتراكية[١].

● فقد كان السوفييت وراء معظم الانقلابات الثورية التي وقعت في مصر وسورية والعراق، إذ ملأوا الفراغ بعد الحرب العالمية الثانية بأنصارهم وبنظم اشتراكية متواطئة معهم، فكانت ثورة ١٩٥٨م في العراق دموية حاقدة، ونقلوا الحرب إلى اليمن سنة ١٩٦٢م بواسطة جيوش جمال عبد الناصر[٢].

لقد احتضن الاتحاد السوفياتي إسرائيل، وكان المركز الرئيسي للأحزاب

---

(١) دور الماركسية في الاشتراكية العربية: د. عمر حليق، ص٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥٣ – ٥٤.



الشيوعية الثورية في الشرق العربي كله عند القيادة اليهودية اليسارية في فلسطين.

وتعتبر إسرائيل أول نموذج للاشتراكية العلمية الثورية خارج الاتحاد السوفياتي.. وكانت خطة الشيوعين هي التقاء العرب واليهود معاً على أخوة العقيدة الجديدة التي تمحو كل عقيدة غيرها، وذلك ما صرح به قادة الحزب الشيوعي في إسرائيل وفي سورية عام ١٩٥٠م(١).

● فالبضاعة الإشتراكية الثورية صاغها العقل اليهودي أصلاً، فقد كانت وما تزال مخصصة للتصدير الخارجي وللسيطرة على المعسكر الشرقي، وإلى جانب النفوذ الصهوني في الوسط الغربي أيضاً، ولذلك اجتمع الطرفان في الأمم المتحدة على افتراس فلسطين بكل شراسة(٢).

●● وكانت صداقة عبد الناصر لروسيا قد فتحت لها الأبواب في الساحة العربية، باسم استيراد العتاد العسكري ومشاريع التنمية(٣).

● وعبد الناصر هو الذي أعلن الحرب سنة ١٩٦١م على جميع الأنظمة العربية غير الاشتراكية في خطابه الشهير، وأنذر صراحة عزمه على التدخل ضد كل نظام باسم الثورية التقدمية.

«وفي هذه الفترة انتشرت الشيوعية في المشرق العربي، وظهرت صحف تمجد الشيوعية وتدعو إليها، وتنشرها بين طبقات العمال وظهر الشيوعيون

---

(١) دور الماركسية في الاشتراكية العربية: د. عمر حليق، ٥٦، ٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٢، الدكتور عمر حليق.

(٣) دور الماركسية في الاشتراكية العربية، ص٦٣ - ٦٤، ٨٥.



علانية وأيدوا إسرائيل ضد مواطنيهم العرب»[١] .

●● وقد حاول اليسار العربي الثوري أن يفرض على الأمة العربية عصبية عقائدية جديدة باسم مكافحة الاستعمار الجديد والرجعية .

كما أن الوجدان العربي كان يعتريه ـ وما يزال ـ أعمق الأسى لما حاق بقضية الكيان الفلسطيني من تطور، فمنظمة التحرير الفلسطيني كان يجب ألا تولد في أعتاب اليسار العربي، ولا أن تدين له بالولاء والطاعة[٢] .

كما أنه ينبغي ألا تقع في أحضان الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة لأن الولايات المتحدة أوصلتها إلى قمة التنازلات الذليلة فيما يسمى بعملية السلام مع إسرائيل .

(٢)

الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية ودور اليهود في تأسيسها

إن تاريخ الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية يشير إلى ظاهرة مهمة جداً في نشأة هذه الأحزاب في مواقفها من النزاع العربي الإسرائيلي، وفي مدى تأثرها بالعناصراليهودية التي حركتها الصهيونية العالمية لإقامة إسرائيل .

---

(١) الشيوعية وليدة الصهيونية : أحمد عبد الغفور عطار ص١١٧ .

(٢) دور الماركسة في الاشتراكية العربية، ص٦٨ ، ٨٢ .



ويمكن القول بكل تأكيد: إن الحركة الشيوعية في العالم العربي إنما أنشأها اليهود الذين كانوا أنشط العناصرداخل هذه الحركة[١].

● **وكان الحزب الشيوعي الفلسطيني أول حزب شيوعي تأسس في** المنطقة عام ١٩١٩م، وكان جميع عناصره من اليهود الروس، الذين حملوا بذور الفكرة الأولى إلى فلسطين.

● وفي عام ١٩٢٤م، **تأسس الحزب الشيوعي في لبنان**، حيث ساهمت بعض العناصر اليهودية الوافدة من فلسطين في إنشائه، وهي التي أوكلت إليها مهمة نشر الفكرة الشيوعية، والإشراف على تنظيم خلاياها في منطقة الشرق الأوسط[٢].

وقد تأسس الحزب الشيوعي في سوريا على يد يهودي يدعى: «شامي»، كان يتقن اللغة العربية، ويقيم في دمشق[٣].

وكان الحزب الشيوعي السوري قد بدأ نشاطه عام ١٩٢٢م معتمداً على الأقليات، وقد تولى زعامته خالد بكداش عام ١٩٣٢م وهو سوري من أصل كردي، وكان الحزب يعمل آنذاك على نطاق سوريا ولبنان، كما كانت مكانته

---

(١) ينظر: مجلة البيان العدد (٨٩) ص٩٢ - ١٠٢، مقال للدكتور محمد أمحزون.

(٢) ينظر: التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية: الغادري ص١٥٩، وقدري قلعجي: تجربة عربي في الحزب الشيوعي ص٥٨.

(٣) تجربة عربي في الحزب الشيوعي: قدري قلعجي، طبعة دار الكاتب العربي، بيروت، وقدري قلعجي شيوعي انشق عن الشيوعية وفضحها في كتابه هذا «ينظر الشيوعية وليدة الصهيونية: أحمد عبد الغفور عطار، ص٩١ - ٩٢.



تتأثر بموقف الاتحاد السوفياتي من القضايا العربية[١].

● كان المؤتمر الوطني الأول للحزب الشيوعي قد انعقد عام ١٩٢٥م شهر كانون الأول، وانتخب المؤتمر اللجنة المركزية للحزب من سبعة أعضاء.

وكان « جاكوب تيبر » اليهودي الروسي يحتفظ بأمانة الحزب العامة، وكان مبعداً إلى فلسطين، فقام « تيبر » بتزكية خالد بكداش، وترشيحه، حتى انتخب زعيماً للحزب الشيوعي السوري، وتقدم معه وجوه ثلاثة جديدة هم « نقولا شاوي وفرج الله الحلو - ورفيق رضا ».

وقد قام رفيق رضا بفضح أسرار الحزب واتصالاته المشبوهة بعد ثلاثين عاماً[٢].

● وقد كتب (رفيق رضا) بعد خروجه من الحزب « وكان عضواً في قيادته المركزية » مسلطاً الأضواء على الجوانب المظلمة فيه، في بيان نشرته (جريدة الجماهير السورية)، جاء فيه:

« لقد وفد إلى بيروت عام ١٩٣٢م، عدة مندوبين شيوعيين يهود، حملوا معهم مبالغ وافرة من المال إلى قيادة الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان، وقد أبدلت لهم شخصياً قسماً من الأموال التي حملوها بالعملة المحلية آنذاك.

وفي عام ١٩٣٨م، حملت إلى الحزب مبلغ ٢٥ » ألف فرنك فرنسي، كان الحزب الشيوعي الفرنسي قد قرر آنذاك وصعها تحت تصرف الحزب الشيوعي

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود حسن صالح منسي، ص٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) ينظر: الغادري: التاريخ السري للعلاقات الشيوعية - الصهيونية، ص١٥٩، وقدري قلعجي: تجربة عربي في الحزب الشيوعي، ص٥٨.



السوري لتوسيع حملته من أجل إقرار المعاهدة الفرنسية البغيضة، ومحاربة الاتجاه الوطني في ذلك التاريخ، هذا مع العلم أن «خالد بكداش نفسه قد نقل مبلغاً آخر من الأموال، حين كان في باريس مشتركاً في مؤتمر «آرل» الشيوعي الفرنسي[1].

● كما استعار الحزب الشيوعي السوري اللبناني، أسماء صحفه التي أصدرها، من أسماء صحف الحركة الشيوعية اليهودية في فلسطين، أمثال: صوت الشعب، وجريدة النور.

ولذلك لم يكن غريباً أن يقف هذا الحزب وبقية الأحزاب الشيوعية العربية موقفاً مؤيداً لحق إسرائيل في فلسطين على حد قول رفيق رضا، عضو اللجنة المركزية المنشقّ، وكانت قيادة الحزب الشيوعي تضاهي حماس «بن جوريون» لبعث الدولة اليهودية في فلسطين، لأن إسرائيل في نظرها واحة من واحات الديمقراطية في الشرق الأدنى، والشعب الإسرائيلي المشرد، لا بد أن يلتقي في أرض الميعاد.

فمنذ اليوم الأول لإعلان التقسيم، نادت الأحزاب الشيوعية بعدالة هذا التقسيم ودعت إليه بحرارة[2].

● **وكان الشيوعيون العرب في فلسطين**: قد وقفوا منذ للحظة الأولى إلى جانب إخوانهم الشيوعيين اليهود، مطالبين بحق اليهود في إقامة دولة إسرائيل واستقلالها عن العرب، وطالبوا بإجراء مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والحكومات العربية، وشددوا على ضرورة سحب القوات العربية «المعتدية»؟!

---

(١) صحيفة الجماهير السورية: ١٣ / تموز / ١٩٥٩م.

(٢) الغادري: التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية، ص١٦٢، ١٧١.



من إسرائيل .

ولم يكن حال الحزب الشيوعي المصري أحسن حالاً من الشيوعيين العرب في فلسطين، فطالبوا بنفس المطالب في بياناتهم[1] .

●● ولم يكن الحزب الشيوعي السوري وحده الذي أسسه اليهود، **فالحزب الشيوعي المغربي : أسسه اليهود أيضاً تحت قيادة «ليون سلطان»** عام ١٩٣٤م، وهو يهودي مغربي، وقد استمر الحزب على هذا المنوال حتى ما بعد الاستقلال، حيث ترأسه «علي يعْتة» بعد وفاة «ليون سلطان» وهو من أصل جزائري، كان قد حصل على الجنسية الفرنسية، عندما كان عاملاً في فرنسا .

وقد ظهر «علي يعتة» بمناسبة (عيد رأس السنة الميلادية عام ١٩٩٤م، في معهد يهودي مرتدياً طاقية اليهود التقليدية، وهو يستمع إلى الحبر الكبير «الحزّان» .

والمشهد المذكور موثق بصورتين لعلي يعتة، وهو داخل المعبد اليهودي، التقطهما مصور الأسبوع الصحافي السياسي[2] .

● وقد تبنت الأحزاب الشيوعية الأخرى (في المنطقة العربية) رعاية اليهود في كل من مصر والعراق أيضاً[3] .

---

(١) صحيفة صوت البروليتاريا في ٣ / تشرين الثاني / ١٩٤٨م .

(٢) الأسبوع الصحافي السياسي : ٧ / يناير / ١٩٩٤م، ص١، ٧ . ومجلة البيان : العدد (٨٩)، د. محمد أمحزون ص٩٧ .

(٣) ينظر تفصيلاً لذلك : مجلة البيان العدد (٨٩)، ص٩٩ – ١٠٠ .



●● أما الحزب الشيوعي في مصر:

فقد أسسه اليهودي الروسي «هنري كوريل»، كما أسس «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني» الذي اختصر باسم «حدتو» كانت هذه المنظمة من أكبر المنظمات الشيوعية في القطر المصري.

ثم نظم اليهود منظمات شيوعية أخرى، مثل: «الديمقراطية الشعبية، والمنظمة الشيوعية المصرية».

وفي العراق: نشأت الشيوعية على يد اليهود كذلك مثل: ناجي شميل وساسون دلال وغيرهما(١).

● وقد تسترت الأحزاب الشيوعية في العالم العربي وراء الأماني الوطنية والقومية، ومناهضة الاستعمار والأحلاف الاستعمارية وأثّرت بسبب ذلك في نفوس الشباب، والعمال وطلاب الجامعات، وذلك لشدة وطأة الاستعمار الغربي آنذاك وهمجيته في العالم العربي، مع وقوفه العلني مع الكيان الصهيوني في فلسطين، وإن كانت الكتلة الشيوعية قد وقفت لصالح هذا الكيان منذ تأسيسه عام ١٩٤٨م، وحتى اليوم(٢).

●● فكيف يؤمل من هذه الأحزاب أن تنهض بالأمة، وهي التي ارتمت في أحضان يهود الشرق؟! ونفذت مخططاتهم لصالح دولة إسرائيل؟!

فالتنسيق قائم بين السياسة الشيوعية والسياسة الصهيونية، وهو تنسيق ماكر لئيم، أتاح للمتاجرين بقضية فلسطين أن يتقدموا للزعامة والقيادة، تقدمت

---

(١) ينظر كتاب الشيوعية وليدة الصهيونية: أحمد عبد الغفور عطار، ص٨٦ – ٩١.

(٢) ينظر الشيوعية وليدة الصهيونية، ص ٩٧ – ١١٣.



القيادات العلمانية وانضوى تحت لوائهم أبناء فلسطين المخدوعين بالشعارات الثورية.

لقد تسللوا إلى هذا الطرح وهذا التنازل في غياب الإسلام عن الساحة كمنهج حياة، فاليهود يدركون جيداً أن الإسلام يقف سداً منيعاً أمام التنازل والتبعية[1].

(٣)

دور اليسار العربي

بعد انهيار الأنظمة الشيوعية في العالم

لقد سقطت الشيوعية في روسيا وأوربا الشرقية، وفي أنحاء العالم كله، لأنها أنظمة تخالف الفطرة، وتحادّ سنن الله في خلقه..

فشلت الشيوعية في تنبؤاتها وتوقعاتها، رغم كابوس الإرهاب والفقر والمجاعة، التي باتت تهدد الدول الاشتراكية، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي الذي انهار أخيراً انهياراً مزرياً.

● إلا أن الذي يحير الباحثين، هو ذلك السؤال الذي يتمثل في المقولة التالية: «لماذا سقطت الشيوعية في روسيا وأوربا الشرقية.. بينما ازدهرت فجأة في عدد من البلدان العربية؟!»

لقد فشل الفكر الاشتراكي الماركسي بعد سقوط تلك الحكومات التي

---

(١) ينظر مجلة البيان العد (٨٩) ص ١٠١ - ١٠٢، شهر محرم ١٤١٦هـ بإيجاز وتصرف.



كانت تمدُّه بالعون والقوة. ونشأ في بعض البلدان العربية في الثمانينيات نخب شيوعية قوية في مواقع مؤثرة ثقافية وإعلامية، تتعاون مع أنظمة حكومية معادية للإسلام، وذلك بعد ظهور نظرية الخطر الإسلامي لدى الغرب والمتغربين، إذ استغل الغرب وأتباعه خبرة الكوادر الشيوعية السابقة في حربها للإسلام والاتجاهات الإسلامية، من أجل ضرب التيارات الإسلامية، لأنها تعتبر أقوى من سائر القوى العلمانية المتغربة، من ناحية التصدي للفكر الديني والإسلامي خاصة[1].

● فها هي الأحزاب الشيوعية تقام هنا وهناك، في وقت تلغى فيه الأحزاب الشيوعية الكبرى في شرق وغرب أوربا، وصارت تغير أسماءها خجلاً وعاراً رغم طول تاريخها.

وها هي الصحف والمجلات ودور النشر تنشأ في بلادنا المسلمة، ناهيك عن التجمعات الشيوعية الثقافية والأدبية والنسوية، التي ظهرت بشكل سافر، أما دعاة الشيوعية السابقون، الذين كانوا قد سقطوا وأفلسوا فكرياً، فها هم يقفزون إلى مواقع الوزارات، والصدارة في شتى المؤسسات، ويناط تشكيل النظام التعليمي بهم، وكذا تكوين الرأي العام من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

ها هم يرسمون السياسات الاقتصادية والسياسية في بلادنا.. كل ذلك يتم بمخطط محكم، حتى تؤدي الزمرة الشيوعية دورها في التصدي لصعود قوة الإسلام الحديثة، وفي ذلك تجد فرصتها الوحيدة للبقاء.

●● والصورة التي تواجهنا هنا، هي التقاء مصالح ومخططات اليسار

---

(١) ينظر مجلة البيان: العدد (٦٧) ربيع الأول ١٤١٤هـ مقالاً بعنوان: الشيوعيون والوظيفة الجديدة، د. محمد يحيى، ص٩٥ - ١٠٢.



الجديد مع الأنظمة الدكتاتورية في المنطقة العربية .

فالنخب اليسارية بحكم خبرتها السابقة المتخصصة في مواجهة الإسلاميين والتوجهات الإسلامية، استخدمتها القوى الشريرة لإجهاض عودة الإسلام إلى سابق تألقه، وباتت هذه النخب تخترع ألفاظاً حاقدة، كالظلامية والأصولية والسلفية، بطريقة يشوهون بها صورتها، وصورة دعاة الإسلام الصادقين .

● إن ما يحدث حالياً هو استراتيجية، وُضعت بعناية لتتكامل مع خطط أخرى أمنية واجتماعية وسياسية، كي تضرب الإسلام في جذوره، ويأتي دور هذه البقايا الشيوعية، لتتخذ دور المنقذ الباحث عن لعب الدورالخبيث، ليخدم ذوي الشأن من الطغاة والمتسلطين[1] .

●● والحقيقة أن تيارات اليسار العربي، قد ازدادات حيوية ونشاطاً، بعد سقوط معاقل اليسار في الغرب والشرق، واستطاعت الاستيلاء على الكثير من المناصب والمنابر الإعلامية والثقافية والعلمية .

والسبب في ذلك، أن الحكومات العربية، كانت تتخوف من هذه التيارات اليسارية، إلا أن الخوف قد زال بعد سقوط اليسار عالمياً، لأنه أضحى في وضع ضعيف لا يشكل خطراً على تلك الحكومات .

والسبب الثاني: هو أن الوضع الجديد، بات يتطلب التكاتف والتعاون ضد عدو حقيقي آخر هو «الأصولية» كما سمّوها، و لا أدل على ذلك من هذه الأحزاب الشيوعية والاشتراكية، التي أصبحت تصول وتجول في الساحة العربية،

---

(١) ينظر مجلة البيان العدد (٦٧) ص١٠٢ – ١٠٦ ، بتصرف وإيجاز، من مقال للدكتور محمد يحيى .



بينما يزج بآلاف الدعاة والعلماء والشباب الصالح في غياهب السجون.

● ومن أمثلة المحاولات المستميتة لإحياء اليسار، وتلميع أصحابه، ما نراه من تغلغل اليسارفي المنابر الثقافية والإعلامية، فمثلاً: جابر عصفور هو رئيس تحرير مجلة (فصول) حالياً، وهو يساري معروف. ورئيس تحرير مجلة (القاهرة) هو غالي شكري، وهو نصراني يساري، ورئيس تحرير مجلة (إبداع) هو أحمد عبد المعطي حجازي، اليساري الحداثي.

وينطبق هذا الأمر على وضع كثير من الدول العربية مع الأسف[١].

(٤)

فتاوى العلماء عن الشيوعية بأنها كافرة ملحدة

تعتبر الشيوعية من أخطر المذاهب محاربةً للإسلام، وأحرصها على تدميره، هي مذهب إلحادي حاقد، ينبع من أحقاد اليهود التلمودية، ونظريات الإجرام الماركسي العالمية، فقد قتل ملايين المسلمين بعد الثورة الحمراء في روسيا، والجهوريات السوفياتية، ونهبت أموال الباقي ونكل بكل متدين، وضرب بيد من حديد على كل متنفس بالدين. لقد تحول الشيوعيون من أعضاء الحزب إلى طبقة من السادة المترفين، وأصبح سائر الناس عندهم طبقة من القطعان التي لا حول لها ولا قوة[٢].

---

(١) ينظر: مجلة البيان، العدد (٦٠) ص٩٢ - ٩٣ شهر شعبان ١٤١٣هـ، شباط ١٩٩٣م.

(٢) فتاوى عن الشيوعية: د. عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر، طبعة دار المعارف، الطبعة الثانية، ص٧.



لقد ضيق الشيوعيون الخناق على حرية المسلمين، فأغلقوا المساجد ومنعوا الأذان والصلاة والصيام، وقتلوا العلماء وسجنوا آخرين، وعملوا على توطين الملايين من غير المسلمين في ديار المسلمين، كما أجبروا المسلمين على الزواج المختلط، وصادروا أراضيهم، فأفقروهم إلى درجة المجاعة، ينطبق ذلك على مسلمي الصين وروسيا وألبانيا ويوغسلافيا وبلغاريا[١].

● فالشيوعية مذهب إلحادي كافر لا شك ي ذلك، والذين يدينون بها ليس لهم في الإيمان نصيب.

وقد أنشأتْ الشيوعية معاهد رسمية لتعليم الإلحاد، وهي تنفق الملايين في كل الأقطار لنشر الإلحاد، ويقول قادتها صراحة: إن الإلحاد جزء لا يتجزأ من الشيوعية، ولاإله والمادة موجودة[٢].

● وقد تصدى علماء المسلمين لهذا المذهب، وأصدروا الفتاوى التي تكشف حقيقته.

فقد صدرت فتوى من كبار العلماء في العراق، أيدها وزير العدل على أن «الشيوعية كفرٌ بالله، وشرك به سبحانه، ودعوة إلى التحلل من القيم الروحية التي يدعو إليها الإسلام، والشيوعية مذهب يتعارض ويتنافى مع الدين الإسلامي، وهما ضدان لا يجتمعان»[٣].

●● وقد أصدرت المحكمة الشرعية السنية في مدينة البصرة في العراق، بأن

---

(١) ينظر: المسلمون في المعسكر الشيوعي: الدكتور علي المنتصر الكتاني، نشر رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، في الأول من شهر شعبان، ١٩٩٣م.

(٢) فتاوى عن الشيوعية: د. عبد الحليم محمود، ص٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٣١ - ٣٢.



الشيوعية متنافية ومتعارضة مع شروط الحضانة التي نص عليها فقهاء الإسلام، وذلك بمناسبة دعوى رفعت إليها، لاستلام والد طفلة كانت أمها شيوعية، مما سبب إسقاط حضانتها، لعقيدتها الشيوعية واختلاطها بالشيوعيين، ومرافقتها لهم.

وقد صدقت رئاسة مجلس التمييز الشرعي على ذلك الحكم، وسلمت الطفلة لوالدها، كان ذلك في ٢٢ / ١٢ / ١٩٦٠م[١].

● **وقال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف، المفتي السابق في الديار المصرية**: «إن الإسلام الحنيف والشيوعية الحاقدة الضالة، لا يمكن أن يجتمعا في تراب واحد، وهل يجتمع إيمان بالله ووجوده وألوهيته وربوبيته، وإيمان بكتبه ورسله، مع جحود وكفر وعناد، ومحاربة في كل فرصة للإله الواحد ورسله وكتبه»[٢].

●● وفي شهر مايو عام ١٩٧٦م أذاعت محطة القرآن الكريم سؤالاً عن زواج المسلمة بالشيوعي: «أجائز هو شرعاً، أم غير جائز؟».

فرد فضيلة الشيخ حسنين مخلوف على الفتوى في إذاعة القرآن الكريم، مبيناً أن ذلك غير جائز، وكذلك في زواج المسلم بالشيوعية.

ذلك أن الشيوعية مذهب أكثر ضلالاً من الشرك، فالمشركون يعتقدون بآلهة متعددة، أما الشيوعية فهي إنكار مطلق للألوهية وللدين والإسلام خاصة.

---

(١) ينظر تفصيلاً للفتوى في كتاب: فتاوى عن الشيوعية للدكتور عبد الحليم محمود ص ٣١ - ٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص٥٤.



ثم يقول رحمه الله: «وقد أجمع المسلمون على عدم زواج المسلمة بغير المسلم، ولم يخالف في ذلك أحد أبداً»[1].

●● **وقال الشيخ محمد بخيت المفتي الأسبق للديار المصرية:**

«الشيوعيون ينكرون الأديان والأخلاق، إنهم ملاحدة وهم كفار».

وكانت فتوى الشيخ - رحمه الله - طويلة مستفيضة، ربط فيها بين الشيوعية والمزدكية التي أحلت النساء والأموال..

فعلى كل مسلم صادق، أن يبتعد كل البعد عن ضلالاتهم وعقائدهم الفاسدة، فإنهم بلا شك كفار، لا يعتقدون بشريعة من الشرائع الإلهية، ولا يعتقدون بدين سماوي[2].

* * *

(١) فتاوى عن الشيوعية: د. عبد الحليم محمود، ص٥٩، ٦١.

(٢) المرجع السابق، ص٦٢، ٦٥، من فتاوى الشيخ محمد بخيت، المفتي الأسبق للديار المصرية.

الباب الثالث

الحركات القومية في النصف الثاني من القرن العشرين

تمهيد: جذور الفكر القومي في بلاد الشام

١ - دور الحركات القومية في أواخر العهد العثماني.

٢ - أحزاب ذات صبغة إقليمية وطائفية: الحزب القومي السوري - حزب الكتائب

٣- أبرز دعاة الفكر القومي العلماني: ساطع المصري - زكي الأرسوزي.

الفصل الأول:

حزب البعث العربي الاشتراكي

١ - نشأة الحزب وأبرز قادته ومؤسسيه.

٢ - المبادئ الأساسية لحزب البعث.

٣ - شعارات الحزب: (وحدة - حرية - اشتراكية) بين النظرية والتطبيق.





٤ - ماذا قدم حزب البعث للبلاد خلال حكمه الطويل؟!

الفصل الثاني:

حركة القوميين العرب

١ - الاتجاه القومي للحركة.

٢ - الاتجاه الاشتراكي الماركسي.

٣ - التطبيق العملي لمبادئ الحركة.

الفصل الثالث:

الاتحاد الاشتراكي.

١ - نشأته بعد عام ١٩٦٣م.

٢ - الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكي.

٣ - أهداف الاتحاد الاشتراكي من خلال شعاراته.

٤ - التطبيق العملي لسياسة الاتحاد الاشتراكي مع العدو الصهيوني.

تمهيد

جذور الفكر القومي في بلاد الشام

(١)

في الكتاب السابق « المؤامرة الكبرى » تحدثنا عن دور الحركات القومية، في إسقاط الخلافة، وتمزيق وحدة المسلمين.

فقد كان اليهود والنصارى وراء تلك الحركات، ممثلين في يهود الدونمة ومنظمات الماسون، في تحريك جمعية الاتحاد والترقي بقياداتها المشبوهة.

وكانت الصليبية متمثلة بالإنجليز والفرنسيين،و راء خداع الحسين بن علي، والحركات القومية في بلاد الشام، فثاروا ضد الخلافة، وأعانوا الغزاة على احتلال الديار والعواصم الكبرى: دمشق والقدس وبيروت...

لقد كانت المؤامرة أليمة والمأساة موجعة، فتمزقت بلاد الشام إلى دويلات متفرقة، زرع الحلفاء فيها قيادات طائفية أو علمانية، وهيأوا فلسطين لتكون لقمة سائغة ليهود وعصابات صهيون[١].

● كانت الدعوة إلى القومية العربية مرحلة مؤقتة للتمرد على الخلافة، وهاهم نصارى المشرق ولبنان خاصة، يتنكرون للدعوة القومية، ويعلنونها طائفية

---

(١) ينظر: لمؤامرة الكبرى على بلاد الشام: محمد فاروق الخالدي، الباب الثالث، ص١٤٨ - ٢٢٠، دار الراوي للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



حاقدة، فهل يعي المسلمون هذا الدرس؟![1]

● وقد أثار المستعمر النزعات الوطنية العلمانية، والاتجاهات القومية الملحدة، والطائفية الحاقدة، التي ساهمت في تكريس الانتداب، وخدمة مصالح المستعمرين.

●● وبعد جلاء القوات الغازية عن البلاد، أكملت تلك القيادات العلمانية، والأحزاب القومية المسيرة الشوهاء..

ثم ظهرت أحزاب قومية علمانية تحكمت في مسيرة الأمة، في الشام والعراق، واستلم الموارنة دفة الحكم الطائفي في لبنان، أما فلسطين فقد تسلط عليها اليهود من خلال مؤامرة خبيثة، ومعاهدات غادرة، لا تزال آثارها حتى اليوم[2].

ثم تكونت أحزاب إقليمية، كالحزب القومي السوري، وحزب الكتائب في لبنان، وكانت ذات نزعة طائفية نصرانية، أو عرقية وثنية، حيث كانت فكرة الاتجاه القومي السوري تلقى رواجاً لدى خريجي مدارس الإرساليات الأمريكية، ومعظمهم من الأرثوذكس، كما كانت الفكرة السورية تلقى تشجيعاً من قبل فرنسا، إذ كانت تدعو صراحة لإنشاء دولة سورية تحت حماية فرنسا[3].

● لقد انصهرت الأجناس كلها، واللغات كلها، في بوتقة الإسلام ولغة

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٥ - ١٥٧.

(٢) ينظر: المؤامرة الكبرى، ص١٤٨ وما بعدها، والباب الخامس، مرحلة الانتداب.

(٣) المرجع السابق: ص ١٥٧ - ١٥٨.



العرب، فجاء هؤلاء يمزقون الأمة المسلمة، ويتخلون عن وحدتها، حينما كانت تظلها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٢)

● ففي عام ١٩٣٢م أُسّس الحزب القومي السوري، على يد زعيمه «أنطون سعادة»، وكان حزباً فاشياً، هدفه الرئيسي، إحياء الكيان السوري أيام جاهلية الفينيقيين والآراميين، ويضم «سوريا ولبنان والأردن والعراق وسيناء وقبرص وفلسطين».

ويعتبر (سعادة) أن السوريين هم ورثة الحضارات القديمة، وليسوا جزءاً من الأمة العربية.

وقد ركزت مبادئ الحزب، على تبني العلمانية، وإجراء التحديث، و كانت أوامر الزعيم مقدسة، كما كان أنصاره يتميزون بالروح الفدائية والطاعة العمياء، و لم تكن لهم شعبية تذكر في بلاد الشام، ولذلك كان أسلوب المؤامرات والاغتيالات هو السائد لدى الحزب[١].

● فقد قام أعضاء الحزب باغتيال «العقيد عدنان المالكي» أحد كبار ضباط البعث في دمشق، عام ١٩٥٥م، كما قاموا باغتيال «رئيس وزراء لبنان: رياض الصلح» خلال زيارته للملك عبد الله بن الحسين في الأردن عام ١٩٥١م، وحاول الحزب تدبير انقلاب في لبنان، لكنه فشل، ثم صُفّي الحزب بعد ذاك في كل من سوريا ولبنان، وأعدم أنطون سعادة في بيروت، بعد أن سلّمه حسني

---

(١) ينظر: الهلال الخصيب، د. محمود حسن صالح منسي، ص٢٤١، جامعة الأزهر، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.



الزعيم إلى النظام اللبناني[1].

● كان أنطون سعادة (١٩٠٤ - ١٩٤٩م) يدعو إلى القومية السورية، التي يعتبرها ديناً جديداً، يوحد السوريين على اختلاف نزعاتهم، ويعتبر أن العالم العربي، مجموعة من الأمم لا أمة واحدة.. ويسمي هذه القومية الإقليمية، «العروبة الحقة»[2].

كتب سعادة عدة مقالات بأن: «العروبة قضية خاسرة في سورية مضيعة لكل مجهود تقوم به الأمة السورية لحفظ كيانها»، «وهي مرض نفسي شوه العقل السوري والإدراك والمنطق»، «أما الحل فهو إقامة الوحدة السورية والقضاء على القومية العربية..».

● وكان بيير الجميّل: قد أسس حزب الكتائب، الذي يؤمن بأن «لبنان مبدأ روحي ورسالة، ولبنان ينتمي إلى الغرب والشرق معاً»[3].

ويرى أن لبنان ضروري للغرب، لأنه يفسر للعرب ثقافة الغرب وأفكاره وقيمه، وهو ضروري للشرق العربي لأن هذا الشرق مدين إلى لبنان بنهضته الفكرية في القرن التاسع عشر[4].

● وقد كان لهذا الحزب الفاشي الطائفي، دور كبير في الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٥٦ - ١٩٧٦م) وتوجهاته تميل إلى إسرائيل أكثر من العرب

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية: محمد الخير عبد القادر، ص٣٢، مكتبة وهبة. القاهرة ١٤٠٥هـ.

(٣) جريدة كل شيء/ بيروت، عام/ ١٩٤٩م.

(٤) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، ص٣٣.



والمسلمين.

(٣)

وكان من أبرز دعاة الفكر القومي العلماني الحديث **ساطع الحصري**: ويعتبره القوميون فيلسوف القومية العربية.

«لقد كان الحصري هو العقل المفكر لفتنة القومية التي لم يأت منها إلا أننا كنا أمة واحدة هي «أمة محمد» فصرنا جمعية أمم، وكنا إخوة يجمعنا الحب في ظلال الإيمان، فصرنا أعداء تفرقنا هذه الدعوة الجاهلية..

وقد أفسد مناهج سوريا لما دعا بعد الاستقلال لإصلاحها، إذ كان يعتبر من السابقين والمربين العرب، وإن عاش حياته الطويلة، ومات وهو لا يحسن العربية لانطقاً ولا كتابة، كان من المشتغلين بالتربية من عام ١٩٠٨م في تركيا ثم في الشام والعراق»[١].

●● لقد كان فكر الحصري يمثل جاهلية جديدة، باسم القومية العربية.

كان يستمد نظريته القومية من النظرية الألمانية، التي تقول باللغة والتاريخ، وكان من أكبر أساتذته «ماكس مولو» وماكس نوردو، وهما فيلسوفان يهوديان، كانا يقصدان من وراء نظريتيهما إحياء القومية اليهودية[٢].

●● ومعلوم أن الحصري قد ربي في تركيا، وتلقى في شبابه التربية لدى

---

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ج١، ص٦٥ – ٦٦، دار المنارة للنشر، جدة، طبعة ثانية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٢) أخطاء المنهج الغربي الوافد: أنور الجندي ص٢٠٦، دار الكتاب اللبناني عام ١٩٧٤م.



جيل تركيا الفتاة ذات التوجه الطوراني اليهودي[1].

● وكان الحصري قد شغل مراكز هامة في وزارة التربية العثمانية، وصار وزيراً للتربية في حكومة الملك فيصل بن الحسين، ثم عين وزيراً للتربية في العراق.

وكان الحصري معروفاً بولائه للمبشرين، ويرى أن الرابطة القومية أقوى وأعم من الرابطة الإسلامية، وأن الوحدة الإسلامية باتت حلماً وخيالاً.. وأن الدين طارئ على الأمة العربية، وكان همه بعث أمجاد العرب قبل الإسلام، بل كان يدعو إلى دراسة الحثيين والآشوريين والآراميين والبابليين والعبرانيين، ويشرح أمجاد هذه الأمم البائدة «من خلال آثارها» تلك الأمم التي أهلكها الله بكفرها، ويدعو إلى الفخر بتلك الوثنيات وآلهتها المتمثلة بعبقرية النحت والاختراع[2].

● كان الحصري لا يرى إقحام الدين في السياسة، وما الدين إلا نصوص الأوامر والنواهي الدينية، ويجب أن تفسر وتنفذ حسب ظروف الزمان والمكان، فالنصوص شيء، والتفسير شيء آخر، «وما كان يصلح للناس في القرن الأول لا يصلح لغيرهم في القرن الرابع عشر، وما يناسبنا اليوم، نحن معشر العرب، هو أن نعلّق هذه النصوص وغيرها»[3].

---

(١) الفكر العربي في عصر النهضة: ألبرت حوراني، ص٣٧١، دار النهار - بيروت، ترجمة كريم عزقول.

(٢) ينظر: الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام: منير محمد نجيب، مكتبة المنار بالأردن، ط: ثانية، ١٤٠٣هـ. ص ٩ – ٢٩.

(٣) العروبة أولاً: ساطع الحصري، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٥٥م، ص١٠٦.



فالحصري يدعو إلى علمانية متطرفة، يشجب فيها خط القرآن، خط الافتخار بحمله لواء العقيدة، عقيدة الإيمان بالله تعالى ولعن الأمم الكافرة المعادية لمنهج الله.. وهي نكسة إلى الجاهلية ةالأولى..

وقد نفذ الحصري مفاهيمه هذه، منذ أن استلم وزارة المعارف في عهد فيصل بن الحسين ١٩١٨م بدمشق وفي العراق طيلة عهد فيصل أيضاً.. وقد استطاع أن يعمم هذا الخط عن طريق الجامعة العربية، وعمله من خلالها ومن واقع الاتفاقيات الثقافية[١].

● وكان زكي الأرسوزي: قد أسس عصبة العمل القومي، وهو من كبار النصيريين في إسكندرونة، وتعتبر هذه العصبة أول حزب في سورية، يقوم على أسس من المبادئ العلمانية الاشتراكية، وكان من أعضاء هذا الحزب «نذير فنصة» مستشار حسني الزعيم وعديله، و«أحمد الشراباتي» الذي صار وزيراً للدفاع فيما بعد، وكان مسؤولاً عن هزيمة الجيش عام ١٩٤٨م مع إسرائيل، واتهم بالإهمال والخيانة واستقال[٢].

●● يعتبر فكر الحصري والأرسوزي مرجعاً أساسياً لدى القوميين العرب فيما بعد، وتعتبر الحركات القومية الحديثة استمراراً لهذا الفكر، وتطبيقاً لهذا الانحراف، طوال النصف الثاني من القرن العشرين، وسوف نتحدث عن أبرزهذه الحركات وهي: (حزب البعث والقوميين العرب، والاتحاد الاشتراكي) في الفصول القادمة.

---

(١) الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، ص٢٣- ٢٤، بتصرف وإيجاز.

(٢) النكبات والمغامرات: بشير فنصة ص٦٣ (بتصرف)، دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٦م.



الفصل الأول

حزب البعث العربي الاشتراكي

١ - نشأة الحزب وأبرز قادته :

ـ من النصارى والدروز والنصيريين والإسماعيليين .

٢ - المبادئ الأساسية للحزب :

ـ الوحدة ، النظام البرلماني الدستوري ، رسالة الأمة العربة .

ـ سياسة الحزب التربوية والتعليمية .

ـ السياسة الخارجية للحزب .

٣ - شعارات البعث بين النظرية والتطبيق .

ـ الوحدة والحرية والاشتراكية إلى أين ؟ !

وهل حقق الحزب منها شيئاً ؟ !

٤ - ماذا قدم البعث للبلاد خلال حكمه الطويل ؟ !

ـ علمانية الدستور والقوانين .

ـ مداهمة المساجد على المصلين .

ـ محاربة الحجاب وتشجيع السفور والاختلاط .

- انتشار الرشوة وتغلغل الفساد وتدهور الاقتصاد.

- شيوع الرعب والإرهاب في البلاد.

- سقوط الجولان عام ١٩٦٧م، والانسحاب أمام إسرائيل في حرب ١٩٧٣م، وفك الارتباط من خلال اتفاقية فصل القوات عام ١٩٧٤م.

(١)

نشأة الحزب وأبرز قادته ومؤسسيه

ابتدأت حركة حزب البعث على شكل تجمع دون وضوح فكري معين وذلك عام ١٩٤٣م، أما تأسيسه الحقيقي فقد كان عام ١٩٤٧ كما جاء في كتاب « نضال البعث » لميشيل عفلق.

أسسه ميشيل عفلق وصلاح البيطار، وكان حزباً علمانياً جعلا شعاره: « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » « وحدة - حرية - اشتراكية ».

يعتبر عفلق من مواليد دمشق عام ١٩١٠م، درس في باريس دراسته الجامعية، والتقى مع صلاح البيطار خلال دراستهما هناك، وتشرب الروح القومية السائدة في أوربا آنذاك ثم عادا إلى سوريا عام ١٩٣٣م يحملان الأفكار القومية الغربية ليطبقاها في بلاد المسلمين.

وقد ساهم في تأسيس الحزب أيضاً: جلال السيد وزكي الأرسوزي ثم اندمج الحزب مع الحزب العربي الاشتراكي بقيادة أكرم الحوراني في حزب واحد سمي: « حزب البعث العربي الاشتراكي » وذلك عام ١٩٥٣م.

● وكان معظم أعضاء الحزب الأوائل من المهاجرين (من الريف) الذين قدموا إلى دمشق، فكان عدد السكان الأصليين الذين انضموا إلى الحزب قليلاً جداً »[١].

---

(١) ينظر: الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام: منير محمد نجيب، ص٣٣، ص٧٨،



● ذلك أن الشروط الاجتماعية في الريف كانت مواتية لنشوء الحزب وامتداده، ولأن الأقليات الدينية تتركز أصلاً في المناطق الريفية، باعتبار أن سكان المدن الكبرى من أهل السنة[1] ».

●● كان حزب البعث حزباً طائفياً من خلال مؤسسية وقادته، ومن خلال مفكريه وواقعه خلال ممارسات الحكم.

فمن أبرز القادة الدروز الذين كان لهم دور فعال في أحداث سوريا والعراق:

الضابطان: حمد عبيد وسليم حاطوم (وآخرون) وقد ساهما في ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣م، ثم اشتركا في انتهاك حرمة المساجد في دمشق وحماة..

ـ أما بعث العراق فكان من قادته: شبلي العيسمي ومنصور الأطرش وحمود الشوفي، انتقلوا إلى العراق بعد الانشقاق عن القيادة القطرية في سوريا.

● ومن النصارى: كان مؤسس الحزب ميشيل عفلق، الذي يعتبر من أخطر الشخصيات الصليبية في العالم الإسلامي، فقد حقق لهم ما يعجز جيش من المبشرين عن تحقيقه، وليس عبثاً أن تكون بداية نشاط حزبه مرتبطة بتاريخ خروج فرنسا من سوريا، وانتهاء احتلالها العسكري لبلاد الشام، كما كان حزب الكتائب بديلاً لفرنسا في لبنان.

والصراع على السلطة في سوريا: د. نيقولاوس فان دام ص ٣٧ – ٣٨، ط: ثانية، ١٩٩٥م.

(١) ينظر: حزب البعث، د. سامي الجندي ص٣٨ – ٣٩، طبعة بيروت، ١٩٦٩م.



وكان من قادة الحزب النصارى: منيف جورج الرزاز، الأمين العام للحزب بعد طرد عفلق من دمشق على يد الرفاق العسكريين، وطارق حنا عزيز من قادة الحزب في العراق.

ومن النصيريين: كان زكي الأرسوزي من كبار المؤسسين للحزب، ثم هيمن على هذا الحزب الضباط الجدد: حافظ الأسد ومحمد عمران وصلاح جديد، وآخرون، وكان لهم دور بارز في حكم سوريا، رغم الصراع بينهم خلال الفترة اللاحقة لانقلاب ١٩٦٣م.

● ومن الإسماعيلين: كان الدكتور سامي الجندي من المؤسسين، ومن الضباط: عبد الكريم الجندي، الذي استلم قيادة المخابرات العسكرية وقتل منتحراً بعد ذلك.

● يتحدث الدكتور سامي الجندي، عن زميله زكي الأرسوزي بقوله: «كان الأستاذ الأرسوزي يرى أن الجاهلية مثله الأعلى، ويسميها المرحلة العربية الذهبية - كان يتمنى ما هو جاهلي فقط، بدأ يدرس العربية سنة ١٩٤٠م، إذ كان يفضل الحديث قبل ذلك باللغة الفرنسية»[١].

● وقد كرم الحزب الأرسوزي، فأنشأ له تمثالاً، تقديراً لفكره الفذ وجاهليته العريقة، ولتعرفه على العربية بعد عام ١٩٤٠م، وجهله للقرآن وعمره ينوف عن الأربعين[٢].

● كان الحزب قد استلم الحكم في سوريا، عن طريق الانقلاب العسكري

---

(١) حزب البعث: سامي الجندي، ص٢٧ - ٢٨.

(٢) الحركات القومية الحديثة: منير محمد نجيب، ص٧٨.



في ٨ /آذار / ١٩٦٣م، وما يزال مهيمناً على السلطة باسم القيادة القطرية حتى اليوم، بعد أن أبعد ما يسمى بالقيادة القومية إلى العراق، وقادتها من الدروز والنصارى، إضافة إلى فسقة أهل السنة كأمين الحافظ وآخرين.

وقد كان حزب البعث أول حركة قومية في الوطن العربي تتخلى عن الإسلام علناً، حسبما جاء في دستور الحزب ومبادئه، مما سنوضحه فيما يأتي.

(٢)

المبادئ الأساسية لحزب البعث

لعلّنا نوجز (في هذه الفقرة) مبادئ الحزب حسبما أعلنها الحزب في دستوره، في شهر نيسان ١٩٤٧م، عقب المؤتمر الذي امتد (من ٤ - ٧ نيسان) وحضره ما يزيد عن مئتي عضو[١].

- جاء في دستور الحزب:[٢]

أن البعث العربي حركة قومية شعبية انقلابية، تناضل في سبيل «الوحدة العربية والحرية والاشتراكية».

وتحت عنوان مبادئ أساسية تحدث عن:

المبدأ الأول: وحدة الأمة العربية وحريتها.

---

(١) الحركات القومية الحديثة: منير محمد نجيب، ص٣٤.

(٢) ينظر: كتاب نضال البعث لميشيل عفلق، ج١، ١٧٢ - ١٨١.



والمبدأ الثاني : شخصية الأمة العربية وفيه :

أن الأمة العربية تختص بمزايا متجلية في نهضاتها المتعاقبة، وتتسم بالإبداع وقابلية التجدد والابتعاث، ويتناسب انبعاثها دوماً مع نمو حرية الفرد، ويعتبر الحزب أن : حرية الكلام والاجتماع والفن مقدسة، لا يمكن لأي سلطة أن تنقصها(١) .

وحين نطالع سياسة الحزب الداخلية يواجهنا فيها :

(المادة ١٤) : وفيها أن نظام الحكم في الدولة العربية هو نظام نيابي دستوري، وفي المادة (١٧) : يعمل الحزب على تعميم الروح الشعبية « حكم الشعب » وجعلها حقيقة حية في الحياة الفردية، ويكفل الدستور للمواطنين العرب المساواة المطلقة أمام القانون(٢) .

المبدأ الثالث : يتحدث عن رسالة الأمة العربية، فهي ذات رسالة خالدة، تظهر بأشكال متجددة ومتكاملة في مراحل التاريخ(٣) .

● هذا ولم ترد كلمة الدين ضمن دستور الحزب، حتى قضية الإيمان بالله على عمومها، لم ترد في صلب الدستور ولا جزئياته، والرسالة الخالدة التي كثيراً ما يحاول الحزبيون المغرّر بهم أن يطلقوها على الإسلام، تتكشف بوضوح ضمن مبادئ : مكافحة الاستعمار، وتغذية الحضارة الإنسانية والتغذي منها، وتأمين الانسجام والتعاون بين الأمم .

---

(١) دستور الحزب : عن نضال البعث، ج١، ١٧٢ .

(٢) المرجع السابق، ج١، ص١٧٦ .

(٣) ينظر مواد الحزب (من ١ – ٢١) من كتاب : نضال البعث .



● وفي مجال سياسة الحزب التربوية والتعليمية:

يرى الحزب أن طبع كل مظاهر الحياة الفكرية والاقتصادية والسياسية بطابع قومي عربي، لا يتصل بدين ولا مبدأ، ويتلخص مفهوم القومية العربية في «إرادة الشعب العربي أن يتحرر ويتوحد.. وأن تعطى له فرصة تحقيق الشخصية العربية في التاريخ، ولا تعني الشخصية العربية إلا الشخصية الجاهلية»[1].

● وفي سياسة الحزب الخارجية:

يرفض الحزب الاعتراف بأية صلة مع دول العالم الإسلامي من حيث عقيدته.. وهذا يعني أن الجانب الإسلامي حتى من الناحية السياسية يتجاهله قادة الحزب، ويتجاهلون أي وجود له، لا في الصعيد الداخلي، ولا في الصعيد الخارجي.

وهذا يعني إغفال التاريخ الإسلامي وتراثه الفكري والحضاري، ويعتبر هذا سلخاً لأمتنا عن الوجود العالمي[2].

●● وفي المؤتمر القومي الرابع:

خرج المؤتمرون بتوصيات متعددة منها:

التوصية الرابعة: يعتبر المؤتمر الرجعية الدينية إحدى المخاطر الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة، ولذلك يوصي القيادة القومية بالتركيز خلال النشاط الثقافي والعملي على:

ـ علمانية الحزب، وإبراز التناقضات بين مصالح الفئات الرجعية المتاجرة

---

(١) ينظر: سياسة الحزب في التربية والتعليم، المواد ٤٤ حتى ٤٨، من كتاب نضال البعث.

(٢) ينظر: الحركات القومية الحديثة، منير محمد نجيب، ص٤٥ ـ ٤٦.



بالدين، وبين مصالح الجماهير الشعبية...[1]

● **ويمكن أن نلخص مبادئ الحزب فيما يأتي:**

- يجعل الحزب الاشتراكية ديناً والعلمانية مسلكاً ومنهجاً، إذ يهدف إلى فصل الدين عن الدولة وشؤون الحكم والحياة.

- ويعتبر أن الإسلام مجرد قيم روحية، وشعائر للعبادة فقط.

- وأن الرابطة بين العرب، هي روابط الدم واللغة والتاريخ، ويلغي روابط الدين.

- والحقيقة أن الحزب كان عالة على أفكار الماركسيين في النظريات والممارسات العملية، والفرق بينهما أن الماركسية أممية عالمية والبعث قومي، وما عدا ذلك فالأفكار الماركسية تمثل العمود الأساسي في الحزب ومنطلقاته[2].

(٣)

شعارات البعث بين النظرية والتطبيق

كان شعار البعث الذي أعلنه مؤسسوه هو الدعوة «إلى أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة»، وأركان هذه الدعوة هي «الوحدة والحرية والاشتراكية» وكذلك كان شعار الاتحاد الاشتراكي في سوريا ومصر «وحدة، اشتراكية،

---

(١) نضال البعث: ج٤، ص١٨٧.

(٢) ينظر: حزب البعث تاريخه وعقائده، سعيد بن ناصر الغامدي، ص٩ - ١٤، دار الوطن - الرياض، عام ١٤١١هـ.



حرية »، وسار على نفس هذه الدعوة حركة « القوميين العرب ».

• ويبدو أن هذا الثالوث (وحدة ـ حرية ـ اشتراكية » كان شعار جماعة الاتحاد والترقي، لما تسلطوا على تركيا والدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى، فكان شعارهم: « حُرِّيت . أُخُوّت . مساوات ».

وهو نفسه شعار الثورة الفرنسية، وهو من وضع اليهود، وضعوه خداعاً للناس[1].

يقول الشـــــيخ علي الطنطاوي متحدثاً عن أيام الوحدة مع مصر أيام عبد الناصر: « كان شعارنا تلك الأيام هو وحدة . حرية . اشتراكية، فقدنا حريتنا آنذاك، وشعارنا الحرية، وصرنا محبوسين مقيدين ونحن منفردون في بيوتنا، وصار الصديق جاسوساً على صديقه، والأخ جاسوساً على أخيه »[2].

وهكذا كانت شعارات الثورة، تطبيقاً وممارسة.

• **فالوحدة هي الركن الأول في عقيدة حزب البعث..**

وحدة الأمة العربية من المحيط الأطلسي غرباً إلى الخليج العربي شرقاً.

والسبيل الأمثل لتحقيق هذه الوحدة تحت ظل رسالة عفلق، هو النضال.

والنضال عندهم يعني قيام تنظيم في كل قطر عربي، وبعد أن تتوسع قواعد التنظيم العمالية والعسكرية والطلابية، في بلد من هذه البلدان، يبدأون في التخطيط لانقلاب عسكري كما فعلوا في سوريا والعراق، ومحاولة فاشلة في

---

(١) ذكريات علي الطنطاوي: ج٦، ص٥٩.

(٢) المرجع السابق.



الأردن .

ومن وسائل الحزب في تحقيق أهدافه، التعاون المرحلي مع أحزاب أخرى، ثم الانقضاض على شركائهم والفتك بهم إذا نمت قوتهم وازدادت شوكتهم .

● وقد ساهم قادة البعث في الوحدة مع مصر، وكان أكرم الحوراني والبيطار من قادة الحزب، وكانا وزيرين في حكومة الوحدة، ثم كانا أول مَنْ وقع وثيقة الانفصال عن مصر[1] .

لقد راهن قادة الحزب على الوحدة لتحقيق أهدافهم، إلا أن مكر عبد الناصر كان أشد وأدهى، ثم وقع الصراع بين الطرفين، وتحطمت آمال قادة البعث، فشردهم عبد الناصر، زعيم القومية، ذلك القائد الملهم كما كانوا يزعمون .

● وبعد أن استلم الحزب مقاليد الحكم بعد الثامن من آذار عام ١٩٦٣م، هل حقق الوحدة، المبدأ الأول من مبادئ الحزب؟

يجيب أحد قادة الحزب ومؤسسيه « الدكتور سامي الجندي » بقوله : « وبعد مرور خمسة عشر عاماً من الحكم في سوريا والعراق، والدول العربية قد بلغت (٢٢ دولة) عربية، هل استطاع الحزب أن يقيم وحدة واحدة بين قطرين عربيين؟! فما مبرر وجوده إذن؟! وأين الوحدة العربية التي أفنى حياته في الدعوة إليها؟!»[2] .

---

(١) ينظر: الحركات القومية الحديثة : منير محمد نجيب، ص٨٠ - ٨٥ .

(٢) البعث : للدكتور سامي الجندي، ص١٦١ - ١٦٢ .



وهل حقق الحزب الوحدة بعد خمسة وثلاثين عاماً من استلامه الحكم بعد الثامن من آذار عام ١٩٦٣م؟!

● لقد فشلت الوحدة بين مصر وسوريا، كما فشلت الوحدة الثلاثية بين مصر والعراق وسوريا، كما وئدت الوحدة الناصرية في مهدها.

ومما يجدر التنويه به، أن بلدين عربيين هما سوريا والعراق، يحكمهما حزب عقائدي تقدمي ثوري اشتراكي يساري «وحدوي» قومي واحد، هو «حزب البعث العربي الاشتراكي» قد عجزا عجزاً تاماً عن مجرد التضامن والتعاون بينهما، فضلاً عن اتحاد أو وحدة، لأن اختلاف المطامع، كان أعمق وأقوى من وحدة الشعارات واللافتات(١).

● الحرية:

الركن الثاني من أركان الثالوث، ومن أبرز الأهداف التي رفعها الحزب في دستوره وبياناته، وعندما توصل إلى سدة الحكم ماذا صنع، وكيف كانت الحرية عند التطبيق الفعلي؟!

● يتحدث قادة الحزب عن الصراع الحزبي الذي احتدم بين فصائل الحزب وقادته، حيث أريقت الدماء، وكثرت الاتهامات بالخيانة والدكتاتورية، فأين واقع الحرية بين فصائل الحزب؟! وما واقع الحرية بين أفراد الشعب؟!

ـ يقول الدكتور منيف الرزاز، الأمين العام للحزب، الذي طرد من القيادة القطرية في دمشق:

---

(١) ينظر: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا: د. يوسف القرضاوي، ص١٧٢ – ١٨٢، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة (١٥) ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.



«لم يعرف الحكم إلا تسلطاً وتزييفاً لإرادة الجماهير، فقد رفعت هذه الفئة شعار الاشتراكية واليسارية، فكانت اشتراكيتهم فوقية قطرية مستبدة»[١].

● وقال أيضاً: «إن الذي يجري في سوريا الآن، ليس له نظير، ولا مثيل له إلا في عهد الشيوعيين وعبد الكريم قاسم في العراق، حيث كانت عمليات السجن والقتل في شوارع بغداد ومدن العراق...»[٢].

●● ويتحدث الدكتور سامي الجندي عن صور الحرية في حزبه، وتلذذ أعضاء المحكمة الثورية بمشاهد الإعدام فيقول: «لقد رأى أعضاء المحكمة (في سجن المزة) أن يشترك الشعب بمباذلهم، فلا تفوته مسرات النصر، فعمدوا إلى تسجيل مشاهد الإعدام من المهجع إلى الخشبة.. ثم تعوّد الرفاق عادات جديدة، فصاروا عندما يملون الحياة الرتيبة، يذهبون إلى سجن المزة، فتفرش الموائد وتدور الخمر، ويؤتى بالمتهمين للتحقيق، ومن ثم تبدأ الطقوس الثورية، إذ يتفننون ويبدعون في كل يوم رائعة جديدة». ثم يقول:

«بقي أن نسأل من هو المتهم؟ الجواب: كل الناس!! فتقرير بسيط على ورقة من أحد الرفاق، يعني شهوراً في الزنزانة، ثم إنساناً يحطم مدى الحياة»[٣].

● هذا وضع الاتهام للقيادة القطرية، أما القيادة القومية، الممثلة في عفلق والرزاز وأمين الحافظ، فلنستمع إلى منشور داخلي بعد ثورة ٢٣/شباط/١٩٦٦م، للقيادة القطرية، حيث يتهم القيادة بالتسلط والدكتاتورية يقول:

---

(١) التجربة المرة: منيف الرزاز، ص٢٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٩، وما بعدها.

(٣) ينظر: كتاب البعث/ سامي الجندي، ص١٣٠ – ١٣٣، طبعة بيروت، ١٩٦٩م.



«ظهر منطق الوصاية على الحكم والسلطة إلى جانب منطق الوصاية على الحزب . . كان منطقاً يستهدف اقتسام النفوذ في الثورة، وإحلال الفرد محل القيادة الجماعية سواء أكانت حزبية أم حكومية . .»[1] .

وكان مؤسسو الحزب وعلى رأسهم عفلق، قد طردوا من البلاد وسجن آخرون، وقتل بعضهم غيلة على أيدي الرفاق .

● هذه هي حرية الحزب ضمن فصائله، فما الحال مع عامة الشعب المسكين؟!

الحرية هنا تعني حرية الرفاق في الظلم والقتل والطغيان . . فعندما قامت الوحدة كانوا شركاء لعبد الناصر في ظلمه وطغيانه، وشركاء له في التسلط على رقاب الناس . . وعندما تسللوا إلى الحكم عام ١٩٦٣م، قيدوا الحريات وهدموا المساجد وقتلوا الأبرياء، وأطلقوا يد رجال الحرس القومي وسرايا الدفاع وأجهزة المخابرات . .

وعاش الناس - وما يزالون - يئنون تحت سلطان قانون الطوارئ والأحكام العرفية، خلال ما يزيد عن ثلث قرن من الزمان .

ثم ذلك كله في عهد رفاق القيادة القومية، وعهد رفاق القيادة القطرية، لا فرق بين عهد وعهد .

● وكتب الوزير البعثي السابق، سامي الجندي في ٢٤/٧/١٩٦٣م يقول: «إيه دمشق، أي يد مجرمة روعت قلبك الطهور . . . إن الذين اغتالوا النساء والأطفال والمواطنين البسطاء، ليسوا أهلاً يا دمشق لأن يدوسوا ترابك

---

(١) ينظر المنشور الداخلي للحزب بعنوان : أزمة الحزب وحركة ٢٣ / شباط / ص١٣ وما بعدها .



الرحب... نعم دمشق حزينة من أعماقها، رصاص مجرم وأيدٍ سفاحة قاتلة، جللت وجهها السمح بالسواد، ولطخت أرضها بالدم البريء...»[1].

● حتى جمال عبد الناصر رائد الديكتاتورية والطغيان، قال في خطاب له في الاسكندرية في ٢٢/١٠/١٩٦٣م:

«إن حزب البعث لم يكن بأي حال من الأحوال، يستطيع أن يتمكن من الحكم إلا إذا فرض الإرهاب بالحديد والنار.. فرض الإرهاب بالدم.. إنه حكم فاشي لا يمثل الشعب بأي حال.. كم نادى حزب البعث بالحرية، فكان أول ما عمله أن حرم الشعب كله من الحرية، وأصبحت الحرية وقفاً على أعضاء الحزب والحرس البعثي فقط...»[2].

● أما بعث العراق، وقياداته القومية: فيمثل علي صالح السعدي (وزير داخلية النظام العراقي) الدموية لدى الحزب.. فعندما نظر من نافذة سيارته خلال زيارة له إلى دمشق، وهو عائد من المطار إلى قصر الضيافة بعد الثامن من آذار ١٩٦٣م، قال لمن معه من الرفاق: هذه ليست ثورة.. أين الدماء في الشوارع؟! كيف تتركون الرجعيين عملاء الاستعمار، كيف لا تجري الدماء في الشوارع؟! كيف لا تجري شوارع دمشق كالسيول من دماء الرجعيين؟!

وقال السعدي في مباحثات الوحدة أمام عبد الناصر:

«كنا ننقل لإخواننا في سوريا تجربتنا في أن الثورة لم تأخذ منها كثورة ما لم

---

(١) ينظر الحلول المستوردة: د. يوسف القرضاوي، ص٢١٢ - ٢١٣.

(٢) المرجع السابق: ص ٢١٤ - ٢١٥.



(تشتال) العناصر الرجعية اشتيالاً كاملاً، وهذا كان إلحاحنا عليهم »[1].

● وبعد هذا الإخلاص لحزبه فبماذا كافؤوه؟! سجنوه فترة، ثم عاش سقيماً عليلاً يتمنى الموت، ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.. وهذه هي نهاية كل ظالم متجبر.

فقد قتل سليم حاطوم على أيدي الرفاق تحت التعذيب عام ١٩٦٧م، كما كان يعذب المضطهدين من أهل السنة، وانتحر الضابط عبد الكريم الجندي بعد أن أهين على يد الرفاق، ومات نور الدين الأتاسي بعد سجن سنوات طويلة، كما مات صلاح جديد داخل سجنه..

هذه هي حرية الرفاق.. مع بعضهم، وها هو صدام حسين في العراق يذيق شعبه ألوان الاضطهاد والظلم والدمار.

● الاشتراكية:

ثالث أهداف الحزب ومبادئه، ماذا حقق للشعب السوري منذ أكثر من ثلث قرن؟!

- جاء في تقرير المؤتمرالتاسع للحزب: «إن هنالك اليوم ضائقة اقتصادية، في هذا القطر نتيجة لسياسة المرحلة الماضية، لا بد من وضع حلول عاجلة لقضايا كثيرة في هذا المضمار، وفي طليعتها معالجة الجهاز الإداري، ومكافحة الغلاء والبطالة، وأزمة السكن وتسويق الإنتاج[2].

● كانت حصيلة التطبيق الاشتراكي خلال أربع سنوات، غلاء في الأسعار

---

(١) محاضرة مباحثات الوحدة، ص٦٦.

(٢) مقررات المؤتمر القومي التاسع المنتخب في الواحد من أيلول عام ١٩٦٦م، ص٢٢٠ - ٢٢١.



وبطالة في اليد العاملة، وأزمة في السكن[1].

● ويقول منيف الرزاز: «إن يسار هذه الفئة يشبه إلى حد كبير اليسار الستاليني، فهو يسار يحمل معه كل أخطاء الستالينية وانحرافاتها»[2].

● ويحدثنا الدكتور سامي الجندي في كتابه «البعث» عن التأميم والإصلاح الزراعي فيقول بمرارة:

«انتهت أحلام الوحدة.. وأخذ الحكم يدور في فراغ باحثاً عن شعارات للجماهير.. درسنا التأميم، فتبين لنا أن المعامل، ما عدا واحد منها، مدينة للدولة بأكثر من رأسمالها.. أما الإصلاح الزراعي، فهو عجيبة القرن العشرين؛ فالملكية خاضعة لأهواء موظف الإصلاح الزراعي، وقيادة الحزب المحلية، ولا سلطة لأحد عليهم».

«كان شعار التأميم والإصلاح الزراعي دائماً، هو أننا يجب أن نسبق بهما عبد الناصر، أما واقع الاقتصاد فقليل هم الذين فكروا فيه»[3].

● لقد أوقعت الاشتراكية البلاد في ضائقة اقتصادية مروعة، فأصبح (٤٨٪) من الشعب السوري تحت خط الفقر، فكثرت البطالة بين أبناء الشعب كثرة مخيفة، وكثير من الأسر باتت مهددة بالمجاعة، بعد ثلث قرن من التجارب الاشتراكية.

وبلغت الديون الخارجية «٢٢ مليار دولار» و١٨٪ من قوة العمل عاطلة في

---

(١) الحركات القومية الحديثة: منير محمد نجيب، ص٩٤، وما بعدها.

(٢) التجربة المرة: د. منيف الرزاز، ص٢٢٨.

(٣) كتاب البعث: د. سامي الجندي، ص١٥٢.



البلاد .

فالحالة أضحت في سوريا مؤلمة والاقتصاد مروع[1] .

●● الاشتراكية التي ضحى الثوريون من أجلها بالوحدة وصادروا باسمها الحرية، هل زاد الإنتاج واتسعت قاعدته في ظلها؟ هل نال كل مواطن نصيبه من الثروة الوطنية؟!

نجد في سوريا كبار البعثيين ينددون بسوء الوضع الاقتصادي الذي انتهى إليه البلد، صاحب الخيرات الوفيرة والنشاط والجد . .

يقول صلاح البيطار: «لقد أصبح الاقتصاد السوري على شفا الهاوية»[2] .

● وصار رجال السلطة يشتكون من وضع الفساد، الذي وصلت إليه البلاد، فرفعوا شعار محاربة الفساد، إلا أن المحاولات باءت بالفشل، أمام انتشار الرشوة والمحسوبية، والتردي الاقتصادي .

●● وها هو الدكتور سامي الجندي، أحد مؤسسي الحزب، وأحد أركان ثورة الثامن من آذار، لعام ١٩٦٣م يتبرأ من حزبه، ويصاب بالإحباط، نتيجة سلوك قادته، ويعتبر أن الانتساب إليه أضحى تهمة وعاراً .

● يقول الجندي: «مَنْ كان منا، يحسب أن تصبح كلمة بعثي تهمة يدفعها بعضنا عنه بسخر مرّ. . .؟!

« شبابنا الذي بعثرناه على دروب الشُّعَب، أحلامنا وإيماننا، كل ذلك كان

---

(١) ينظر: مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٤٠٥هـ، ص٢٨ .

(٢) الحلول المستوردة للقرضاوي، ص٢٢٩ - ٢٣٠ .



إذن عبثاً . . . » .

« ظلت بذور فكرة البعث في أرض يباب ، لا تتعهد هايدٌ أصيلة فتمرع وتخصب ، فَوَجهها كلٌ على هواه ، فما تعلم : ماركسية هي أم نازية ، كأنها أصبحت أحجية . . » .

« ذابت من تناحر التيارات العقدية ، حتى ليشك بشرٌ بوجودها أصلاً »(١) .

(٤)

ماذا قدم البعث للبلاد خلال حكمه الطويل؟!

منذ عام ١٩٦٣م ، وحزب البعث يحكم سوريا بأجنحته المختلفة فماذا قدم خلال هذه الفترة المديدة ؟!

وهل حقق شيئاً من أهدافه المعلنة ؟!

لقد تخلى الحزب عملياً عن رسالته في الوحدة والحرية والاشتراكية ، وظهرت علمانية الحزب ، وحربه للإسلام وأهله من خلال دستوره وتطبيقاته لذلك الدستور ، ومن خلال مناهج التعليم ، ونشر الانحلال في البلاد .

وقد أشيع الرعب ، وتدهور الاقتصاد بشكل لم يسبق له مثيل .

● أما العلاقات الخارجية ، من خلال المواجهة مع إسرائيل فقد سقطت الجولان ، وتراجعت سوريا في حرب تشرين عام ١٩٧٣م ، عن نقاط التماس ،

---

(١) كتاب البعث : د . سامي الجندي ص٩ – ١٠ .



وخسرت كثيراً من المعدات العسكرية.

* * *

كان البعث أول حركة قومية في الوطن العربي، تتخلى عن الإسلام في دستورها، وقد فرض الحزب دستوراً جاء فيه: «أن سوريا جمهورية ديمقراطية اشتراكية»، وهو دستور لا صلة له بالإسلام[1].

وعندما اعترض الدعاة على ذلك الدستور، داهمت كتائب السلطة المدن، واعتقلت العلماء وأودعتهم السجون لسنوات عديدة.

وداهمت قوى السلطة المساجد، فهدمت مسجد السلطان في حماة على رؤوس المصلين، أيام رئاسة أمين الحافظ المحسوب على أهل السنة، تم ذلك بقيادة الضابط الدرزي «حمد عبيد»، الذي أصبح وزيراً للدفاع فيما بعد.

كما داهمت الآليات العسكرية مسجد بني أمية، بقيادة العقيد الدرزي «سليم حاطوم»، وقُتل داخل المسجد الجامع كثير من المصلين الأبرياء.

وهاجموا مسجد خالد بن الوليد في مدينة حمص، وطاردوا الدعاة إلى الله، فغصت بهم السجون في معظم المدن السورية[2].

●● وفي مجال الفكر والتعليم:

هاجم البعث الإسلام عقيدة ومنهجاً، وفرض الرفاق الاختلاط في المدارس، وفي مخيمات الفتوة، ونقلوا أكثر من ألف مدرس من وزارة التربية إلى وزارات

---

(١) فرض ذلك الدستور في شهر نيسان، عام ١٩٦٤م.

(٢) الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم، ص١٥، دار الصحوة للنشر في مصر، ١٩٨٥م.

أخرى، كالتموين والمواصلات، لأنهم من ذوي الاتجاه الإسلامي، كما نقلوا معظم المدرسات ذوات اللباس الشرعي إلى تلك الوزارات، ليمنعوا تأثير مدرسي الدين ومدرساته على الأجيال الناشئة[1].

●● وقد حورب الحجاب وشجع السفور: وغدا الاختلاط هو السائد في المدرسة والشارع، وكثر التدريس المختلط بين الجنسين، وفرض الاختلاط في معسكرات الفتوة بين المراهقين والمراهقات خلال إجازة الصيف.

● يقول الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ مصوراً ذلك الاختلاط والتحلل في المدارس في عهد الحكومات الثورية:

«لقد سلمناهم بناتنا وقلنا لهم: وجهوهن الوجهة التي تشاءون، فأخذوهن يرقصن لهم، ويسافرن معهم، ... واخترعوا لذلك أسماء شيطانية هي «النهضة الفنية» و«النشاط الرياضي، والروح الجامعية»، وأسماء أخرى ليس لها إلا معنى واحد، هو التمتع ببنات المسلمين.

«وصار الرقص في المدارس والفتوة، فتحولت المدارس إلى مراقص.. وقد أجبروا الأب على أن يبعث ببنته لتنام خارج بيتها شهراً كاملاً، في هذه المعسكرات، كمعسكر (التل) و(الزبداني)، تحت إشراف الرجال الأجانب، ولم يكفهم ذلك حتى عرضوا لنا في الرائي «التلفاز» صور البنات وهن يرقصن لهم في ليالي المعسكر»[2].

---

(١) المرجع السابق، ص١٤، والحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام: منير محمد نجيب، ص١١٨ - ١١٩.

(٢) ذكريات علي الطنطاوي، ج٦/ص ١١ - ١٢، دار المنارة للنشر ـ جدة، ١٤٠٩هـ.



● **وانتشرت الرشوة وعم الفساد**: بشكل لم تعهده البلاد من قبل، وصار من المتعذر إنجاز أية معاملة، دون دفع الثمن، ويحدد المبلغ حسب أهمية القضية، وحاولت السلطات أن تكافح هذا الفساد، لكن الأمور ما زالت تسير نحو الهاوية، بسبب كثرة المتورطين في قضايا الفساد، وبسبب مكانتهم في السلطة.

ومن يعرف تاريخ سوريا قبل هذا العهد، يعلم تماماً أنّ الرشوة مهما قلّت، كان صاحبها يحال إلى المحاكمة والفصل من الوظيفة..

● وقد أصبحت الحالة الاقتصادية مرعبة، حتى أن كثيراً من الأسر بدأت تعجز عن تأمين نفقات المدارس وشراء الحاجات الضرورية، فتحول أكثر الشعب إلى جموع فقيرة، تكافح من أجل تحصيل لقمة العيش.. ويبدو أن البلاد مقبلة على مجاعة، رغم وفرة الخيرات التي تميزت بها سوريا.

●● **أما الرعب والإرهاب**: فذلك أمر يتحدث عنه كل من يعيش داخل القطر، أو تمكن من مغادرته، فسوريا تحكم منذ ثمانية وثلاثين عاماً، في ظل قانون الطوارئ المعلن منذ عام ١٩٦٣م، بموجب الأمر العسكري رقم (٢) تاريخ: ٨/٣/١٩٦٣م، وما يزال ساري المفعول حتى اليوم.

● وقد وجهت اللجنة السورية لحقوق الإنسان الأنظار، إلى أن الذين يقعون ضحايا الأحكام العرفية، من سجن أو مصادرة لأموالهم، لا يجدون أية جهة قضائية يتظلمون إليها[١].

● «فالذين بلغوا سنّ الرشد من أبناء الشعب السوري، وحالة الطوارئ

---

(١) ينظر الانترنت رقم الموقع: .ihttp.www.syriah.com بتاريخ ١٤/٩/١٩٩٧م.



معلنة، قد أصبحوا الآن في التاسعة والأربعين من أعمارهم، وهم لم يتذوقوا طعم الحرية في حياتهم...».

«ومعلوم أن الحاكم العرفي يملك حسب قانون الطوارئ النافذ في سوريا، أن يصادر حق المواطن في الحرية، وحجزه إلى آماد غيرمحدودة، ومصادرة أمواله، وحقه في الإقامة والتنقل...»[١].

●● هذا «وإن اللجنة السورية لحقوق الإنسان، تشعر بقلق بالغ لإخفاق محاولات عديدة، بذلت لثني السلطات السورية عن اتباع سياستها المتشددة في مجال منع الأسر السورية المغتربة قسراً، من كل ما يتصل بحقوقها الشخصية، مثل حرمانها من وثائق السفر، والتملك والزواج وتسجيل الولادات وغيرها...».

«وتدعوها للتوقف عن عرقلة إجراءات تجديد وثائق السفر في السفارات السورية...»[٢].

●● وقد امتلأت سجون سوريا بالمعتقلين السياسيين، وأصيب معظمهم بالأمراض الشديدة، وحرموا من المعالجة الصحية، وكثرت السجون في سوريا كثرة مدهشة، ويمارس فيها أشد أنواع التعذيب الجسدي والنفسي[٣].

● وكانت معظم أحياء مدينة حماة قد دمرت، وقتل فيها مالا يقل عن ثلاثين ألفاً من المواطنين، ناهيك عن مذبحة سجن تدمر، الذي قتل فيه ما لا

---

(١) اللجنة السورية لحقوق الإنسان في ٥/٥/١٩٩٥م، عن الإنترنت (رقم الموقع السابق نفسه).

(٢) نفس التقرير عن انتهاكات حقوق الإنسان في سوريا عن الموقع السابق.

(٣) ينظر بيانات اللجنة السورية لحقوق الإنسان في ٨/٩/١٩٩٧م عن الإنترنت.



يقل عن (٧٠٠ معتقل) من خيرة مثقفي البلد .

●● وقد هام المسلمون من أهل السنة على وجوههم هرباً من ملاحقة أجهزة الأمن المتعددة .

كما هام الدعاة والعلماء على وجوههم في أنحاء الأرض الواسعة، يبتغون حرية العبادة والأمان على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وقد توفي أكثرهم غرباء عن أوطانهم وذويهم .

●● يقول الشيخ علي الطنطاوي، حول تشوقه إلى دمشق وجبل قاسيون، مسقط رأسه : « كنا نسكن في سفح قاسيون، وأين مني الآن قاسيون، حرم الله الجنة ونعيمها من حرمني من جواره، حتى أنني لأخشى أن أموت قبل أن تكتحل عيناي برؤية قاسيون »[١] .

وقد توفي (رحمه الله) محروماً من رؤية المدينة التي أحبها، والدار التي اضطر أن يهجرها .

وما أكثر المحرومين مثله، من رؤية بلادهم، ظلماً وعدواناً .

خلال المواجهة مع إسرائيل:

ماذا قدم حزب البعث للأمة؟!

ـ سقطت الجولان، وسلمت القنيطرة عام ١٩٦٧م :

فالنظام السوري قد سرّح كثيراً من الضباط الأكفاء، وشرّد آخرين قبل نكبة حزيران الشهيرة عام ١٩٦٧م، وكانت السلطات السورية قد صعّدت التوتر في

---

(١) ذكريات الشيخ علي الطنطاوي : ج٦، ص٢٥٢ .



إعلامها لتعجيل المعركة مع إسرائيل، رغم أنها لم تعدّ لها العدة الكافية منذ انقلاب الثامن من آذار عام ١٩٦٣م.

ولم تشترك سوريا في الحرب إلا بعد ثلاثة أيام من بداية المعارك مع مصر.

تقول جريدة النهار البيروتية: «لم تبدأ سوريا الحرب إلا صباح السادس من حزيران، رغم أنها هي سبب الحرب، وهي الداعية لها، فلماذا تأخرت «٢٢ ساعة» عن دخول الحرب الفعلية؟!».

● فوجئ الجيش السوري والناس عموماً، بصدور البلاغ رقم (٦٦) الذي أعلن فيه وزير الدفاع عن سقوط القنيطرة بيد قوات العدو، قبل وصول جيش إسرائيل لها[١].

●● يقول الدكتور سامي الجندي، وكان سفيراً لسوريا في فرنسا آنذاك: «عندما نتتبع فصول معركة الجولان، نجد أن العسكريين الذين قاوموا، فعلوا ذلك دون أوامر، أما الذين صدرت إليهم الأوامر، فقد انسحبوا بناء على خطة، ترى ما هي هذه الخطة؟!».

«تم إخلاء السكان من الجولان منذ (٥/حزيران) لماذا؟! لست بحاجة إلى القول: إن سقوط القنيطرة قبل أن يحصل، هو أمر يحار فيه كل تعليل نبنيه على حسن النية» ثم يكمل تساؤلاته، والشبه التي في ذهنه فيقول: «قال لي إبراهيم ماخوس، وزير الخارجية السورية، كانت الخطة ماهرة لإرعاب العالم من إجل

---

(١) ينظر تفصيلاً لذلك: سقوط الجولان لخليل مصطفى بريّز، ضابط الاستخبارات العسكرية في الجولان قبل حرب حزيران، الصفحات: ٩٦ - ١٠٦، و٦٥، ٢٦٢، طبعة مصر عام ١٩٨٠م.



إنقاذ دمشق»!![1].

●● ويذكر الدكتور **سعد جمعة** موضحاً بعض الغموض، وكان رئيس وزراء الأردن آنذاك، يقول: «إن برقية عاجلة، جاءت إلى مسؤول سوري، فيها تطمين إسرائيل للنظام الحاكم في سوريا، وأنها لا تنوي مهاجمة سوريا، وبإمكانها أن تتعايش مع الحزب الاشتراكي والطائفة العلوية؟!».

«وبينما كان المسؤول السوري يعرض المقترحات الإسرائيلية، كانت الطائرات الإسرائيلية تدمر المطارات والطائرات السورية»[2].

فهل هذه هي الخطة المشؤومة التي أشار إليها ماخوس خلال حديثة مع سامي الجندي؟!

●● ثم انسحب أكثر الضباط من الجبهة، وأشاعوا بأن أوامر القيادة العامة صدرت بالانسحاب، فانهزم قائد الجيش «أحمد السويداني» وهرب قائد الجبهة «أحمد المير»، ودب الفزع بسبب قصف الطيران الإسرائيلي المكثف، وبسبب انقطاع التموين وانتشار الفوضى، فاتجه معظم الضباط نحو دمشق تاركين جنودهم كتلاً لحمية.. وآليات محروقة وأسلحة جديدة، تركها الجند بين أعشاب الجولان وسهول حوران المزروعة[3].

● أما حرب تشرين عام ١٩٧٣م: فقد قامت بهدف الوصول إلى تسوية سياسية للصراع العربي الإسرائيلي، ومن أجل ذلك عقدت السلطات السورية مع

---

(١) كسرة خبز: د. سامي الجندي، ص١٦ - ١٨، الطبعة الثانية، بيروت دار النهار للنشر.

(٢) المؤامرة الكبرى ومعركة المصير: د. سعد جمعة، الطبعة الثالثة ص١٠٩ - ١١١.

(٣) الصراع العربي الإسرائيلي: محمد عبد الغني النواوي، ج١/ ٣٠٩ وما بعدها.



إسرائيل اتفاقية لفصل القوات في أيار ١٩٧٤م، تراجعت سوريا بموجبها مسافة ١٥كم شمال القنيطرة.

وكان قد أصيب ما لا يقل عن ألف دبابة، وكان كيسنجر الوزير الأمريكي قد قام بمهمة التسوية[١].

● وبعد وقف إطلاق النار، كانت قوات إسرائيل قد أصبحت على مشارف دمشق، بعد أن احتلت (٣٩) قرية، وحُرمت سوريا بسبب هذه الاتفاقية من مرتفعات القنيطرة وجبل الشيخ، فأصبحت القوات السورية مكشوفة أمام هذه المرتفعات، وصارت مدينة القنيطرة محاطة بقوات إسرائيل من جميع الجهات، بشرط ألا يقيم في مدينة القنيطرة إلا المدنيون فقط...

●● وأوردت صحيفة البعث السورية بأن القيادة السورية تمكنت من انتزاع مكاسب حقيقية في ظروف حرجة، وعلقت إذاعة دمشق بأن الاتفاق يعتبر انتصاراً لسوريا على إسرائيل[٢].

●●●

(١) ينظر: كتاب التوازن العسكري في الشرق الأوسط: ترجمة نبيه الجزائري ١٩٨٤م، دار الجيل للنشر عمان.

(٢) ينظر: الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، ص١١١ - ١١٢.



الفصل الثاني

حركة القوميين العرب

١ - الاتجاه القومي للحركة:

- المفهوم العلماني القومي لنشأة البشرية وتطورها.

- مغالطات كثيرة حول: مقومات الأمة العربية.

- الدين عنصر ثانوي في روابط الاتصال بين الناس.

٢ - الاتجاه الاشتراكي الماركسي:

- المفهوم القومي للاشتراكية العربية.

- مرحلة الاشتراكية العلمية.

- مرحلة الشيوعية الكاملة وفق تعاليم ماركس ولينين.

٣ - التطبيق العملي لمبادئ الحركة:

- إلغاء الإسلام عندما يتعارض مع القومية العلمانية.

- إعلان شيوعيتها الكاملة منذ عام ١٩٦٨م.

- هدف الحركة: إقامة دولة عربية يهودية ماركسية في المنطقة العربية.

- أسس قادتها: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.



حركة القوميين العرب

نشأت هذه الحركة عام ١٩٣٨م، وتعتبر من إفرازات الجامعة الأمريكية في بيروت، حيث أن معظم العاملين فيها من خريجيها، ومن طائفة « البروتستانت » النصرانية[١] .

● وليس غريباً أن تكون هذه الحركة العلمانية، قد أسسها النصارى في بلاد الشام، فجورج حبش مؤسس الحركة، كان قد تخرج من الجامعة الأمريكية، وكذلك كان نايف حواتمة أحد مؤسسي الحركة، ثم سار معهما بعض المغفلين من فسقة أهل السنة في بلاد الشام.

●● تطورت معتقدات الحركة وتصوراتها، فقد تبنت اتجاهاً قومياً علمانياً، ثم سارت حول تبني الفكر الاشتراكي الحاد المتطرف . .

ويعتبر كتاب « مع القومية العربية »، العمود الفقري للفكر القومي لدى هذه الحركة، لمؤلفيه : الحكم دروزة، وحامد الجبوري[٢] .

●● وقد كان لهذه الحركة دور كبير في تعميق الفكر القومي اليساري لدى أتباعها، مع تبني العنف على الطريقة الماركسية البلشفية، ظهر ذلك في الصراع لدى أتباعها ومناوئيهم في اليمن الجنوبي وفي المنظمات الفلسطينية، عند تنظيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش، وتنظيم الجبهة الديمقراطية

---

(١) الصراع العربي الإسرائيلي : ج١ / ص٢١١ .

(٢) ينظر : الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، منير محمد نجيب، ص١٢٧ – ١٦٧ .



لتحرير فلسطين بقيادة نايف حواتمة، وقد انشقت عن التنظيم الأول منذ عام ١٩٦٩م.

(١)

الاتجاه القومي في حركة القوميين العرب

يعتبر المنطلق العلماني أساس التصور لدى أتباع هذه الحركة، فهي تضع أفكار دارون ونظريته حول نشوء البشرية، جنباً إلى جنب مع ما جاء في الإسلام حول نزول آدم وحواء من الجنة، وتعتقد أن النشوء كان نتيجة عملية تطور وارتقاء طويلة المدى، كان الإنسان أكثرها تطوراً لسلالة معينة من القرود[١].

● ويعالج كتّاب الحركة موضوع التطورات البشرية للمجتمعات، ويعتبرون أن الإسلام قد فشل في إذابة المجتمعات التي هيمن عليها، في بوتقة واحدة، وفي مجتمع عالمي واحد، شأنه في ذلك شأن الامبراطوريات التي سبقته، كالفارسية واليونانية والرومانية.

والحقيقة أنه من اللغو أن يقول دعاة الحركة، بأن الإسلام قد فشل في إذابة القوميات، فالإسلام نشر لواءه في العالم وأدى رسالته، وتعربت المجتمعات الجديدة، فتحول القبط والبربر وزنوج أفريقيا إلى أولياء للعروبة المنطلقة من الإسلام، فصار هؤلاء ينشرون لغة القرآن ويقدسون معتقداته، ويساهمون في

---

(١) مع القومية العربية: الحكم دروزة وحامد الجبوري، ص٢٦.



بناء تاريخه[١] .

● القومية عند القوميين العرب، تعتمد على روابط اللغة والتاريخ والثقافة والوطن والمصلحة، والإرادة الواحدة .

« والإسلام عند القوميين العرب : هو إسلام التجارب، إسلام التاريخ والثقافة العربية، الإسلام هو انتفاضة عبرت عن حقيقة هذه الأمة ومثلها العليا، وعبقريتها وإمكانياتها، ورسالتها ونظرتها للحياة والكون والإنسان »[٢] .

●● وهذا مفهوم مغلوط، عن الإسلام وعقائده « إذا كان الإسلام كذلك، فلماذا جاء القرآن كله رداً على عقائد الجاهلية، وعاداتها وثقافاتها وقيمها، واعتبرها كفراً لا شك فيه؟! »[٣] .

●● ويلاحظ على فكر الحركة، أن القوميين يعتبرون، أن القومية أصيلة والدين طارئ، القومية وجود، والدين إصلاح لبعض جوانب هذا الوجود، وهو مجموعة فضائل وقيم، وهذا يعني أن الدين أمر شخصي ذاتي، وعلاقة بين العبد وربه »[٤] .

●● وهنالك مغالطات تاريخية كبيرة، يرى فيها القوميون أن رابطة الاتصال بين الناس هي القومية، لا الدين، عندما يقولون : « حينما خرج العرب

---

(١) ينظر: الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، ص١٢٨ – ١٣١، بتصرف وإيجاز .

(٢) ينظر: كتاب مع القومية العربية، فصل أسس القومية وروابطها، للحكم دروزة، وحامد الجبوري، ص٦٥ – ٦٦ .

(٣) الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام منير محمد نجيب ص١٣٣ .

(٤) المرجع السابق، ص١٣٥ .



من الجزيرة يحملون الإسلام إلى شعوب الأرض، حارب عرب الحيرة النصارى، إلى جانب عرب الجزيرة المسلمين ضد الفرس، وقاتل العرب الغساسنة من النصارى، جنباً إلى جنب مع عرب الجزيرة المسلمين ضد الامبراطورية البيزنطية »[١].

● القوميون العرب، يرددون فيما سبق كلام المستشرقين حول الفتوحات الإسلامية، بينما تنفي المصادر التاريخية لدى علمائنا الثقات، هذا اللغط المشبوه الحاقد.

- يقول ابن كثير - رحمه الله - في تاريخه: « ففي غزوة مؤتة، انضم إلى هرقل بالبلقاء مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لخم وجذام وبلي وغيرهم مائة ألف »[٢].

« وكانت الروم تضرب البعوث على العرب الضاحية، وكانت تستنفرهم، فينفر إليها من قبائل بهراء وكلب وسليح وتنوخ، ولخم وجذام وغسان »[٣].

- « وحين اتجه خالد بن الوليد - رضي الله عنه - نحو الحيرة ليفتحها تحصّن أهلها العرب في أربعة حصون يرمون المسلمين، ثم طلبوا الصلح فصالحها خالد على الجزية في ربيع الأول سنة ١٢هـ، ثم أغار - رضي الله عنه - على عرب تغلب الموالية للفرس في الثني ثم في الزميل »[٤].

---

(١) مع القومية العربية: دروزة والجبوري، ص١٢٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ٤/٢٣٤، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٨م.

(٣) حركة الفتح الإسلامي: د. شكري فيصل، ص٤٤، ٤٨.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ٣/٢٤٣، ومابعدها، أحداث عام ١٢هـ.



● فالفتوحات العربية الإسلامية، كانت تتوجه لقتال أهل الشرك جميعاً، من الفرس والعرب والروم.

كانت تريد تحرير هؤلاء كلهم، من خرافات الوثنية وضلالاتها لتنقلهم إلى رحابة التوحيد، وعالمية الإسلام، ومحاربة رواسب الجاهلية بكل أشكالها ورسومها.

(٢)

الاتجاه الاشتراكي لدى حركة القوميين العرب

لقد تطور الفكر الاشتراكي لدى الحركة، ابتداء بما يسمى: بالاشتراكية العربية، ومروراً بالاشتراكية العلمية، وانتهاء بالشيوعية الكاملة، وفق تعاليم ماركس ولينين.

● كانت الاشتراكية المسماة بالعربية، هي التي تسود جو الخمسينيات وبداية الستينيات..

وترى الحركة: «أن المفهوم القومي للاشتراكية العربية، والذي تؤكده النظرة الموضوعية هو: أن الاشتراكية العربية «لا تنبع من أسس مادية فقط، وإنما تنبع من أسس مادية ومعنوية، لأنها نتيجة الوعي القومي، الذي يستند إلى المفهوم التكاملي، والذي يفسر الحياة الإنسانية، على أنها نتيجة تفاعل العوامل المادية والمعنوية، والتي تعمل جنباً إلى جنب في هذه الحياة الإنسانية، والاشتراكية القومية: ذات مضمون إنساني عميق، لأنها في الأصل تجسيد لوعي الإنسان القومي العربي، لبدهيات ومستلزمات وحدة وجوده القومي، إنها الإيمان بهذا



المجموع العربي الكبير، وحقه في الحياة الحرة الكريمة، وبحقه في الثروة العربية . . . »[1] .

● يلاحظ أن هذا كلام مائع رجراج، لا يستند إلى أسس فكرية موضوعية، ولعل هذا الاتجاه الغامض عند قادة الحركة، هو الذي أدى إلى الاشتراكية العلمية، ثم الشيوعية الكاملة .

● ويقول كاتبا الحركة: «لا بد أن تقوم الاشتراكية العربية في خطوطها العريضة على تملك الدولة لوسائل الانتاج، وتحقيق تكافؤ الفرص أمام كل فرد في الشعب العربي . . والسماح بالملكية الفردية الصغيرة »[2] .

وهنا بدأت أفكار الاشتراكية، تختلط بالمفهوم القومي العلماني في الخمسينيات وبداية الستينيات .

●● ثم جاءت مرحلة الاشتراكية العلمية[3] .

وتبدو علامة هذه المرحلة منذ تكوين الاتحاد الاشتراكي في سوريا من مجموع المنظمات الناصرية، ومن بينها « حركة القوميين العرب » وقد أوجدت عملية التجمع هذه حدةً في الصراع، ثم انشقاقاً داخل صفوف الاتحاد الاشتراكي، ومن ثم أدى ذلك إلى تقديم تقرير فكري مفصل عام ١٩٦٦م مؤداه المناداة بالاشتراكية العلمية، ومن ثم الاتجاه نحو إقامة جبهة تقدمية من الفئات المنادية بالاشتراكية، كالبعث والشيوعيين والقوميين العرب .

---

(١) ينظر: مع القومية العربية، الحكم دروزة وحامد الجبوري، ص١٩٥، وما بعدها .

(٢) مع القومية العربية : دروزة والجبوري، ص١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) ينظر: الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، ص١٤٧- ١٥٢ .



●● وقد تحدث تقرير عام ١٩٦٦م عن ضرورة التحرك السياسي تجاه عمل جبهة موحدة، وطرح شعار وحدة القوى التقدمية[١] .

●● على أن هنالك منشوراً آخر خاصاً بأعضاء الحركة، وهو أكثر صراحة، ويدور حول التطور الفكري للحركة نفسها تحت عنوان: « حركتنا والمرحلة الجديدة » .

● ويتضح من خلال هذا المنشور، أثر الأصابع الشيوعية في الحركة أكثر فأكثر، وقد جاء فيه:

« إن الحركة التي تتسلح بموقف فكري، يعتمد الاشتراكية العلمية نهجاً في التفكير والعمل، لم تتمكن من استخراج الاستراتيجية والتكتيك الثوريين، وفق خطة برامج عمل سياسية، تتخطى الأفق السياسي الرسمي لحركة الثورة العربية - أي أفق الجمهورية العربية المتحدة « وتكون تعبيراً عن النهج السياسي الثوري المطلوب لهذا القطر أو ذاك من الأقطار التي تعمل فيها الحركة » .

● فنحن هنا أمام فكر ينادي بتبني أيدولوجية الطبقة العاملة، والاشتراكية الشيوعية[٢] .

* * *

---

(١) ينظر: التقرير التنظيمي لقيادة منطقة دمشق، ص٤ .

(٢) ينظر: الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام ص١٥٢ .



دور الشيوعية الكاملة وفق تعاليم ماركس ولينين[1]:

وكانت هذه هي الخطوة الأخيرة للحركة، وقد تم ذلك بعد الصراع الداخلي فيها، وفيما يلي مقتطفات عن عوامل هذا الانقسام وجذوره.

ففي بيان تحت عنوان: (من ينجز الثورة الشاملة) ذكر البيان «أن الثورة الشاملة بشقيها الوطني والديمقراطي: لا يستطيع إنجازها غير حزب ماركسي لينيني، يقود الجماهير المستغلّة، ويفيد من كل طاقاتها، وإن تجارب الشعوب الأخرى توضح هذه الحقيقة «كتجربة كوبا وكوريا والصين وفيتنام».

«وبالمقابل نجد التجارب التي سقطت في أحضان الثورة المضادة، التي قادتها البورجوازية الصغيرة، والتي عجزت عن تحقيق مهمات مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي في بلادها ومنها: غانا وأندونيسيا، الجزائر وسوريا والعراق، والجمهورية العربية المتحدة».

● ثم يذكر البيان بأن ماوتسي تونغ قد لخص هذه التجربة بقوله: «يجب أن يكون هناك حزب ثوري، مادمنا نريد الثورة، وبدون حزب ثوري: حزب مؤسس وفق النظريات الماركسية اللينينية، وطبق الأسلوب الماركسي اللينيني، يستحيل قيادة الطبقة العاملة، والجماهير العريضة من الشعب، والسير بها إلى الانتصار على الإمبريالية وعملائها».[2]

●● لقد أصبح الشعار المطروح، هو مبادئ ماركس ولينين الثورية برمتها دون أي نقاش.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص١٥٢ - ١٦٢.

(٢) منشور الفجر الجديد/ ص ٣/ تشرين الثاني سنة/ ١٩٦٨م.



ويؤكد المنشور هذا التوجه بقولهم: «إن أعظم المسؤوليات الملقاة على الأحزاب التقدمية العربية في هذه المرحلة، يتطلب رفع رايات الماركسية، وتصفية الجيوب اليمينية في حركتنا، ومطاردة البورجوازية الصغيرة . . .» .(١)

●● وبذلك فقد غدت الأهداف النهائية لحركة القوميين العرب تتلخص تحت شعاراتهم التالية:

– فلنناضل بدون كلل لتوليد الحزب الماركسي اللينيني.

– ولترفع رايات الثورة الثقافية البروليتارية في صفوفنا.

– ولنعمل بدأب لتكنيس جيوب الرجعية اليمينية في حركتنا.(٢)

● وقد حكمت الحركة على ما ضيها، بأنه ماضٍ بورجوازي، مسؤول عن النكسة، التي قادت العرب إلى الهزيمة الساحقة عام/ ١٩٦٧م، كما أدانت الحركة حزب البعث الحاكم في سوريا، والذي أعلن، أن الهدف الأساسي للعدوان، هو إسقاط الحكم الثوري في دمشق.(٣)

● وفي اليمن الجنوبي، رأينا ما يمارسه القوميون الماركسيون الحمر، من أساليب وحشية في التنكيل بالخصوم، رفاق السلاح.(٤)

● ● ●

●● ولعل ما يثار حول انتقال حركة القوميين العرب، من القومية إلى

---

(١) المرجع السابق، ص ٤.

(٢) منشور الفجر الجديد/ ص (٥ – ٦)/ تشرين الثاني/ ١٩٦٨م.

(٣) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا: د. يوسف القرضاوي، ص (٢٥١ – ٢٥٢).

(٤) المرجع السابق للقرضاوي، ص (٢٢٢).



الشيوعية، يبدو واضحاً من خلال الحوار الذي جرى بين لطفي الخولي « رئيس تحرير جريدة الطليعة »، ونايف حواتمة « المسؤول عن الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ».

- فقد سأل الخولي عن أوجه الاتفاق والخلاف مع الأحزاب الشيوعية.

فكان موجز جواب حواتمة: « بأن الخلاف بين الجبهة والشيوعيين، قائم أصلاً على انحراف الشيوعيين عن الماركسية اللينينية، وليس قائماً على أساس قومي.

- وفيما يخص قضية فلسطين يقول نايف حواتمة - أحد مؤسسي حركة القوميين العرب -: « إننا ندعو اليهود والتقدميين في إسرائيل وفي العالم، إلى حمل السلاح مع شعب فلسطين، لوضع الحل الديمقراطي، موضع الترجمة العملية، والمشاركة الفعالة في الجبهة الوطنية الفلسطينية بشكل موحد.

وهذا ما يدفعنا للالتقاء مع الحزب الشيوعي الإسرائيلي « راكاح »، لمناقشة هذه المسألة، رغم أنه يتبنى موقفاً خاطئاً في تصور أممي للمسألة، يعتمد على الاعتراف بإسرائيل... فالوصول - مع العناصر والمجموعات اليهودية الديمقراطية بإسرائيل - إلى موقف ديمقراطي كامل، يتطلب من حركة المقاومة، إيجاد جيل ديمقراطي كامل، وهنا تفتح الطريق، لانتظام عناصر ومجموعات يهودية في جبهة الكفاح المسلح المشترك، وفي لجان مساندة المقاومة الفلسطينية ».[1]

- فحواتمة يتجاهل أن الحركة الشيوعية، حركة يهودية في كثير من

---

(١) ينظر: مجلة الطليعة، العدد « ١١ » ص ١٠٦؛ بإيجاز، تاريخ نوفمبر/ ١٩٦٩م، السنة الخامسة.



جوانبها، وأن اليهودي يبقى يهودياً، يخدم قومه، مهما تلوّن وغيّر في شعاراته المطروحة، والتاريخ أكبر شاهد على موقف الشيوعيين عموماً من قضية فلسطين... ولعل العرب وحدهم هم الذين يتجاهلون حقائق التاريخ، أولا يعلمون؟!.

- والحركة - حركة القوميين العرب - تحولت إلى حزب ماركسي يتبنى العنف: ويتخلى عن شعاراته المطروحة من فكر قومي، أو أسلوب ديمقراطي، إلا إذا كانت تحت مظلة الرفاق الحمر: ماركس ولينين وستالين وماوتسي تونغ وأمثالهم.

(٣)

التطبيق العملي لمبادئ الحركة:

نخلص مما سبق إلى تقويم هذه الحركة من خلال الملاحظات التالية:

١ - شك الحركة بالإسلام والقرآن، من حيث أصل النشأة البشرية.. ويعتبر قادة الحركة أن الإسلام قد فشل في قيادته للبشرية، وهم يسوونه بالوثنية والأطماع الإمبراطورية، إضافة إلى قناعتهم بعدم صلاحية الإسلام للبشرية في الوقت الحاضر، فهو رسالة للماضي فقط كما يزعمون.

- بل يرون سلخ النظام والتشريع الإسلامي من الإسلام، وتسويته بالوثنية والنصرانية، المحرفة، واليهودية الكافرة.

كما يرون استبدال القومية بالإسلام، وإلغاء الإسلام حين يتعارض مع القومية.



٢- وبعد حرب حزيران عام/ ١٩٦٧م، أدانت الحركة نفسها، واعتبرت أنها مسؤولة مسؤلية مباشرة عن هزيمة حزيران، وفي منشور الفجر الجديد الصادر عام/ ١٩٦٨م، أعلنت الحركة شيوعيتها الكاملة.

٣- وكانت الحركة أول من حمل لواء اتفاق العرب مع اليهود الماركسيين، بعد الحزب الشيوعي في المنطقة.

وأصبح الهدف البعيد لحركة القوميين العرب - كما تعلن منشوراتهم - إقامة دولة يهودية عربية، ماركسية لينينة طبقية.

● وبذلك نعرف أن حركة القوميين العرب، هي حركة لا دينية ماركسية كافرة، وحركة أممية خائنة حين تدعو إلى إخاء العرب مع اليهود، بعيدة كل البعد عن القومية كما تزعم.(١)

● **وقد شكل جورج حبش، أحد قادة القوميين العرب، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في ديسمبر عام/ ١٩٦٧م**، وهي حركة يسارية قامت تنافس منظمة فتح، بتشجيع من عبد الناصر آنذاك.

وتعتبر هذه المنظمة، منظمة يسارية، تدعو أن تستهل الثورة في البلدان العربية، وترى أن الإرهاب الدولي جزء من حرب التحرير القومي، وترفض سياسة منظمة التحرير الفلسطينية الاستسلامية.

وجورج حبش نصراني درس في الجامعة الأمريكية، وهو من مواليد «اللد» في فلسطين، عام/ ١٩٢٦م، وكانت عناصر هذه الحركة لا يتجاوزون الألف

---

(١) ينظر: الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام/ ص (١٦٢ - ١٦٦) بإيجاز.



عنصر[1].

● **كما أسست الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين**: بقيادة نايف حواتمة، وهي حركة ماركسية موالية للاتحاد السوفيتي، تهدف إلى إشعال الثورة العمالية في الشرق الأوسط، وهي تعارض دائماً منظمة التحرير، وعدد عناصرها، لا يتحاوزن «٦٠٠ عنصر»، تدربوا في روسيا وألمانيا الشرقية وكوبا والعراق، وقائدها من مواليد السلط في الأردن، عام/ ١٩٣١م، وقد انشقت هذه الحركة على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في شهر شباط عام/ ١٩٦٩م، وكان حواتمة رئيس الاستخبارات في منظمة التحرير الفلسطينية[2].

●● وقد كانت تصرفات الجبهة الشعبية الطائشة سبباً في حرب أهلية بين المنظمات الفلسطينية، وجيش الأردن، فقد تم اختطاف ثلاث طائرات، وهددت الجبهة الشعبية بقيادة حبش، بنسف الطائرات ومن عليها على أرض الأردن، وكان الملك حسين قد أطلق العنان لجيشه ومواطنيه لمواجهةالمنظمات الفلسطينية، وتمكنوا بالفعل من الإجهاز على هذه المنظمات بعد قتال وحشي مرير.

وعندما وقعت الواقعة هرب جورج حبش، ومن على شاكلته واضطرت فلول المقاومة/ ١٩٧٠م، بعد مذابح أيلول الأسود إلى التوجه نحو لبنان، لإعادة تنظيم صفوفها، والمشاركة في النضال على أرض لبنان من جديد[3].

---

(١) أوراق سرية: سعيد الجزائري/ ص ٢٦ وما بعدها، بيروت، دار الجيل/ ١٩٩٠م، وتاجر الشنطة الفلسطينية: محمد العباسي/ ص (٨٥ – ٨٦)، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، ١٩٩١م.

(٢) ينظر: أوراق سرية: سعيد الجزائري/ ص (٢٦ – ٣٣)، وتاجر الشنطة الفلسطينية ياسر عرفات/ ص (٨٥ – ٨٦)، الزهراء للإعلام العربي/ القاهرة/ ١٩٩١م.

(٣) تاجر الشنطة الفلسطينية: محمد العباسي/ ص ٨٤.



● لقد هرب جورج حبش وقيادته، وتركوا الشعب الفلسطيني المسلم يواجه الموت والدمار، بعد أن قُتل في المعارك أعداد كبيرة تجاوزوا عدد الذين قتلوا في حرب حزيران عام/ ١٩٦٧م.(١)

●● كانت المنظمات اليسارية كلها، تعادي الإسلام، ومما يدل على إخلاصها للماركسية، ما أعلنته في ٤ / نيسان عام/ ١٩٧٠م، في الذكرى المئوية لميلاد لينين» حيث اتفقت جميعاً على الاحتفال لمدة أسبوع بهذه المناسبة.

وقد اشترك وزير الأوقاف الأردني آنذاك في الاحتفال، وكانت تلك المنظمات اليسارية، تسب الله والرسول علناً، لأن عدد المسلمين أصبح ضئيلاً في حركة فتح، فكانت كلمة السر في الليل، عند الجبهة الديمقراطية التي يتزعمها نايف حواتمة هي: شتم الله أو النبي والدين.(٢)

● هذه هي الحركة القومية المنشأ، الماركسية المنطلق في بلاد الشام، الشيوعية في توجهاتها وتعاملها، وما تزال منظماتها تعمل في الساحة الفلسطينية، مع تلوّن في الإخراج، ومتاجرة في الوطنية لدى قادتها... فقد خدعوا كثيراً من أبناء المسلمين، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

●●●

---

(١) أمل والمخيمات الفلسطينية: عبد الله محمدالغريب/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) حماس الجذور التاريخية والميثاق: د. عبد الله عزام ص (٩١ - ٩٢) مكتب خدمات المجاهدين/ مايو: ١٩٨٩م، وينظر: مجلة فلسطيننا، العدد (١٣)، كانون الثاني ١٩٦١م.



الفصل الثالث

الاتحاد الاشتراكي

١- نشأته بعد عام/ ١٩٦٣م.

٢- الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكي.

- أهداف الاتحاد الاشتراكي ومبادئه.
- شعاراته: (حرية - اشتراكية - وحدة).
- وقفة وملاحظات على فقرات الميثاق حول:

١- النظرة القومية الفرعونية للتاريخ.

٢- المنطلق الإسلامي للآثار المادية الوثنية.

٣- الميثاق يتجاهل أثر الإسلام في الحضارات الإنسانية.

٤- الميثاق يعرب عن حركة وطنية قومية عربية علمانية.

٣- أهداف الاتحاد الاشتراكي من خلال شعاراته.

- الحرية كانت تعني القتل والتعذيب والسجون لأعداء الثورة.
- الاشتراكية كانت تعني انتزاع الممتلكات باسم التأميم ثم كان



النهب والمصادرة، وبورجوازية ضباط الثورة.

- والوحدة كان من حصادها تمزيق الروابط بين البلدان العربية، وإشعال الفتن والثورات.

٤- التطبيق العملي لسياسة الاتحاد الاشتراكي مع العدو الصهيوني.

- هزيمة حزيران عام/ ١٩٦٧م.

- ما بعد نكسة حزيران: كامب ديفيد تنهي حالة الحرب مع إسرائيل.

الاتحاد الاشتراكي: حركة قومية اشتراكية

(١)

نشأته:

الاتحاد الاشتراكي في الأصل حركة رسمية نشأت في مصر بعد انفصالها عن سوريا، وقد أسست لتكون بديلاً عن الاتحاد القومي، أحد التنظيمات السياسية التي أقامها عبد الناصر في ظل الوحدة مع سوريا، وقد مر بتطورات مختلفة . . .

فبعد قيام ثورة البعث في سورية عام/ ١٩٦٣م، نشأت حركة معارضة لثورة البعث، وكانت تتكون من مجموعات حزبية مختلفة، هي حركة القوميين العرب، والوحدويين الاشتراكيين وهم فصيل انشق عن حزب البعث والجبهة العربية المتحدة، والاتحاد الاشتراكي.

وبعد فترة وجيزة اتحدت هذه المجموعات المتنوعة تحت اسم الاتحاد الاشتراكي، ولكنها عادت إلى الانشقاق بسبب مصالح كل منها، وبسبب الخلاف الفكري بينها، فعاد القوميون العرب لاسمهم وتنظيمهم الأصلي، ثم انشق الاتحاد الاشتراكي على نفسه عدة مرات.

لكن القاسم المشترك للاتحاد الاشتراكي، والذي كان يجمع بين أفراده هو «الميثاق» الذي أعلن في مصر، وكان هو دستور الاتحاد الاشتراكي ودستور



الدولة كذلك، وكانت كتابات (عصمت سيف الدولة) الذي دعا إلى الحركة العربية الواحدة قد أغرت عقول كثير من أفراد وقيادات الاتحاد الاشتراكي، إذ حاول وضع فلسفة عربية اشتراكية لهذه الحركة.[١]

(٢)

الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكي:

انبثق الميثاق من خطاب لجمال عبد الناصر، كان قد ألقاه في مؤتمر القوى الشعبية في ٢١/ مايو/ ١٩٦٣م.

وتتلخص أهداف الاتحاد (كما جاءت في الميثاق) فيما يأتي[٢].

– تحقيق الديمقراطية السليمة ممثلة بالشعب وللشعب.

– وتحقيق الثورة الاشتراكية التي هي ثورة الشعب العامل.

– حماية الضمانات التي قررها الميثاق وهي: كفالة الحد الأدنى لتمثيل العمّال والفلاحين في جميع التنظيمات الشعبية والسياسية، ودعم النقابات والتنظيمات التعاونية.

– مبدأ القيادة الجماعية[٣].

---

(١) ينظر: الحركات القومية القومية الحديثة في ميزان الإسلام، منير محمد نجيب/ ص (١٦٩ وما بعدها).

(٢) ينظر: الحركات الحديثة: منير محمد نجيب/ ص (١٧٣ – ١٨٣).

(٣) ينظر: الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكي، المقدمة والأهداف/ ص ١١٦، نقلاً عن الحركات القومية الحديثة ص (١٧٣ وما بعدها).



● **ومن خلال أبواب الميثاق تطالعنا أهداف الثورة ممثلة في المبادئ التالية :**

المبدأ الأول : القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين .

المبدأ الثاني : القضاء على الإقطاع في البلاد .

المبدأ الثالث : القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال . .

ثم يدعو الميثاق إلى إقامة عدالة اجتماعية ، وحياة ديمقراطية سليمة ، وإقامة جيش وطني قوي .(١)

● **أما دور الإسلام في هذه الحركة فهو دور هامشي جاء للمتاجرة به أمام الجماهير المسلمة .**

– ولنستمع إلى أهداف النضال العربي كما جاءت في الميثاق لنرى أن هذه الأهداف هي اللحن المكرر في كل ثورة ، فشعار الاتحاد الاشتراكي يتمثل في الثالوث المعروف :

(حرية – اشتراكية – وحدة) وهو نفس ما طرحه البعث مع خلاف في التبويب والترتيب .(٢)

ونلاحظ النزعة العلمانية الجاهلية على الميثاق عندما يقول :

« ومصر كانت دائماً تتفاعل فيما حولها وتتأثر به ، وتلك حقيقة ثابتة تظهرها دراسة التاريخ الفرعوني ، كما تؤكدها وقائع عصور السيطرة الرومانية والإغريقية .

---

(١) الميثاق نظرة عامة / ص ٥ .

(٢) الميثاق : جذور النضال المصري / ص ١٧ .



وكان الفتح الإسلامي ضوءاً أبرز هذه الحقيقة وأنار معالمها، وصنع لها ثوباً جديداً من الفكر والوجدان الروحي.

وفي إطار التاريخ الإسلامي، قام الشعب المصري بأعظم الأدوار دفاعاً عن الحضارة الإنسانية، وقبل أن ينزل ظلام الغزو العثماني على المنطقة بأسرها، كان شعب مصر قد تحمل ببسالة مسؤوليات حاسمة لصالح المنطقة كلها». [١]

● كما أن جمال عبد الناصر زعيم الاتحاد الاشتراكي الذي كان يقرن فكرة القومية العربية بالإسلام، كان لا يتمتع بدوافع عقدية تملي عليه مثل هذه الأفعال، فهو لم يقرن الإسلام بفكرة القومية العربية، إلا بدافع المصلحة وبمحض الصدفة.

وقد وفرت فكرة اقتران القومية بالإسلام له فرصاً ملائمة، مكنته من الاستفادة من فكرة القومية العربية السائدة آنذاك، دون أن يستفيد منها الإسلام[٢].

● لقد تبنى زعيم الاتحاد الاشتراكي القومية العربية، بعد أن أصبحت تياراً قوياً في الستينيات، ودعا إليها وسخّر لها أجهزة إعلامه، وإمكانيات دولته العسكرية والمادية.

واستقطب أعداداً من دهماء الناس، وصور لهم الوحدة مع سوريا، أنها بداية الوحدة للأمة العربية، صور لهم أنه المدافع عن الإسلام، في الوقت الذي

---

(١) المرجع السابق/ ص ١٧.

(٢) لعبة الأمم: مايلز كوبلاند، تعريب مروان خيّر، طبعة بيروت/ عام ١٩٧٠م، ص (٢٦٩ – ٢٧٠)، بتصرف يسير.



قتل فيه دعاة الإسلام، وصور لهم أنه سيلقي إسرائيل في البحر، فابتلعته إسرائيل، ومزّقت قواته.

وبعد حين تبين للجميع أن هذا الانتفاخ القومي الناصري، لم يكن سوى طبل كبير، لمّا وخزته إبر التجارب والوقائع لم تجده شيئاً[1].

• وقفة أمام فقرات الميثاق[2]:

من خلال فقرات الميثاق السابقة هناك ملاحظات أساسية منها:

١ – النظرة القومية للتاريخ: فقد دفعت بالميثاق وواضعيه أن يفخروا بالتاريخ الفرعوني والحضارة الفرعونية، وهذا خط لا يختلف عند دعاة القومية جميعاً، حيث يركزون على تاريخ الجاهلية قبل الإسلام، من فرعونية وبابلية وفينيقية وغير ذلك، ليؤكدوا من وراء هذا التركيز أن الإسلام مرحلة من مراحل هذه الأمة، وليس مكوناً لها.

و «الإسلام العظيم يقول عن هذه الأمم البائدة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ – ١٤].

إن تاريخنا هو النبوة والأنبياء جميعاً، وما عداها فكلها جاهليات منبوذة.

---

(١) كتاب حزب البعث تاريخه وعقائده: سعيد بن ناصر الغامدي، دار الوطن للنشر – الرياض/ ١٤١١هـ/ ص (٧).

(٢) الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام/ ص (١٧٨ – ١٨٣)..



٢- والإسلام على مدار التاريخ يعنى بالإنسان نفسه، أكثر مما يعنى بآثاره المادية، فالأهرامات ومدارج الرومان هي معابد ومصانع وآثار أقيمت لتمجيد حاكم طاغية أو لتعظيم مستبد ظالم استعبد الناس واسترهبهم، وهذه نقطة الافتراق بين المنطلق القومي والمنطلق الإسلامي، فالداعية القومي يفخر بهذه الآثار والمصانع والبيوت ويتية فيها،والداعية المسلم يهاجم بناة هذه الآثار والبيوت الفارهة في الجبال، لأنهم كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وما أكثرهم بمؤمنين، بينما يفخر هود وصالح وموسى بصفتهم حَملة لواء العدل في الأرض وحملة رسالة السماء إلى أقوامهم.

٣- وتتجاهل فقرات الميثاق أثر الإسلام في هذه الحضارات، فقد كان أول من حمل مشعل الحضارة في الأرض هم الأنبياء إدريس وإبراهيم ومن بعدهما، عليهم الصلاة والسلام. .[١]

● فالميثاق يعتبر دستور حركة قومية، تزعم حرية العقيدة الدينية، لا حرية الشريعة أو الحكم بموجبها، وهي حركةوطنية قومية عربية تقبل الأديان على أن لا تستقل بالتشريع أو تتدخل في الحكم.[٢]

وقد كان الواقع العملي للحركة وزعيمها مخالفاً تمام المخالفة للشعارات المطروحة.

●● أجرى الصحفي الهندي «ديوان بريند رانات» مقابلة مع الرئيس عبد الناصر، ومما قاله خلال تلك المقابلة: «إني رجل شديد التدين. . .!!، ولكنك لابد أنك لاحظت، أن الدستور الجديد للجمهورية العربية المتحدة، لا يشير إلى

---

(١) المرجع السابق: ص (١٨٠ - ١٨٣).

(٢) الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام/ ص ١٩٨.



دين الدولة » .[١]

●● « فدستور هذه الدولة القومية لا يشير إلى دينها، لأن سكانها عرب أولاً، ثم بعد ذلك مسلمون ونصارى ويهود أيضاً » هذا هو منطق عبد الناصر والقوميين الاشتراكيين، فهي ازدواجية عجيبة، وتمثيل انطلى على كثير من الأتباع والأزلام[٢] .

(٣)

أهداف الاتحاد الاشتراكي من خلال شعاراته:

« حرية – اشتراكية – وحدة »

لقد كان هذا الثالوث الذي تبنته الحركات القومية الحديثة، من صنع اليهود والثورة الفرنسية، وكان شعار جماعة الاتحاد والترقي « حرّيَتْ – أُخوّت – مساوات »، في تركيا قبل الحرب العالمية الأولى[٣] .

●● وقد فقدنا حريتنا، منذ أن أعلنت هذه الشعارات، فكان الإرهاب والجاسوسية، كما دُمرّ اقتصادنا باسم الاشتراكية والتأميم، والسطو على الممتلكات، ومزقت وحدة بلادنا، وأصبحت أقاليم ودويلات، وأضحت الوحدة حلماً يرتجى، وصارت كسراب بعيد المنال، وواقع الحال يغني عن كل مقال .

---

(١) و. ك كارنجيا: الفجر العربي ــ الطبعة الأولى – بيروت/ ١٩٥٩م. منشورات المكتبة الأهلية/ ص ١٧٨ .

(٢) ينظر: الشعوبية الجديدة، محمد مصطفى رمضان/ ص ١٣١ .

(٣) ذكريات علي الطنطاوي، ج٦/ ص ٥٩ .



فكان من حصاد الحرية أيام الاتحاد الاشتراكي:

أن أعلنت الثورةُ الحرب على ما أسموه بالرجعية، فكانت سجون عبد الناصر وحزبه الاشتراكي من أسوأ سجون العالم، إذ كان يتم فيها التعذيب والجلد والقتل، وخاصة مع رجال الحركات الإسلامية، فكان شعار الحرية مادة للاستهلاك والدعاية ليس إلا...

ومن غرائب مكرمات الرئيس المصري، أنه ذكرهم، «بأن الثورة لم تذبحهم، كما فعلت ثورات أخرى، وأنهم باقون أحراراً في المعتقلات».

«وقد بشر المصريين في خطابه، بأن الدولة التي كان شُغْلها حفظ الأمن، وإعطاء جوازات السفر، أصبحت الآن تربي الدجاج، وستربي العجول أيضاً»[1].

● ومن أراد معرفة حقيقة الحرية عند عبد الناصر ورجال مخابراته، فليقرأ بعض ما كتب عن تلك الفترة:

كالبوابة السوداء لأحمد رائف، وأيام من حياتي للسيدة زينب الغزالي، ناهيك عن مذابح الإخوان في سجون ناصر، ونافذة على الجحيم، والموتى يتكلمون، ومذكرات عدد من ضباط مصر من زملاء عبد الناصر ممن غدر بهم، وذاقوا على يديه الويلات...

●● «ورغم ذلك كله، فإن دعاة الاتحاد الاشتراكي، كثيراً ما يتبنون الإسلام

---

(١) فقرات من خطاب عبد الناصر أمام مجلس الأمة، مساء الخميس في: ١٢/ ١١/ ١٩٦٤م، نقلاً عن كتاب الاشتراكية في التجارب العربية لطائفة من المفكرين/ ص (١١٤ - ١١٥) بقلم جبران شامية، دار الكتاب الجديد، عام/ ١٩٦٥م/ لبنان.



عاطفة، في الوقت الذي يؤمنون فيه بفكر مطروح لا يمت إلى الإسلام بصلة، إلا بعض قشور، لا أثر لها في عالم الواقع».[1]

وهؤلاء يجسدن بشعاراتهم تصريحات زعيمهم رائد القومية العربية.

● أما الاشتراكية:

فقد انتزعت المصانع والممتلكات باسم «التأميم»، إذ فتح عبد الناصر الباب للشيوعية وهي «لا تذهب فقر الفقير، ولكنها تذهب بغنى الغني، فتحقق المساواة ولكن في الحاجة والفقر...».

«كانت قد أقيمت مصانع للغزل والنسيج في سوريا، كانت تكفي سوريا وما حولها، كمصنع «ابن الدبس مثلاً» الذي جاء بالمال من خارج البلاد.. وافتتح به مصنعاً كبيراً، وحضر افتتاحه عبد الناصر نفسه وخطب فيه، ثم انتزعه من صاحبه باسم (التأميم)».

«وكان للشركة الخماسية في الشام، وشركة الغزل والنسيج في حلب مصانع كبار، تنتج الجيد الكثير، فلما أصابتها محنة التأميم قلّ إنتاجها، وتتالت خسائرها».[2]

● وقد دُمر الاقتصاد المصري في ظل الاشتراكية... «الاشتراكية ذلك اللغز الذي أصاب كثيراً من الساسة العرب، والذين تحولت الاشتراكية عند كثير منهم إلى وسيلة نهب ومصادرة بلا تعويض،وصارت شعاراً لغش الفئات العاملة، وتسييرها وراء طبول التهريج، بل تحولت إلى ستار للانتقام من الفئات الأخرى

(١) الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام/ ص ١١.

(٢) ذكريات الشيخ علي الطنطاوي/ ج٦/ ص ٥٨.



في المجتمع[١].

● والماركسية في الوسط العربي تتميز عن كثير من ماركسية الأقوام الأخرى من حيث أنها أصبحت سلاحاً، يستعمله بعض العسكريين وأعوانهم لنحر الحريات، بعد أن أفنوا الاقتصاد وشوهوا التنمية، ... وكان الرئيس عبد الناصر، قد اعتذر في بيانه أمام مجلس الأمة «مساء الخميس في ١٢/ ١١/ ١٩٦٤م»، بأن الضائقة الاقتصادية التي تمر بها مصر الآن، هي نتيجة لبعض أخطاء التخطيط الحكومي، في نطاق الاقتصاد الماركسي الموجه.[٢]

● ثم تكلم عبد الناصر عن التناقضات الجديدة، التي ظهرت في المجتمع الاشتراكي، بسبب كسل الموظفين وعدم كفاءتهم الفنية والإدارية، ولا غرابة في ذلك، لأن الحكومة انتزعت المصانع والشركات من أصحابها الأكفاء، وسلمت إدارتها لمجموعة من الضباط أرادت إرضاءهم، فأوجدت طبقة أرستقراطية جديدة، حلت محل الطبقة القديمة، وتمتعت بجميع امتيازاتها[٣].

●● لقد نقلت الاشتراكية العربية، المصانع والمؤسسات والشركات والمزارع، بواسطة التأميم من أيدي أصحابها ذوي الخبرة والكفاءة، إلى أيدي موظفين لا يعرفون شيئاً في الغالب عن هذه المصالح، فكانت النتيجة المحتومة، خراب أكثر هذه المؤسسات المؤممة.

---

(١) الحياة العدد (٥٦٠٥) في ١٩/ تموز/ ١٩٦٤م، لكاتب من بغداد. نقلاً عن كتاب الاشتراكية في التجارب العربية/ ص (٥٢ – ٥٣) دار الكتاب الجديد – بيروت.

(٢) جريدة الحياة، العدد (٥٧١٦) في ٢٢/ ١١/ ١٩٦٤م.

(٣) الاشتراكية في التجارب العربية لطائفة من المفكرين عام/ ١٩٦٥م، ص ١١٥، مقال لجبران شامية/ طبعة دار الكتاب الجديد/ لبنان.



يضاف إلى ذلك، أن الاشتراكية - المسماة بالعربية - رافقها حقد طبقي، حمل المتعلمين والفنيين على الهجرة من بلادهم، فتدنى مستوى الإدارة في دوائر الحكومة وفي المؤسسات الاقتصادية.[1]

●● وقد تدهور الاقتصاد المصري في ظل هذه الاشتراكية، وتضاعف اللجوء إلى التمويل الخارجي، وانتقلت المعونة الخارجية من عشرة ملايين جنيه خلال السنوات السابقة إلى أكثر من (مائة مليون جنيه في عام/ ١٩٦٤م.

وأصبح الاتحاد السوفييتي والبلدان الشرقية الأخرى، هي التي تقدم الجانب الأساسي في هذه المعونة.. وازداد الدين الخارجي إلى أن أصبح عشية حرب حزيران/ ١٩٦٧م، غير محتمل إطلاقاً بجدود «٥٠٠ مليون جنيه».[2]

● وقد ازدادت الأسعار بنسبة ٣٠٪ خلال سنتين حتى شعرت كل الطبقات بالضائقة الاقتصادية التي أخذت بخناقها، وتصاعدت موجة الغلاء حتى شملت الضروريات فضلاً عن الكماليات...[3]

● ● ●

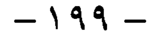
وقد عم الفساد، وتكونت طبقة جديدة من الجنرالات الأغنياء ومن حولهم، ونشرت الصحف صوراً عن تلك الفضائح لهذه الطبقة، ولنقرأ بعض ما كشفت عنه الأحداث بعد نكسة عام/ ١٩٦٧م، والتغييرات التي تمت عام/ ١٩٧١م وما بعدها..

---

(١) المرجع السابق، ص (١١٧ - ١١٨).

(٢) ينظر الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا: د. يوسف القرضاوي ص ٢٣٦، مؤسسة الرسالة - بيروت/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٣) المرجع السابق/ ص ٢٣٧.





● نشرت جريدة الأنوار الموالية للقاهرة عن استيراد ثلاثين غرفة نوم إيطالية لضابط واحد، إضافة إلى شقق أنيقة تابعة للحراسة، وغير ذلك من مصادر الانتفاع التي تُطبق عليها «شلة الجرذان» من وراء ظهر المشير وبكل جرأة وطمأنينة.

وهناك أسماء وهمية، حيث تخرج مئات السيارات من مصنع نصر باسمها، ورأس الشلة واحد هو المدير السابق لمكتب المشير عامر.[1]

●● وبعد ١٥ / مايو/ ١٩٧١م، نقرأ صوراً جديدة مذهلة عن الإثراء غير المشروع (لطبقة الثوريين الجدد)، عن طريق استغلال النفوذ، أو الاستناد إلى مراكز القوى في الجيش، أو في السلطة الحكومية أو الشعبية، ففي صحيفة أخبار اليوم المصرية في: «٢٩/ ٥/ ١٩٧١م»، نطالع العناوين التالية:

- ستة ملايين جنيه، كان الاتحاد الاشتراكي يحصل عليها سنوياً، ولا توجد ميزانية تضبط هذه الأموال.

- حتى النقابات فقدت تأثيرها في نظام التأميم، لتصبح آلة في يد النظام السياسي القائم.[2]

● أما شعار الوحدة:

فقد كان حلماً للجماهير العربية، إلا أن عبد الناصر قد أثار الأحقاد بين الأنظمة العربية، وأثار لدى أتباعه في العالم العربي الثورات ضد حكامهم، بعد أن خدع تلك الجماهير بأنه هو رائد القومية العربية، والوحدة بين دولها في

---

(١) الحلول المستوردة/ ص (٢٣٨ - ٢٣٩)، وجريدة الأنوار البيروتية في ٨/ ٩/ ١٩٦٧م.

(٢) الحلول المستوردة: د. يوسف القرضاوي، الصفحات التالية: «٢٤٠ - ٢٤١، ٢٤٤».



العصر الحديث.

فقد أشعل عبد الناصر الثورات في معظم أنحاء العالم العربي مدعوماً بقوى خارجية منذ عام/ ١٩٥٢م، واستراحت دولة إسرائيل خلال سنوات الوحدة مع سوريا، بسبب تشديد قبضة عبد الناصر على الجيش والمواطنين خلال سنوات الوحدة ومنعهم من رد العدوان.

● لقد أفقر عبد الناصر الشعب بالقرارات الاشتراكية، وأطلق يد الشيوعيين المصريين في أجهزة الدولة لبث الأفكار الهدامة، ومن ذلك مبادرته لصنع انقلاب في اليمن، وأرسل ألوية من جيشه كي تسند الانقلاب، ليبتعد جزء مهم من جيشه عن حدود إسرائيل.

وفي حرب اليمن قُتل ربع مليون شخص، كلهم من النساء والأطفال خلال خمس سنوات من الحرب الأهلية، دون أن يكون هناك سبب منطقي لقتلهم، إلا أن يكون الانتقام لانفصال سوريا سبباً لهذه المأساة.

هذا عدا عن الألاف الذين ماتوا من التعذيب في سجونه ومعتقلاته.[١]

●● وقد فشل عبد الناصر في ضم لبنان «عام/ ١٩٥٨م» إلى الجمهورية العربية المتحدة، رغم أنه كان قد بلغ ذروة القوة، كما أنه أشعل حرباً أهلية في لبنان عام/ ١٩٥٨م، عن طريق إثارة المنظمات الناصرية، قتل فيها الآلاف من الأطراف المتصارعة.

● لقد أشعل الثورة في كل مكان من العالم العربي، فعم التوتر والاضطراب، وانعدمت الثقة بين الأقطار العربية فأنّى تكون وحدة واتفاق؟!.

---

(١) الشعوبية الجديدة: محمد مصطفى رمضان/ ص (٢٥٩ - ٢٦٠).



●● وقد حاول القيام بانقلاب في الأردن ضد الملك حسين ففشل وكشف أمره، ويئس من ضم الأردن إلى الجمهورية العربية المتحدة.[١]

●● وكانت الموجة العارمة الموالية لعبد الناصر، قد أدت إلى الإطاحة بالحكم الملكي في العراق، في شهر تموز عام/ ١٩٥٨م وقد فشلت الوحدة بين مصر وسوريا، بسبب عبء النظام البوليسي، وتردي الاقتصاد الاشتراكي، وعداء التجار والسياسيين وضباط الجيش، لتسلط عبد الناصر وجبروته.[٢]

●● ولقد كانت دكتاتورية عبد الناصر سبباً في مآسٍ ثلاث قاتلة هي:

١- محاولة القضاء على الإسلام عقيدة وشريعة.

٢- محاولة القضاء على حرية الفرد وإذلاله.

٣- انهيار كيان الدولة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.[٣]

●● لقد فشلت سياسة عبد الناصر وطموحاته التوسعية، «وغدا في الأوحال غارقاً تعصف به الكوارث من كل حدب وصوب من العالم العربي وغيره من رجال السياسة، إلا أن حجم المساعدات المالية والفنية التي كان عبد الناصر يتلقاها من أمريكا وروسيا، كان كافياً لأن يدرك المرء أن الهزائم المتلاحقة به، قد عادت عليه بأرباح طائلة، فقد بلغ مجموع مساعداته من الولايات

---

(١) ينظر: لعبة الأمم، مايلز كوبلاند، ص ٢٧٨.

(٢) ينظر الحرب السرية في الشرق الأوسط: أندرو راثمل، ترجمة محمد نجار، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان/ ١٩٩٧م.ص (٢١٩ - ٢٢٥)، ص ٢٣٣.

(٣) الدكتاتورية محنة الإسلام والعالم: محمد عبد الواحد حجازي/ ص (٨٦)، الزهراء للإعلام العربي - القاهرة، عام/ ١٩٨٨م.



المتحدة والدول الشيوعية في السنوات الأربع التالية لعام/ ١٩٧٨م أكثر من مليار دولار من الجنيهات المصرية، أي حوالي «٢,٣ مليار دولار»[١].

● وبذلك فقد مزقت سياسة عبد الناصر، والاتحاد الاشتراكي، آمال الوحدة بين العرب، بعد أن زرعت الأحقاد والشكوك بين حكام الأقطار العربية.

(٤)

التطبيق العملي لسياسة الاتحاد الاشتراكي «مع إسرائيل»

كان جيل الاتحاد الاشتراكي، والذي مثّل طليعة القومية العربية، قد تخلى عن دينه وأخلاقه.. حينما فرط في مصير الأمة، يوم حرب حزيران مع الكيان الصهيوني، فقد تحطمت طائرات مصر، تلك القوة الضاربة في الشرق بعد حفلة سكر وعربدة مع الراقصات ونجوم السينما، وكان عدد الطيارين الحضور «٤٠٠ طيار»، جاءوا إلى حفلة النصر[٢].

● يقول الجاسوس اليهودي «باروخ»، لقد تمكنت من إقناع قائد سلاح الجو المصري «صدقي محمود» بإقامة حفلة النصر الكبرى لضباط سلاح الجو في الرابع من حزيران/ ١٩٦٧م[٣].

● وقد انتهت الحرب منذ الساعات الأولى للمعركة، وبعد أن تم تدمير

---

(١) لعبة الأمم: مايلز كوبلاند ص ٢٧٨، الطبعة الأولى/ لبنان/ بيروت/ ١٩٧٠م/ تعريب مروان خير.

(٢) ينظر كتاب: تحطمت الطائرات عند الفجر/ للجاسوس الإسرائيلي (باروخ نادل) ص (٢٦١ - ٢٦٢).

(٣) المرجع السابق/ ص ٢٧١.



سلاح الطيران، كما خططت إسرائيل، وكانت المطارات المصرية قد دمرت، ولم تعد صالحة لحركة الطيران المصري.

ومن المعروف أن الحفلة، قد ذاع خبرها، ونشرت الصحف المصرية أنباءها، وخاصة جريدة الأهرام القاهرية.

ومن المعروف أيضاً أن محاكمات قد تمت لصدقي محمود، وحكم عليه بخمسة عشر عاماً، بعد أن خفف عنه حكم الإعدام، وهذا يعني أنه مسؤول مسؤولية مباشرة عن هزيمة حزيران.

إن انشغال الطيارين السكارى في تلك الحفلة حفلة النصر الكبرى كما سماها الجاسوس الإسرائيلي، وإجازة القسم الآخر من الضباط، كان له أكبر الأثر في النكسة الرهيبة للأمة، وأن الخمر والمرأة، هما اللذان كفلا دمار هذه الأمة في معركة بقيت تعدلها خمسة عشر عاماً أو أكثر.[1]

● ولم يملك (محمد حسنين هيكل)، المحامي الأول عن الثورة المصرية، إلا أن يعترف بكثير من الأخطاء. يقول في مقالاته في الأهرام، في الشهر العاشر من سنة / ١٩٦٧م:

«الحقيقة أننا تصرفنا أمام العدو بقصور غير عادي، وكان الفشل من توقي الضربة مذهلاً!» «إن حادث الخامس من حزيران/ ١٩٦٧م غير معقول، إلى جانب أنه غير مفهوم، فضلاً عن أنه غير مسبوق وغير ملحوق!!، إن الوطنية ليست صراخاً، وليست حمّى، إنما هي إيمان، والإيمان معرفة، والمعرفة فهم»[2].

---

(١) ينظر: الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام،و ص (٢٦٩ - ٢٧٠).

(٢) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ص (٣٠٩).



●● لقد كانت هزيمة الخامس من حزيران هزيمة مروعة، سقطت فيها الجولان والقنيطرة سقوطاً شنيعاً، واحتلت إسرائيل منطقة سيناء، حتى وصلت إلى قناة السويس، وقتل الآلاف من الجنود المصريين، في صحراء سيناء اللافحة، أو ماتوا جوعاً، بطريقة وحشية، أو قتلوا وهم أسرى بشكل مأساوي لا يتقنه إلا يهود.

● «وتكمن العلة الحقيقية في إبعاد هذه الأمة عن عقيدتها الأصلية، وفرض عقيدة دخيلة عليها بقوة الدبابات، والمدافع والإذاعات والإعلام،مما يصطدم مع شريعتها وقيمها».[1]

●● كانت الهزائم تتم، ولم يُعدّ الثوريون للحرب مع اليهود، إلا الصراخ والتشنج، وإعلان الحرب على الإسلام وأهله.

● «فالشباب المسلم الذي أقض مضاجع اليهود في فلسطين، ومضاجع الإنجليز في القناة.. كان يعاني أشد أنواع التعذيب، الذي لا يطيق العقل البشري قصوره، فضلاً عن تحمله.

والكتب التي سجلت معاناة التعذيب، من خلال اعترافات أصحابها داخل سجون الثورة العتيدة كافية لتكوّن ملحمة تاريخية خالدة، لكفاح الشباب المسلم ضد الطغيان».

«والأمة التي تسلم قيادها للفجرة، وتعتقل وتعدم الصالحين من أبنائها، وتضع قيم الوحدة والاشتراكية والحرية بديلاً عن الإسلام، هي أمة محكوم

---

(١) المرجع السابق للقرضاوي، ص ٣١٢ بإيجاز.

عليها بالفناء». [1]

• قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٦].

• • •

• وبعد نكسة الخامس من حزيران:

كانت الموافقة على مشروع «روجرز»، الذي وضعه وزير خارجية أمريكا، وأعلن عبد الناصر عن قبوله بالمشروع خلال مناسبة الاحتفال بيوم الثورة.

ويفيد المشروع: «أن تقبل الدول العربية الاعتراف، بالسيادة الإسرائيلية على الأرض الفلسطينية قبل الرابع من حزيران/ ١٩٦٧م».

«وقد عارض الفلسطينيون المقيمون بمصر ذلك المشروع، فقمعهم عبد الناصر بقوة». [2]

• ثم وقعت مصر ما يسمى بمعاهدة السلام في كامب ديفيد أيام السادات:

بعد حرب صورية عام/ ١٩٧٣م، كانت لتحريك القضية، وليست لتحرير البلاد، كما زعم السادات آنذاك.

وقد اجتمع أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، مع الإرهابي بيغن، وكارتر رئيس الإدارة الأمريكية في مخيم داوود «كامب ديڤيد» ما بين (٥ إلى

(١) الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، ص (٢٧٠ – ٢٧١).

(٢) الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، ص ٢٧٥.



١٧ سبتمبر أيلول / عام ١٩٧٨م، واتفقوا على إطار لما سمي بسلام الشرق الأوسط.

ثم كانت المعاهدة المصرية الإسرائيلية، خرجت مصر بموجبها من منظومة الجامعة العربية، وكان ذلك أكبر شرخ بين الدول العربية على ضعفها وهوانها.

وكان قد قاد المفاوضات في الوفد المصري «الدكتور مصطفى خليل»، وهو آخر أمين عام للاتحاد الاشتراكي في مصر، ثم كلف برئاسة الوزارة ووزارة الخارجية.

● وقد أنهت هذه المعاهدة حالة الحرب مع العدو الإسرائيلي، وأقامت علاقات طبيعية وودية بين الدولتين، وإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية، مع تموين إسرائيل بحاجتها من البترول، وتحويل قضية فلسطين إلى فكرة الحكم الذاتي.[١]

ولم يطق أحرار الشعب المصري من الضباط الإسلاميين خاصة، هذا الصلح المهين، فقتل السادات وهو في أوج سلطانه وجبروته، في سرادق لعرض عسكري ضخم في القاهرة.

وبعد:

فهذه هي الحركات العربية الحديثة، ذات الطابع القومي والاشتراكي، تلك التي قادت الأمة بفكرها ومبادئها في النصف الثاني من القرن العشرين.. قادتها نحو الهزائم العسكرية، وتمزيق وحدة الأمة، وتحطيم اقتصادها، وأخلاقها

---

(١) ينظر كتاب: تقويم معاهدة السلام مع إسرائيل الصادر عن المركز الإسلامي في آخن، مايو/ ١٩٧٩م للكاتب نبيل شبيب.



وقيمها . .

وهذا هو مصير أمة تخلت عن الإسلام، وتبنت حلولاً مستوردة، تعتمد على الفكر القومي العلماني والاشتراكية الماركسية، فاحتُلت أراضيها، وديست كرامتها، وأصابها الفقر والحاجة والبؤس .

وها هي تطارد أبناءها من ذوي العقيدة الصافية، والإيمان العميق، بتهم شتى وتحت لافتات متنوعة، تسير وراء مخططات الصليبيين والصهاينة .

●●●

الباب الرابع

الحصاد المر للحلول المستوردة
خلال نصف قرن

الفصل الأول: الحصاد المر في قضايا الأمة الداخلية.

١ - انهيار الأخلاق وتفسخ الكيان الأسري.

٢ - تحكيم القوانين الوضعية في ديار المسلمين.

٣ - إخفاق الديمقراطية الغربية - الليبرالية - في ديارنا.

٤ - سقوط الشعارات الثورية أمام الواقع المرير.

الفصل الثاني: قضية فلسطين أمام الهزائم والتنازلات.

١- تمهيد...

٢- المواجهات العسكرية مع العدو الصهيوني.

٣- الاتصالات السرية مع زعماء الكيان الصهيوني.

٤- منظمة التحرير الفلسطينية ومرحلة التنازلات.

٥- اتفاقيات أوسلو: وسُلَّم التنازلات الانهزامية.

٦- انتفاضة الأقصى وخط الجهاد في سبيل الله.

الفصل الثالث: شيوع الإلحاد والجرأة على المقدسات.

١- ألوان من الشرك تغزو المجتمعات المعاصرة.

٢- نماذج من الإصدارات تهاجم الشريعة الإسلامية وتستخف بالنبوة والألوهية والمقدسات:

- وليمة لأعشاب البحر: حيدر حيدر.
- نقد الفكر الديني: د. صادق جلال العظم.
- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: د. محمد شحرور.

الفصل الأول

الحصاد المر في القضايا الداخلية

لقد جنت العلمانية والحركات الثورية على أمتنا التمزق والخراب، فانهارت الأخلاق، وخرجت المرأة سافرة تخالط الرجال الأجانب، وفشلت الليبرالية في ديارنا، لأنها نبت غريب زرع في أرض لا تلائمه.

فالعلمانية في أوربا مثلاً، تترك الحرية الشخصية للمواطنين في عباداتهم وأذواقهم، إلا أن المسلم في بلاده، لا يتاح له ذلك، حيث المراقبة والإرهاب، على الطريقة الكمالية في تركيا...

كما جنت العلمانية بشقيها الليبرالي والثوري على الأمة المسلمة في تحكيم القوانين الوضعية واستبعاد الشريعة الإسلامية، ومحاربة من يدعو إلى ذلك، بحجج مختلفة...

وقد رفعت شعارات ثورية يسارية وقومية، كالوحدة والحرية والاشتراكية، لكنها سقطت بعد حين من الزمن، فلم تقم وحدة بين الأقطار العربية، وإذا أقيمت فسرعان ما تتلاشى، وكبلت حرية المجتمعات فامتلأت السجون بالمواطنين، وتنوعت وسائل التعذيب بشكل منقطع النظير.. أما الاشتراكية وما أدراك ما الاشتراكية، فقد تسببت في خراب الديار، وكساد الاقتصاد، وإشراف أكثر الأقطار «التي نادت بها» على المجاعة والتشرد.

لقد تحدثنا عن هذه القضايا في الأبواب الثلاثة الأولى من هذا الكتاب،



وسوف نركز على هذا الحصاد المرير خلال هذا الفصل ثم نتحدث عن نكبة فلسطين خلال هذه الفترة، وشيوع الإلحاد والجرأة على المقدسات لدى عدد من الكتاب والأدباء.

(١)

انهيار الأخلاق وتفسخ كيان الأسرة[١]:

لقد أدت العلمانية والحركات اليسارية، إلى انهيار الأخلاق فسادت الأخلاق النفعية، وانتشر الكذب والخداع وتغلغلت الرذيلة بين كثير من الناس، بعد أن ابتعدت المجتمعات الحديثة عن دينها، وعزلت الدين عن واقع الحياة وتحولت إلى مجتمعات جاهلية، تحاد الله ورسوله..

وقد عم القلق والحيرة والاضطراب، وشاع الفزع في هذه المجتمعات، وذلك بعد أن فقدت عنصر الإيمان بالله من النفوس، وخضعت القيم الأخلاقية إلى مقاييس البشر، ذلك أنه إذا انحرفت العقيدة فلابد أن تنحرف الأخلاق وكان لنظريات «دور كايم وفرويد وماركس وداروين» أثرها في مناهج التعليم بعد هجمة الغزو الفكري على بلادنا، وقد تميز هذا القرن بانتشار الرذيلة، والفوضى الجنسية والجهر بالمعاصي، بشكل لم يسبق له نظير...

وقد تفنن الناس في تحطيم الحواجز الأخلاقية، وتزيين الشهوات وتمجيد العري والسلوك والهابط.

---

(١) ينظر تفصيلاً لذلك: الباب الأول الفصل الثالث «مظاهر العلمانية في الحياة الإسلامية» ص ٨٨ - ٩٤، وها نحن ننقل فقرات منها للتذكير بما آلت إليه الأمور.



● وقد عملت الجاهلية المعاصرة على « ترجيل المرأة » وإفساد أنوثتها، وما تزال تنفخ في كيانها باسم المساواة مع الرجل.

● لقد أفسدت على المرأة حياتها بما لا يتناسب مع طبيعتها وتكوينها ورسالتها، فانتشر التبرج الصارخ وكثرت الحوادث المخلة بالأدب.

وجاءنا التعليم المختلط والنوادي المختلطة بعد رحيل الاستعمار، وخلال وجوده، وانتشرت الأزياء الفاضحة، بعد أن كانت نساء الشام كمنازلها يسترها عن العيون الحجاب الساتر، حتى النساء النصرانيات كن يتحجبن ثم طرأ التغير الشديد مع الأيام.

●● وقد شُجِّع السفور في المدارس وفُرض الاختلاط في معسكرات الفتوة بين المراهقين والمراهقات، أيام البعث والوحدة مع مصر.

لقد هاجم الثوريون الدين ودعاته، وحاولوا جاهدين أن يحلّوا « الإنسان العربي الجديد »، محل الإنسان المسلم، الإنسان الجديد الذي « يؤمن بأن كل قيم المجتمع البائد وأديانه ورسله، ما هي إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ »[١].

●● لقد عملوا على زعزعة الأخلاق، في نفوس الناشئة، وقدموا لهم أدب الجنس والقصص الهابطة، فانعكس هذا على الفساد الخلقي العام على أفراد الجيش وكبار الضباط.

ويكفينا هنا أن نذكر مثالاً على تغلغل هذا الفساد، هو موقف قادة الطيران

---

(١) مجلة جيش الشعب للمرشح ابراهيم خلاص، عدد ٤٩٧، ٢٥/ ٤/ ١٩٦٧م.



بمصر، ليلة الخامس من حزيران / عام ١٩٦٧م[١].

فقد أقام لهم الجاسوس اليهودي «باروخ» حفلاً راقصاً مخموراً حتى مطلع الفجر، بدلاً من أن يبيتوا لربهم سجداً وقياماً خلف متاريسهم.

● وقد فشل العسكريون والقادة الثوريون في بلادنا، فشلوا في ميدان الأخلاق، لأن الفضائل لا تسود بالأوامر العسكرية ولا بالقرارات الثورية، ولكنها تحتاج إلى تربة صالحة تنمو فيها بذورها، وترسخ جذورها...

وأول ما يحقق هذه التربية «العقيدة الصالحة»، عقيدة الإيمان بالله، مع العبادة الصادقة، والأخلاق السامية ويبدو أن الدكتاتورية المتسلطة، تريد من وراء تسهيل سبل الشهوات الدنيا، أن تمنح الشعوب المقهورة لوناً من «التعويض»، تنفس به عن كبتها السياسي والعقلي، بل هو نوع من «الإلهاء» المتعمد عن قسوة الواقع الذي تعيشه، ومرارة الحياة التي تعانيها.[٢]

● إن الخطأ الأكبر الذي ارتكبته الحركات اليسارية، وتوجهات العلمانيين، يتمثل في نسيانهم تاريخ الأمة وتراثها وعقيدتها ودينها، فظنوا أن الاشتراكية والشعارات العلمانية، والصيحات المتطرفة للقومية، تكون بديلاً عن الإسلام، وتكافل المجتمع فيه، فالحل الإسلامي هو البديل، بعد أن جربت الحلول المستوردة وثبت فشلها وزيغها.

---

(١) ينظر: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، يوسف القرضاوي (ص ٢٥٧ - ٢٥٨)، بإيجاز، مؤسسة الرسالة بيروت/ ١٩٨٩م.

(٢) ينظر الحلول المستوردة: د. يوسف القرضاوي/ ص (٣١٦ - ٣١٨).



(٢)

تحكيم القوانين الوضعية[١] :

إن تحكيم قوانين البشر من أسوأ ما جنته بلادنا في العصر الحديث فخلال ثلاثة، عشر قرناً كان المسلمون يرجعون إلى مصادر تشريعهم : من كتاب وسنة وإجماع وقياس.

ومن أكبر البلايا والمحن التي حلت ببلادنا في هذا العصر، هو تحاكمها إلى قوانين وضعية تناقض الإسلام، وتعمل على إبعاده وإقصائه عن كل جوانب الحياة المؤثرة . . حتى بعد رحيل الاستعمار وخلال مرحلة الاستقلال.

فقد ألغيت الخلافة الإسلامية رسمياً في عام/ ١٩٢٤م، واستبدل الدستور العثماني القائم على مجلة الأحكام العدلية بدستور مدني بحت، وسارت الأقطار الإسلامية في بلاد الشام ومصر على نفس الطريق.

● فما الذي جناه المسلمون من تطبيق هذه القوانين الوضعية خلال نصف قرن من الزمن؟!

- لقد كثرت الانحرافات الخلقية، وطغى الجشع المادي في غيبة التشريع الإلهي، وما تشكو منه المجتمعات الآن، من كثرة الجرائم، وبسبب الأجيال الناشئة، ما هو إلا نتيجة طبيعية لبعد الناس عن القيم الدينية وتحكيم شرع الله[٢] .

---

(١) ينظر تفصيلاً لذلك : مظاهر العلمانية في الحكم والتشريع/ الفصل الثالث/ من الباب الأول ص ٧٥ - ٨٠.

(٢) ينظر: الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام/ ص (٤٧٢ - ٤٧٣).



● وكان من نتائج تحكيم القوانين الوضعية: أن حق الإلحاد صار مكفولاً للناس في دساتير تلك البلاد، تحت عنوان «حرية العبادة»، فأصبح حق التحليل والتحريم بيد البرلمان أو مجلس الشعب، وتلك جاهلية جديدة قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[المائدة: ٥٠]

ويتناسى الناس أن الحكم بغير ما أنزل الله «ناقض» للتوحيد, ناقض للا إله إلا الله، ومن ضمن ذلك، اعتناق «مذهب من المذاهب التي تبعد الدين عن الحياة، أو تحصره في زاوية ضيقة منها، كالشيوعية والاشتراكية والعلمانية، والقومية والديمقراطية[١].

– لقد عجزت القوانين الوضعية عن تحقيق التطور المزعوم «ومكنت لأعداء الله في ديار المسلمين، فساموهم صنوف العذاب، وتبين بطلان هذه القوانين، ومخالفتها لشريعتنا، وظهر تناقضها، وأشاعت الفوضى والاضطراب»[٢].

● وقد وقف العلمانيون من تطبيق الشريعة موقفاً معادياً عجيباً تحت مسميات شتى، فقد تكاتفوا من أقصى اليسار الشيوعي إلى أقصى اليمين الليبرالي العلماني، ولا عجب فقد رُكبوا في مصانع الغزو الصليبي، بحيث يرون الإسلام عدواً لهم لا بد من محاربته، وما يزالون على عدائهم هذا للإسلام ودعاته مع الأسف[٣].

---

(١) كتاب لا إله إلا الله: الأستاذ محمد قطب/ ص (٧٤، ١٥٨) بإيجاز.

(٢) انظر: الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د. عمر سليمان الأشقر، ص ١٤٧ وما بعدها/ دار النفائس ومكتبة الفلاح ط ٣/ ١٤١٢هـ.

(٣) العلمانيون والإسلام: محمد قطب، ص (١٢٣ – ١٢٤) بتصرف وإيجاز.

●● وقد لا يدري هؤلاء جميعاً مدى جريمة إقصاء الشريعة وحكمها في الإسلام!! لا يدرون مخاطر ما يقومون به. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

● وأفتى العلماء قديماً وحديثاً بكفر من ينكر شرع الله وصلاحيته في الحكم، ذكرناها فيما سبق ونذكر بعضها فيما يأتي:[١]

– قال ابن تيمية – رحمه الله – في كتابه منهاج السنة: (ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً، من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر)[٢].

– ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله –: (فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب، فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة؟!)[٣].

– والعلمانيون يعتقدون أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، فيرد عليهم الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – «ومن اعتقد أن الإسلام ينحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى، أو يرى أن إنفاذ حكم الله بقطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن، لا يناسب العصر

---

(١) ينظر: الباب الأول من هذا الكتاب «الفصل الثالث» ص ٧٩ – ٨٢.

(٢) مجموعة التوحيد/ الرسالة الثانية عشرة/ ص ٤١٣.

(٣) رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم/ ص (٦٥) طبعة/ ١٤٠٣هـ.

الحاضر.. فذلك كله كفر اعتقاد يخرج من الملة»[1].

(٣)

فشل الليبرالية «الديمقراطية الغربية» في بلادنا

كان من آثار العلمانية في بلادنا، أن صاح العلمانيون ينادون بالديمقراطية وفتح المجالس النيابية، اقتداء بما يفعله سادتهم من الغربيين، متناسين أن الديمقراطية نبتة غريبة، طبقها نصارى الغرب، نتيجة ظروفهم ومشكلاتهم وصراعهم مع الكنيسة آنذاك.

● «والديمقراطية أصلاً، كلمة مشتقة من لفظتين يونانيتين، «الشعب والسلطة»، ومعناها الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب.

«وتطلق على نظام الحكم، الذي يكون الشعب فيه رقيباً على أعمال الحكومة بواسطة المجالس النيابية، ويكون لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين»[2].

وعلى هذا الأساس «يكون للشعب حق الإشراف على الحكومة وتوجيهها وحق نقدها، والاعتراض على أعمالها...

ويضمن فيها حرية التعبير عن الرأي خارج البرلمان، وذلك عن طريق وسائل التعبير المباحة.

---

(١) مجموعة فتاوى ابن باز/ ج١/ ص ١٣٧، جمعها الشويعر.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب/ ص ١٧٨، طبعة دار الشروق/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



وتعتبر الحرية السياسية في البلاد الديمقراطية، من أبرز الحقوق التي أعطيت للشعوب في البلاد الغربية[1].

● وعلى أساس هذا النظام، فالقوانين الوضعية التي يسنها البرلمان ولجانه المختصه، هي التي تحكم المحاكم بموجبها، لتحل محل الشريعة الإسلامية.. الشريعة التي حكمت ديار الإسلام ثلاثة عشر قرناً، زُحزحت عن مكانها، وحصرت في مكان ضيق تنظمه، فيما يتعلق بشؤون الأسرة.

وترتب على إقرار القوانين الوضعية الأجنبية الأصل، مخالفة الإسلام دين الأمة، مخالفة ظاهرة بإحلال المحرمات وإسقاط العقوبات.

وقد رأينا هذه القوانين، تقر شرب الخمر وصنعها والاتجار فيها، ولا ترى في ذلك جريمة تستحق العقوبة[2].

● وتنص القوانين العلمانية في الليبرالية الغربية، على حرية العقيدة، والحرية هنا تعني أن من شاء أن يلحد ويعلن إلحاده على الناس، ويسخر من القيم الدينية كلها، فمن حقه أن يفعل ذلك، ولا حرج عليه على الإطلاق، ولا حرج عليه أن يتصرف بحرية في العلاقات الجنسية المحرمة.. وهي تعطي بذلك الفساد الديني والفساد الخلقي شرعية كاملة، وجعلت ذلك جزءاً أصيلاً من مفهوم الحرية ومفهوم الديمقراطية[3].

أما الشيوعية فقد منحت الناس هذه الحرية بالذات في حين حرمت كل

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة/ ص ١٩٣، ١٩٥ - ١٩٧/ بإيجاز.

(٢) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا: د. يوسف القرضاوي، ص ٧٣، ينظر: تحكيم القوانين الوضعية وحكمها فيما سبق ص ٧٥ وما بعدها.

(٣) مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب/ ص (٢١٦ - ٢١٩) بإيجاز.



الحريات الأخرى[1].

●● وفي ظل الليبرالية كان إقرار النظام الربوي الرأسمالي في شتى البلاد الإسلامية، مع أن الربا من كبائر المحرمات في الإسلام، وعطلت فريضة الزكاة تعطيلاً كاملاً في نظام الدولة، وساد الاحتكار وخاصة عند ذوي المناصب والأسر الكبيرة[2].

● وتشكلت في الليبرالية طبقتان في المجتمع، طبقة غنية مترفة تتوارث الغنى والثروة، وأخرى فقيرة تتوارث الفقر والعوز.

●● كما أنشأت الحانات وأندية القمار تشرب فيها الخمور، تحت رقابة الدولة، وشاعت الفاحشة، وصار في بلاد المسلمين مراقص ومؤسسات مشبوهة، تحرص على التحلل من قيود الخلق والفضيلة.

انتشر كل ذلك تحت عنوان مضلل هو «الحرية الشخصية بمفهومها الغربي» الذي لم تعرفه هذه الأمة، وحقت اللعنة على الأمة بانحلال شبابها وبناتها، فتميّع الشباب، واسترجل النساء «ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[3].

● فالرأسمالية هي التي تدير مسرحية الديمقراطية كلها، والرأسمالية والشيوعية من خطط اليهود الخبيثة.

«والرأسمالية هي التي تدير مسرحية الديمقراطية كلها، وهي التي تضع

---

(١) السابق/ هامش ص ٢١٧.

(٢) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا للقرضاوي/ ص (٦٥ - ٦٦).

(٣) الحلول المستوردة للقرضاوي ص (٧٠ - ١٧) بإيجاز.



التشريعات للمحافظة على مصالحها، على حساب مصالح «الشعب»، الشعب الذي يقع عليه الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي في كل جاهلية من جاهليات التاريخ»[١].

● ولا ينبغي أن تخدعنا الصيحات والشعارات عن حقيقة الواقع، ولا ينبغي كذلك أن يخدعنا وجود بعض الأصوات (الحرة) في المجالس النيابية، أو في الصحافة ووسائل الإعلام، فهذا ذاته جزء من «فن المسرحية...»[٢].

●● وقد فشلت الليبرالية في بلادنا، فلم يتحقق العدل، ولا حصل المواطنون على حرياتهم، وانتشر الفساد، وعم الربا في البلاد، وما طبق في بلاد المسلمين، كان مسخاً مشوهاً، رغم فساد الليبرالية أصلاً من وجهة نظر الإسلام، وكانت النتيجة أن حكمت البلاد أنظمة عسكرية، رفعت شعارات اليسار والاشتراكية، وحكمت بالحديد والنار، في عدد من دول بلادنا.

● **ولو تساءلنا لماذا فشلت الليبرالية في ديار المسلمين؟!** لكان الجواب بأنه:

قد أثبتت التجارب أن «الدين» هو أهم شيء في وجود الإنسان، وأن النظريات «الأيديولوجية» أو السياسيات العملية، التي تهمل الدين، تعيش على هامش الحياة، ولا تنفذ إلى صلبها، ولا تمسّ قلب الإنسان نفسه التي بين جنبيه، والتي هي أصل كل تغيير وإصلاح.

وقد فشلت الليبرالية الديمقراطية في أوطاننا، لأنها بذر وضع في غير تربته،

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب/ ص ٢٢٤.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة/ ص ٥٥.



وفي غير مناخه الملائم[1].

● إن أخذ أي نظام سياسي جاهز من بلد مختلف، وحضارة مختلفة، وفرضه بواسطة الغربيين، أو الحكام المتغربين في الشرق، هو عمل خاطئ، ولا يتناسب مع حاجات ومتطلبات وآمال الشرق الأوسط الإسلامي، فقد فرضت الديمقراطية بأوامر الحاكم المطلق، وكانت تسانده وتساند برلمانه أقلية هزيلة، لم يؤبه بها، لانغماسها المحبب في اللعبة الجديدة للأحزاب والبرامج الديبلوماسية، وكان مجموع الشعب يراقبها بخيبة أمل، فكانت النتيحة قيام نظام سياسي، لا صلة له بماضي البلد أو حاضره، ولا صلة له بحاجات مستقبله»[2].

● فالتطبيق المشوَّه للديمقراطية في ديار المسلمين، كان مهزلة من أكبر مهازل تاريخنا الحديث.

فكلما فازت الأكثرية المسلمة في قطر إسلامي ألغيت الانتخابات، وحكمت البلاد بقوة العسكر، واضطهد زعماء الأكثرية المسلمة[3].

فقد تكرر هذا المسرح في الجزائر والسودان أيام النميري، وفي سوريا أيام الانقلابيين العسكريين، وكذلك الأمر في تونس وما شابهها، حيث تتكرر انتخابات الزعيم الأوحد، حيث لا تقل نسبة الأصوات للناخبين عن ٩٩٪ وزيادة، حسب كرم وسائل الإعلام الحكومية؟!!.

● لقد تحولت الديمقراطية في بلادنا إلى مهزلة، رغم أنها لعبة غربية

---

(١) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا/ ص ١٢٢.

(٢) الغرب والشرق الأوسط: برنارد لويس، تعريب الدكتور نبيل صبحي، ص (٨٥ – ٨٦).

(٣) ينظر: الإسلاميون وسراب الديمقراطية: عبد الغني الرحّال، مؤسسة المؤتمن للنشر والتوزيع عام/ ١٤١٣ هـ.



رأسمالية، يتلهى بها الحكام مع مواطنيهم.

«فحين ثار المصريون ثورتهم الوطنية عام/ ١٩١٩م، كان (تشرشل) وزيراً في وزارة المحافظين آنذاك في بريطانيا، فجاءت أخبار الثورة في الصحف، فسأل تشرشل: ماذا يريدون «يعني المصريين»، قالوا له: يريدون دستوراً وبرلماناً، فقال تشرشل: أعطوهم لعبة يتلهون بها»[١].

● ● هذا مع العلم أن نظم الطغيان، التي حلت محل الديمقراطيات المزيفة ليست خيراً منها أبداً! «فالطغيان الذي يعتقل عشرات الألوف ويعذبهم أبشع تعذيب عرفته البشرية، ويقتل منهم من يقتل في محاكمات صورية، أو داخل الأسوار بالتعذيب، هو شر خالص لا خير فيه»[٢].

● ● ولن تتحقق الحرية الحقيقية ولا المساواة الحقيقية، ولا الإخاء الحقيقي إلا حين يكون التشريع لله وحده، ولا يكون للبشر حق التشريع من عند أنفسهم»[٣].

● ● هذا وإن الشبه العارض أحياناً بين الديمقراطية والإسلام، لا يجوز أن ينسينا الفارق الضخم في القاعدة، حيث أن القاعدة التي يقوم عليها الإسلام، تختلف اختلافاً جذرياً عن القاعدة التي تقوم عليها الديمقراطية.

في الإسلام يعبد الله وحده دون شريك، وتحكم شريعة الله تحقيقاً للتوحيد في عالم الواقع، وفي الديمقراطية، يعبد غير الله، وتحكم شرائع البشر عنواناً على

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب/ ص (٢٥٥ - ٢٥٦).

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق: ص (٢٢٧، ٢٤٣، ٢٥٢)، بتصرف يسير.



عبادة غير الله، وتوكيداً لها في عالم الواقع[1].

(٤)

سقوط الشعارات الثورية أمام الواقع المرير:

لقد فشلت الشعارات التي رفعها القوميون واليساريون بعد أن ملأوا الدنيا صخباً وضجيجاً، ووعوداً معسولة...

فشلت الوحدة، فلم يتحقق منها شيء، وأفقروا البلاد التي حكموها فقراً مدقعاً، انهار بسببه الاقتصاد في كل من سوريا ومصر، أما الحرية فاسأل عنها سجون البعث طوال ثلث قرن من الزمن، وزنزانات عبد الناصر وحزبه الاشتراكي[2].

● ماذا حققت هذه الحركات الثورية من تلك الأهداف؟!

ماذا أنجزت من هذا الثالوث الماسوني الأصل، والذي ورثته عن جماعة الاتحاد والترقي «حريت - أخوت - مساوات» الجماعة التي كانت وراء تمزيق الدولة العثمانية...[3].

● ماذا حقق الثوريون العرب من هذه الشعارات خلال نصف قرن من الزمن؟!

---

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٢) لقد تحدثنا عن هذه الشعارات في الباب الثالث من هذا الكتاب، ص ١٣٣ وما بعدها، ونركز في هذا الفصل على سقوط هذه الشعارات أمام صخرة الواقع.

(٣) ينظر: ذكريات الشيخ علي الطنطاوي، جـ٦/ ص ٥٩.



● فالوحدة :

هي التي كانت حلماً يراود الأجيال، وكانت من أبرز أهداف الحركات القومية، أصابت الأمة العربية بالإحباط الشديد، عندما تمزقت الوحدة بين مصر وسوريا، وبعد فشل الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، والتي وُقِّع ميثاقها في «١٧نيسان/ ١٩٦٣م» على أيدي الرفاق القوميين.

وقد عجز حزب البعث أن يقيم وحدة مع أي قطر عربي آخر.

● أما حركة القوميين العرب، فقد كانت أول مَنْ رفع لواء الاتفاق مع اليهود الماركسيين، بعد الحزب الشيوعي في المنطقة العربية.

وكانت المنظمات التابعة لهذه الحركة، تدعو إلى أن تستهل الثورة في البلاد العربية، وترى أن الإرهاب الدولي جزء من حرب التحرير القومي، تلك هي أهداف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة (جورج حبش)، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بقيادة (نايف حواتمة)[١].

●● أما عبد الناصر زعيم الاتحاد الاشتراكي، فقد حطم آمال العرب في الوحدة، بعد أن أشعل حرباً وانقلابات وفتناً في عدد من الأقطار العربية: في اليمن والأردن ولبنان، وانهارت الجمهورية العربية المتحدة، بسبب جبروته وديكتاتوريته[٢].

● وكان شكري القوتلي قد حمَّل عبد الناصر فشل تجربة الوحدة، التي استحالت إلى سراب كما قال، وذلك في بيان تاريخي أيَّدَ فيه الانفصال منددا

(١) ينظر: تفصيلاً لذلك: الباب الثالث من هذا الكتاب، فصل القوميين العرب، ص ١٧١ - ١٨٦.

(٢) ينظر: الباب الثالث فصل الاتحاد الاشتراكي، ص ١٨٩ - ٢٠٨.



بنظام الحكم الذي كان له ألف عين وعين، ولكنه لا يرى بواحدة منها »[1] .

ذلك هو تصريح الرئيس السابق لجمهورية سوريا، والذي أُطلق عليه المواطن الأول بعد تنازله لصالح الوحدة .

● **فلماذا فشل الثوريون في تحقيق الوحدة؟ !**

● لقد فشلوا في تحقيقها لأن الهدف المشترك لهم جميعاً، هو الاشتراكية الثورية، والتوجهات القومية العلمانية، وهذه أهداف بعيدة جداً عن طبيعة هذه الأمة، لأن الهدف الحقيقي لها، هو الإسلام، فهو الذي جمع العرب بعد تفرقهم في الجاهلية، بينما تقوم الاشتراكية الثورية على صراع الطبقات، فأنى لها أنْ توحّد الناس؟! وقد قسّموا العرب إلى رجعيين وثوريين، ويمين ويسار، ومحافظين وتحرريين، فليس عجيباً أن تفشل الوحدة العربية، على أيدي هؤلاء الثوريين، وهذا هو الأمر المنطقي والطبيعي[2] .

● والواقع أنه لم يتحقق للعرب معنى الأمة الواحدة إلا بالإسلام « حيث انتشلهم لا ليكوّنوا تجمعاً قومياً ولا وطنياً، وإنما لينشئ منهم أمة العقيدة في فترة من عمر الزمن كأنها لحظات »[3] .

●● لقد وحد الإسلام العرب خلال عهود الازدهار، في عهد الخلافة الراشدة، وما تلاها أيام بني أمية والعباسيين، كما توحدت بلاد الشام ومصر أيام الملكين العادلين: نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، في القرن السادس

---

(١) الحلول المستوردة للقرضاوي، ص (١٧٧) . وشكري القوتلي: هو الذي تنازل عن رئاسته لجمهورية سوريا لصالح الوحدة مع مصر .

(٢) ينظر: الحلول المستوردة للقرضاوي، ص (٢٦٧ – ٢٦٩)، بإيجاز .

(٣) ينظر: واقعنا المعاصر، للأستاذ محمد قطب، ص (٥٠ – ٥٤) .



الهجري، على أساس الإسلام وحركة الجهاد ضد الصليبيين، فما أحوجنا أن ننسج على منوالها، ومنوال ما سبقها، ولعل التاريخ يعيد نفسه[١] .

● **وكانت الحرية:**

هي الهدف الثاني الذي نادى بتحقيقه قادة الحركات القومية العلمانية .

كانت الحرية عندهم شعاراً غامضاً مائعاً، يطبقونه حسب أهوائهم ومصالحهم الحزبية . . الحرية هي حريتهم يصنعون ما شاءوا، الحرية عندهم شعار، شعار يستخدم للدعاية، وليس هدفاً يسعون إلى تحقيقه وتنفيذه[٢] .

● وقد ذاق الناس من الحكومات الثورية الأمرّين، إذ كبلت حرياتهم وسيقوا إلى السجون ودهاليز المخابرات، وقوى الأمن التي تبث الفزع والرعب في كل مكان .

« وتقرير بسيط على ورقة من أحد الرفاق، يعني شهوراً في الزنزانة، ثم إنساناً يُحطَّم مدى الحياة »[٣] .

● لقد عاش الناس يئنون تحت سلطان قانون الطوارئ والأحكام العرفية، فيما يزيد عن ثلث قرن من الزمن، وها هي شهادات الثوريين أنفسهم حول وأد شعار الحرية، الذي يتغنون به في دستورهم ومبادئهم .

---

(١) ينظر: الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، للأستاذ محمد الناصر/ ص (٣٥٤ – ٣٥٧)، بتصرف وإيجاز .

(٢) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ص (٢٢٠ – ٢٢١) .

(٣) ينظر: كتاب البعث للدكتور سامي الجندي، ص (١٣٠ – ١٣٣)، طبعة بيروت/ عام ١٩٦٩م .



● **وكان من حصاد الحرية أيام الاتحاد الاشتراكي:**

في عهد رئيسه قائد الثورة، جمال عبد الناصر، أن أعلن الحرب على ما أسماه بالرجعية، وكانت سجونه، من أسوأ سجون العالم، إذ كان التعذيب والجلد والقتل أمراً عادياً، وكان شعار الحرية عندهم للاستهلاك والدعاية ليس إلا...

كان الرئيس عبد الناصر، كثيراً ما يحمل على الرجعية والإقطاع في خطاباته وقراراته.. وقد ذكّرهم بأن الثورة المصرية لم «تذبحهم كما فعلت ثورات أخرى، وأنهم باقون أحراراً في المعتقلات!!».

وكان يمن على المصريين: بأن «الدولة التي كان يشغلها حفظ الأمن وإعطاء جوازات السفر، أصبحت الآن تربي الدجاج، وسوف تربي العجول أيضاً»(١).

هذه هي مهمة رائد القومية العربية، زعيم الاتحاد الاشتراكي، وكانت تقابل تصريحاته هذه بالتصفيق الحاد، وهتافات التأييد من أزلام السلطة.

ومن أراد معرفة حقيقة الإرهاب الناصري، فليقرأ بعض ما كتب حول تلك الفترة:

كالبوابة السوداء، ومذابح الإخوان في سجون ناصر، ونافذة على الجحيم، وأيام من حياتي، وغيرها كثير، وفيها ما تقشعر له الأبدان.

فأين الحرية المدعاة، وأين الشعارات المرفوعة، وماذا حققت خلال نصف قرن مضى؟!!

---

(١) من خطاب عبد الناصر، أمام مجلس الأمة، مساء الخميس في ١٢/ ١١/ ١٩٦٤م، عن كتاب الاشتراكية في التجارب العربية ص (١١٤)، مقال بقلم: جبران شامية.



فلماذا أخفق الثوريون في تحقيق الحرية؟![1]

قد يعود ذلك إلى نظرتهم لمفهوم الحرية...

فعبد الناصر مثلاً يقول: «لقد مهدنا طريق الديمقراطية السليمة، من أجل أن تكون الحرية للشعب كل الشعب، ولا حرية لأعداء الشعب...!! لا للطبقة الرأسمالية، ولا للإقطاع، ولا للرجعية...»

فهذا الشعار شعار: «لا حرية لأعداء الشعب» هو أول معول لهدم الحرية، لأن كل من يعارض الحكام الثوريين ينعم عليه بلقب عدو الشعب» دون تردد[2].

● ويقول الدكتور منيف الرزاز: «إن الحرية في الثورة لا تنحصر في نطاق الحريات الفردية، ولكن ألا يجب أن تكون هنالك حريات (جماعية) للطبقات المستفيدة من الثورة؟!!»[3].

● فالاشتراكية الثورية بطبيعتها تضيق بالحرية، ولا يمكن تطبيقها إلا في ظل سلطة مستبدة، وهذا هو حكم التاريخ في كل الاشتراكيات الثورية.

●● أما ما يجري من انتخابات واستفتاءات في ظل الاشتراكية الثورية، وتصل نتيجتها في أحيان كثيرة إلى «٩٩,٩٩٪» فهو مهزلة حقيقية، هم لا يستفتون على أمرين، أو شخصين: أيهما تختار، بل على أمر واحد، أو شخص

---

(١) ينظر: الحلول المستوردة، د. يوسف القرضاوي/ ص (٢٧٣ - ٢٨٥).

(٢) المرجع السابق/ص ٢٧٧.

(٣) التجربة المرة: د. منيف الرزاز/ ص ١٠٣، الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي بعد ميشيل عفلق.



واحد هل توافق عليه أم لا؟!!.[١]

●● والبرلمانات في البلاد الثورية كالصحف فيها، ليس من صلاحياتها المعارضة، ولكن مهمتها التأييد دائماً.

- كتب هيكل في أهرام (٢٠/ ١٢/ ١٩٦٨م) يقول:

«إن البيوقراطية المصرية كادت أن تضع أو تفرض معايير قاسية تجاه ما تمارسه الصحافة حيالها.. ووصلت في ذلك إلى حد أن تقرّر: أن النقد البناء هو مجرد التصفيق لكل تصرف، وأما النقد الهدام فهو الاعتراض على أي تصرف»[٢].

●●● هذا ما جنته الأمة من شعار الحرية الزائف... سجون .. قتلٌ وتشريد... إلغاء لحرية الصحافة، إلغاء لحرية التعبير، وحرية الانتخاب الحر النزيه... أحكام استثنائية، إعلان قوانين الطوارئ... كل ذلك يجري خلال عشرات السنين... «ولله الأمر من قبل ومن بعد».

● أما الاشتراكية:

ثالث أهداف الحركات القومية اليسارية، والأساس الذي قامت على أساسه هذه الأحزاب في المنطقة العربية، إذ «حلت هذه الاشتراكية محل الحل الليبرالي اليميني «الديمقراطي الغربي»، والذي فشل في جميع مجالات الحياة، بما حواه من فساد سياسي وظلم اجتماعي، وتناحر حزبي.. مما أدى إلى قيام أحزاب عقدية، اعتمدت على الانقلابات العسكرية، وجاءت ببديل آخر مستورد، هو

---

(١) الحلول المستوردة: د. يوسف القرضاوي/ ص (٢٨٤ - ٢٨٥).

(٢) المرجع السابق/ ص (٢٨٥ - ٢٨٦).



هذه الاشتراكية الثورية » ممزوجة بفكرة قومية عربية[1] .

● والحقيقة أن دعاة الاشتراكية كانوا حائرين، أين يلصقون كلمة (القومية)، بعد الاشتراكية أم قبلها، وكانوا كلما أوغلوا في هذه اللعبة، تتصدى لهم الاشتراكية بوثنيتها، وتطلب لنفسها أصالة تميزها عن غيرها لتبرر وجودها.

لقد أصيب كثير من ساسة العرب بهذه الأفكار الوافدة، فغرَّتهم مبادئ النازية ولغة الشيوعية الستالينية، دون إدراك سليم للمرحلة التي تمر بها المنطقة العربية في نضالها ضد الاستعمار ومخلفاته، ودون أن يأبهون بما ينبغي أن يقوم من مؤسسات وطنية بعد انقشاع الاستعمار[2] .

●● فماذا حققت هذه الاشتراكية للمواطنين في بلاد الشام، وبقية البلدان العربيةو التي طبقت هذا الثالوث الاشتراكي؟!

الكل يعلم أنها جرّت الفقر والضائقة الاقتصادية في كل قطر حَلّتْ فيه « فالاشتراكية لا تُذهب الفقر، ولكنها تذهب بغنى الغني، فتحقق المساواة في الحاجة والفقر» . (من ذكريات الطنطاوي: ج٦/ ص ٥٨)

● ففي سوريا مثلاً خلال العهد الاشتراكي :

في أيام الوحدة مع مصر، وخلال عهد حزب البعث العربي الاشتراكي، أصبحت معظم المعامل مدينة للدولة، بأكثر من رأسمالها، وصار الإصلاح

---

(١) الحلول المستوردة : د. يوسف القرضاوي/ ص (١٤٣ - ١٤٤) بإيجاز.

(٢) جريدة الحياة (٥٦٠٥) في ١٩/ تموز/ ٨٩٦٤ نقلاً عن كتاب الاشتراكية في التجارب العربية/ لكاتب من بغداد/ ص ٥٢، ٥٤/ دار الكتاب الجديد - بيروت/ ١٩٦٥م.



الزراعي أعجوبة القرن العشرين، إذ خضعت الملكية لأهواء موظف الإصلاح الزراعي وقيادة الحزب المحلية ولا سلطة لأحد عليهم[١].

ويقول خالد الحكيم ونذير النابلسي «وهما من الزعماء النقابيين البعثيين» في بيان لهما: «إن الوضع الاقتصادي في سوريا، وضع خانق لانعدام الاستقرار، ونزوح الكفاءات والخبرات الفنية، وتهريب رؤوس الأموال، والمصانع التي أقيمت لم يقبض أصحابها أثمانها...

إن الوضع الحالي وضع خطير، سيؤدي إلى تخريب الاقتصاد، وتخريب الجيش، وتفكك الحياة في سوريا»[٢].

وقد أدى الوضع إلى تخريب الاقتصاد، فوقعت سوريا في ضائعة اقتصادية مروعة، إذ أصبح «٤٨٪» من الشعب السوري تحت خط الفقر، فكثرت البطالة بشكل مخيف، وبات كثير من الأسر مهدداً بالمجاعة، بعد ثلث قرن من التجارب الاشتراكية[٣].

●● وفي مقال حول التدهور الاقتصادي في سوريا الاشتراكية جاء فيه: «أن سورية بلد زراعي غني بالخيرات، وتتنوع فيه المزوعات، وفيه من البترول والمعادن الخير الوفير...

وكان الشعب السوري مكتفياً يؤمّن حاجاته الأساسية والكمالية، بسهولة ويسر، ابتداء من العامل البسيط، وانتهاء بالمدرس، والموظف، خريج الجامعة، إذ

---

(١) كتاب البعث: د. سامي الجندي/ ص ١٥٢.

(٢) الحول المستوردة وكيف جنت على أمتنا: د. يوسف القرضاوي/ ص ٢٣١.

(٣) ينظر تفصيلاً لذلك: شعارات البعث بين النظرية والتطبيق/ الباب الثالث من هذا الكتاب، ص ١٥١ وما بعدها.



كان المدرس الثانوي مثلاً يوفر من راتبه فيتزوج بعد سنتين أو ثلاث من عمله، ويشتري بيتاً، وقد يشتري سيارة، «وبعد العهد الاشتراكي، ماذا دهى البلاد والعباد؟!!

بعد السبعينيات وبداية الثمانينات، صار كل موظف أو مدرس يعمل عملاً آخر بعد الدوام، ليسد حاجاته الضرورية، وفي التسعينيات أصبح للموظف راتب شهري يكفيه «من ٧ إلى عشرة أيام» في أحسن الأحوال، وعلى الموظف أن يبحث عن ثلاثة أضعاف راتبه من الرشوة إن تمكن، أو من السرقة إن وجد،، أو عاش يستدين إن وجد من يدينه.

وبذلك سحقت طبقة المعلمين التي لا تجد رشوة ولاسرقة، وصاروا يعملون في أعمال شاقة بعد دوامهم، كحفر الأقنية وحمل الطوب من العمارات التي تبنى، وانهار التعليم ومسخت المدارس، وصار البحث عن اللقمة هو الشغل الشاغل للملايين السوريين.

● «وقد هبطت مكانة الموظف الاجتماعية، وارتفعت مكانة العامل الحرفي، مما أدى إلى عزوف الشباب عن التعليم وخاصة التعليم العالي، وانتشرت الرشوة بشكل لم تعهده سوريا من قبل».

●● وكانت النتيجة ارتفاع الأسعار بشكل جنوني، وهبوط قيمة الليرة السورية

أما الأسعار لبعض المواد الغذائية: فقد كان سعر الكيلو من الخبز عام ١٩٨٠م = ١,٨٥ ل. س، وارتفع عام ١٩٩٥م، إلى ٨ ل. س، أما السكر فقد كان يساوي ١,٥ ل. س ليصبح: ٢٥ ل. س في ١٩٩٥ م.



أما اللحم فقد كان سعر الكيلو منه = ١٧ ل . س ليصبح ٢٠٠ ل . س .

● « لقد أصبحت لقمة الخبز بعيدة المنال، وفي مثل هذه المجاعة، تتمكن المخابرات والأجهزة القمعية، من تجنيد أكبر عدد تريده من أبناء الشعب »[١] .

●● أما الاشتراكية في عهد الاتحاد الاشتراكي في مصر :

فقد كان من نتائجها أن انتزعت الحكومة أيام عبد الناصر، المصانع والشركات من أصحابها الأكفاء، وسلمت إدارتها لمجموعة من الضباط، أرادت إرضاءهم، فوُجدت طبقة أرستقراطية جديدة، حلت محل الطبقة القديمة .

ونقلت المصانع والمؤسسات والمزارع بواسطة التأميم من أيدي أصحابها المتحلين بالخبرة، إلى أيدي موظفين لا يعرفون شيئاً عن هذه المصالح فكانت النتيجة المحتومة خراب أكثر هذه المؤسسات والشركات المؤممة، ولحق بالشركات السورية أيام الوحدة كثير من هذه المظالم[٢] .

● وقد تدهور الاقتصاد المصري في ظل هذه الاشتراكية، وتضاعف اللجوء إلى التمويل الخارجي، وازداد الدَّيْن (وخاصة من الاتحاد السوفياتي والجمهوريات الاشتراكية في أوربا الشرقية) عشية الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م، حتى وصل إلى حدود/ ٥٠٠ مليون جنيه مصري[٣] .

●● وازدادت الأسعار « بنسبة ٣٠٪ » خلال سنتين، حتى شعرت كل

---

(١) المجتمع، عدد (١٤٥٤) في ١٧/ ربيع الأول/ ١٤٢٢ هـ = ٩/٦/٢٠٠١م/ (بتصرف وإيجاز)، من مقال: لخالد الأحمد .

(٢) الاشتراكية في التجارب العربية: د . عمر حليق/ ص ١٣٠ - ١٣١، جبران شامية/ ص ١١٥ .

(٣) الحلول المستوردة: د . يوسف القرضاوي/ ص ٢٣٦ .



الطبقات بالضائقة الاقتصادية التي باتت تأخذ بخناقها، وتضاعفت موجة الغلاء حتى شملت الضروريات، فضلاً عن الكماليات[1].

● وقد عم الفساد، وتكونت طبقة جديدة من الجنرالات الأغنياء ومن حولهم، ونشرت الصحف صوراً عن تلك الفضائح لهذه الطبقة بعد نكبة عام/ ١٩٦٧م، والتغيرات التي تمت بعد عام/ ١٩٧١م[2].

●●●

● وبذلك فقد تكونت طبقة جديدة في البلدان التي طبقت الاشتراكية العربية، وكان لها امتيازات سواء للضباط أو الحزبيين أو من الفتيان، الذين يستخدمون القوة أو الدم سلاحاً، فلا يستطيعون إلغاء دور هذه البرجوازية، وإن اتخذوا اسمها عنواناً للشتم البذيء اقتباساً من لغة الشيوعيين.

فالاشتراكية الثورية هي الشيوعية ذاتها بكل مساوئها[3].

●● والغريب أن الشيوعية سقطت في روسيا و أوربا الشرقية، وفي أنحاء العالم كله، في ظل كابوس الإرهاب والفقر والمجاعة، حتى انهار الاتحاد السوفياتي انهياراً مزرياً.

وبقيت النخب الشيوعية في العالم العربي تؤدي دورها، وإن غيرت أسماءها خجلاً وعاراً رغم تاريخها الطويل.

---

(١) المرجع السابق/ ص ٢٣٦.

(٢) انظر تفصيلاً لذلك: أهداف الإتحاد الاشتراكي من خلال شعاراته، الباب الثالث من هذا الكتاب.

(٣) جريدة الحياة، العدد / ٥٦٠٥/ في ١٩/ تموز/ ١٩٦٤م.



لقد قفز دعاة الشيوعية السابقون إلى مواقع الوزارات، وإلى الصدارة في شتى المؤسسات، ويناط بهم تشكيل النظام التعليمي، وتكوين الرأي العام من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

كل ذلك يتم بمخطط محكم، بالتعاون مع الأنظمة القمعية، للتصدي لصعود قوة الإسلام الحديثة.

فالنخب اليسارية بحكم خبرتها السابقة المتخصصة في مواجهة الإسلاميين والتوجهات الإسلامية، استخدمتها القوى الشريرة لإجهاض الصحوة الإسلامية، تحت اختراع ألفاظ حاقدة، كالظلامية والأصولية والإرهاب، بطريقة يشوهون بها صورتها، وصورة دعاة الإسلام الصادقين.

إن هذه النخب اليسارية، تتخذ دور المنقذ الباحث عن لعب الدور الخبيث، ليخدم ذوي الشأن من الطغاة والمتسلطين، وتجد في ذلك فرصتها الوحيدة للبقاء[١].

●●●

هذه خطوط عريضة للحصاد المرير الذي جنته بلادنا من هذا الثالوث البغيض، الذي رُفع زوراً وخداعاً للجماهير العربية ولن تنجح حلول وافدة غريبة عن دين هذه الأمة وتراثها، وهاهو نصف قرن من الزمن يمضي والأمة في تخبط عجيب، وفقر مخيف.

«فلا بد للأمة أن ترتبط برسالة أو هدف كبير، فالمجتمع المتظالم الذي يقدِّم

---

(١) ينظر مقالاً بعنوان: الشيوعية والوظيفة الجديدة، د. محمد يحيى مجلة البيان، العدد (٦٧).



فيه المنافق المتلون على القوي الأمين لا يتقدم أبداً . . .

ولا بد من العدل لتأمين الأمن والحرية ، ذلك أن الخائف لا ينتج وإذا أنتج فلا يحسن ، ولابد من الاستقرار : استقرار النظام واستقرار القوانين الأساسية . . أما عندما تكثر الانقلابات والهزات وينْعدم الاستقرار والطمأنينة ، فرأس المال سوف يحجم عن المشاركة ، لأنه لا يأمن على مصيره ، بين أيد ثورية لها في كل صباح رغبة ، وفي كل مساء قرار»[1] . ولن يتم ذلك إلا في ظل هيمنة الإسلام على مجالات الحياة كلها ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها .

* * *

---

(١) ينظر الحلول المستوردة : القرضاوي/ ص (٢٩٩ - ٣٠٢) .

الفصل الثاني

قضية فلسطين أمام الهزائم والتنازلات

(١)

تمهيد:

كانت فلسطين وما تزال ، ضحية التآمر الدولي والخلاف العربي .

كان دور بريطانيا في معاهداتها مشيناً مع العرب، منذ بداية القرن العشرين، وسعت إلى تسليم فلسطين إلى عصابات يهود .

وأكملت الولايات المتحدة المؤامرة، إذ تبنت دولة إسرائيل وما تزال تمدها بالقوة والتأييد، بالمال والسلاح وداخل أروقة الأمم المتحدة حتى اليوم[١] .

● أما الاتحاد السوفييتي، فقد أمد دولة إسرائيل بالكوادر البشرية الشابة، والهجرات المتتالية، والتأييد المطلق في المحافل الدولية .

لأن إسرائيل في نظر الماركسية واحة من واحات التطبيق الاشتراكي في المنطقة العربية، وقد نادت الأحزاب الشيوعية بعدالة تقسيم فلسطين منذ عام/ ١٩٤٨م[٢] .

---

(١) ينظر: التآمر الصهيوني الصليبي، في كتاب المؤامرة الكبرى، الجزء الأول ص (٢٢٣ – ٢٤٨)، وص (٥٠٥ – ٥١٧) .

(٢) ينظر: دور الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية، الباب الثاني من هذا الكتاب، ص ١٢٠ – ١٢٦ .



● كما كانت حركة القوميين العرب أول من حمل لواء اتفاق العرب مع اليهود الماركسيين، بعد الحزب الشيوعي في المنطقة وقد تحدثنا عن دور هؤلاء في الفصول السابقة[١] .

● **أما المواجهات مع إسرائيل:**

فقد كانت حرب عام/ ١٩٤٨م مهزلة مروّعة، حيث كان مجموع الجيوش العربية التي دخلت الحرب لا يساوي ثلث قوات إسرائيل، وكانت الجيوش العربية تخضع لحكام ما زالوا تحت نفوذ الانتداب البريطاني، وكان التسليح يشكل فضيحة أخرى، بينما كانت عصابات يهود تُزَوّد بما تشاء من أسلحة فتاكة، من قبل القوى الصليبية في العالم.

وعندما أحست الشعوب العربية بمرارة الهزيمة، قامت انقلابات عسكرية في عدد من الأقطار المحيطة بإسرائيل، لتمحو عار الهزيمة، وتعمل على تحرير فلسطين، كما كان قادتها يزعمون[٢] .

(٢)

وفي عهد الانقلابيين العسكريين، الذين ملأوا الدنيا ضجيجاً ووعوداً بمحو عار الهزيمة في: سوريا ومصر والعراق، ماذا صنعوا؟! وهل حققوا شيئاً مما وعدوا به؟!.

لقد خاضوا مع إسرائيل حربين كبريين: في٥/ ٦/ ١٩٦٧م، وفي شهر

---

(١) ينظر: الباب الثالث، فصل الاتجاه الاشتراكي لدى القوميين العرب.

(٢) ينظر تفصيلاً لذلك: المؤامرة الكبرى الجزء الأول/ ص (٤٨٨ - ٥٠٠).



تشرين عام/ ١٩٧٣م، فكانت هزيمة حزيران هزيمة منكرة سقطت فيها الجولان والقنيطرة عاصمتها، كما احتلت إسرائيل منطقة سيناء كلها، حتى وصلت إلى ضفاف قناة السويس.. سقطت القنيطرة ببلاغ رقم (٦٦)، قبل أن تصل قوات العدو إليها، مما يثير لغزاً محيراً واتهاماً صارخاً حتى اليوم.

وقد كان للجواسيس اليهود، دور كبير في الهزيمة أمثال: «إيلي كوهين، وباروخ»، إذ تغلغلوا داخل كيان الدول الثورية.

وكانت حرب تشرين عام/ ١٩٧٣م، تهدف إلى التحريك لا إلى التحرير، كما زعم السادات آنذاك، كانت هزيمة أخرى في واقع الأمر، أدت إلى فصل القوات بين الجيش السوري وجيش العدو الصهيوني في شهر أيار/ ١٩٧٤م، وقد تراجعت قوات سوريا بموجب المعاهدة هذه، مسافة (١٥كم) شمال القنيطرة.

●● أما مصر، فقد بدأت تنازلات الرئيس المصري جمال عبد الناصر، لصالح العدو الصهيوني، بعد حرب حزيران، إذ لم يكن مستعداً أصلاً لهذه الحرب، وكذلك الجيش السوري، لقد ملأوا الدنيا تهديداً وصراخاً، بينما كانت إسرائيل تعد العدة بصمت مريب، فتحطم أسطول الطيران المصري وهو جاثم على أرض المطارات، حيث كان ضباط الطيران في حفلة سكر وعربدة حتى الفجر، أقامها لهم الجاسوس الصهيوني «باروخ»، كما أصبحت قوات العدو على مشارف دمشق.

ثم وقعت حكومة مصر ما يسمى «بمعاهدة السلام» في كامب ديفيد أيام السادات بعد حرب تشرين الصورية، وقعت المعاهدة عام/ ١٩٧٨م، بحضور الرئيس الأمريكي، ورئيس وزراء العدو بيغن.



● فكانت المعاهدة المصرية الإسرائيلية التي خرجت مصر بموجبها من منظومة الجامعة العربية.

وقد قاد المفاوضات في الوفد المصري «الدكتور مصطفى خليل» وهو آخر أمين عام للاتحاد الاشتراكي بمصر.

وقد أنهت هذه المعاهدة حالة الحرب ع العدو الإسرائيلي، وأقامت علاقات ودية وطبيعية بين الدولتين، مع إقامة علاقات ديبلوماسية واقتصادية وثقافية مع إسرائيل.

● وقد قتل السادات بسبب هذه المعاهدة، بعد ذهابه إلى القدس، قتل وهو في أوج سلطانه في سرادق ضخم، أقيم لعرض عسكري في القاهرة، تم ذلك على يد بعض ضباط جيشه من المؤمنين، وعلى رأسهم الضابط «خالد استانبولي» رحمه الله.

● فهذه هي الحركات القومية الاشتراكية، التي قادت الأمة بفكرها ومبادئها خلال النصف الثاني من القرن العشرين، قادت الأمة نحو الهزائم العسكرية، حيث مُزِّقَتْ وحدة العرب وتحطم اقتصادهم[١]

● وخلال حرب حزيران عام/ ١٩٦٧م، كان الملك حسين قد خسر الضفة الغربية والقدس الشرقية، حيث كانت تحكم من قبل الأردن، منذ عام/ ١٩٤٨م، وبعد قبول جده الملك عبدالله بن الحسين بتقسيم فلسطين، بل وقوفه عند حدود التقسيم بشكل مريب[٢].

---

(١) الباب الثالث/ الفصل الثالث/ التطبيق العملي لسياسة الاتحاد الاشتراكي مع إسرائيل، ص ٢٠٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: المؤامرة الكبرى/ الجزء الأول/ ص (٤٤١ - ٤٦٠).



(٣)

الاتصالات السرية مع الكيان الصهيوني :[١]

كان قادة إسرائيل، قد التجأوا إلى فتح قنوات سرية، مع معظم الزعماء العرب، بعد فترة المواجهات العسكرية، وقبلها كانت محاولات قادة إسرائيل جادة ومتوالية، منذ قيامها لفتح قنوات سرية مع الحكومات العربية المحيطة بها .

● وقد كشف « موشي ساسون » أحد ساسة إسرائيل أسرار اتصالات واتفاقيات سبقت قيام إسرائيل، بين قيادات الحركة الصهيونية وقيادات وأحزاب عربية، وأن السادات لم يكن أول المعترفين بإسرائيل، كما يزعم[٢] .

●● ففي مصر: كانت الاتصاللات سرية للغاية أيام عبد الناصر عن طريق « غولدمان » رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، وكان الاتصال يتم عن طريق « إبراهيم عزت » أحد محرري مجلة « روز اليوسف »، منذ عام / ١٩٥٥ حتى ١٩٥٨م[٣] .

● وفي عهد الرئيس « أنور السادات »، تم اللقاء مع « موشي دايان » عام / ١٩٧٧م، على أرض المغرب، تحت رعاية الملك « الحسن الثاني »، بواسطة

---

(١) ينظر: كتاب السلام السري من عبد الناصر إلى عرفات: للكاتب على منير، دار الحرية – القاهرة/ ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

(٢) ينظر جريدة الشرق الأوسط، ناصر الدين النشاشيبي، الحلقة « ٢٧ » من مذكراته، في ١٢/ ٩/ ٢٠٠١م.

(٣) ينظر: كتاب السلام السري، علي منير ص (١٤١ وما بعدها) وثروت عكاشة: مذكراته في السياسة والثقافة، الجزء الأول مطبعة دار الهلال .



« حسن التهامي » مع وزير دفاع إسرائيل « دايان »، وقد أكد الملك الحسن في مذكراته هذا اللقاء في كتاب له، صدر تحت عنوان: « ذاكرة ملك »[1].

كما أكد أحمد بهاء الدين هذا اللقاء على أرض الرباط في كتابه: « حواراتي مع السادات »[2].

● إلا أن السادات لم يتطرق إلى هذه اللقاءات المتكررة، وزعم أنه فاجأ مجلس الشعب بمبادرته المشؤومة هذه، وبذهابه إلى القدس، حيث خاطب « الكنيست الإسرائيلي » بكل صفاقة، يطلب من هم اتفاقية سلام؟![3].

●●●

وفي عهد الملك حسين بن طلال[4]:

كانت اللقاءات السرية مكثفة، وكانت مذكرات قادة اليهود مليئة بوقائع وحوادث وتفاصيل صلاتهم السرية مع الملك.

وقد بلغت لقاءات الملك بقيادة إسرائيل، في مباحثات سرية ما يزيد عن « ٥٠٠ ساعة » منذ عام/ ١٩٦٠م.

والتقى بقيادات حزب العمل أكثر من خمسين اجتماعاً في أماكن متفرقة

---

(١) ذاكرة ملك للملك الحسن الثاني، ص (١٦٥ - ١٦٦)، الناشر: الشركة السعودية للأبحاث والنشر، الترجمة العربية.

(٢) حواراتي مع السادات: أحمد بهاء الدين ص (١٤٧ - ١٤٩)، الناشر: دار الهلال، وينظر: السلام السري ص (٦٦ - ٦٩).

(٣) السلام السري: علي منير/ ص ٧٦.

(٤) المرجع السابق، ص (٨٣ - ١٢٨).



من العالم «ما بين ١٩٦٣ - ١٩٨٥م»، منهم:

«إيجال آلون وأباإيبان، وإسحاق رابين وجولدا مائير، وشيمون بيريز»[١].

كما زار الملك حسين تل أبيب عدة مرات سراً، وتجول في شوارعها ليلاً تحت حراسة مشددة.

وقد تناولت مجلة «تايم الأمريكية» في أعداد متفرقة الكثير من هذه اللقاءات، وتحدثت عن القضايا التي أثيرت في هذه المباحثات، وكانت كلها تدور حول التمهيد لإنهاء حالة الحرب بين الأردن وإسرائيل، كما أن الملك كان قد عرض تدويل مدينة القدس، إلا أن اليهود رفضوا مناقشة هذا الموضوع أصلاً مع الملك[٢].

● وبعد تكرار هذه اللقاءات، صار الطريق مفتوحاً أمام الملك ليصل إلى البيت الأبيض، ويضع توقيعه الرسمي على أول اتفاق علني، ومعاهدة سلام مع إسرائيل، بعد معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل[٣].

●● وقد كانت هنالك قنوات سرية أيضاً مع حكومة دمشق:[٤]

- فقد أشارت صحيفة «يديعوت أحرونوت» نبأ صرحت به جهات أمنية غربية في لندن، تتحدث عن لقاءات سرية جرت بين مسؤولين إسرائيليين وسوريين في عاصمة غربية.

---

(١) السابق، ص (٨٣ - ٨٤).

(٢) السلام السري: علي منير، ص (٨٤ - ٨٥).

(٣) المرجع السابق: ص (٩٥).

(٤) السلام السري، الفصل الرابع، ص (١٣١ - ١٣٨).



- وبعد هذا التصريح بأيام، نشرت صحيفة «اندبندنت» الصادرة في لندن في (١٥/ ٢/ ١٩٩٠م) خبراً يؤكد ما سبق ذكره، وحددت الصحيفة مكان اللقاء في فندق صغير في مدينة «فيينا»[١].

- وتكررت اللقاءات عن طريق مصر والأمم المتحدة، وتناولت المباحثات السرية خطة انسحاب القوات الإسرائيلية جزئياً من هضبة الجولان المحتلة[٢].

● وفي نهاية عام/ ١٩٩٣م، كانت المباحثات السرية تجري في أوسلو بين السوريين والإسرائليين.

وكان رئيس الوفد السوري في هذه المباحثات (الدكتور عزيز شكري) عميد كلية الحقوق في جامعة دمشق...

وقد تضمن البيان الذي فيه اتفق على صيغة مباحثات أوسلو، بين سورية وإسرائيل ما موجزه:

- قد اتفقت الحكومتان على أنه آن الأوان لوضع نهاية لعقود من المواجهة والنزاع، وعلى الاعتراف بالحقوق السياسية والشرعية للدولتين، وحقهما في الحياة، في تعايش سلمي، وكرامة وأمن متبادل، والتوصل إلى تسوية سلام عادلة ودائمة وشاملة، ومصالحة تاريخية من خلال عملية الاتفاق السياسي.

●● وتلتزم سوريا بالاعتراف، بإسرائيل وأمنها، وتتعهد بالالتزام بسلام كامل يشمل:

- إقامة علاقة دبلوماسية وقنصلية كاملة، وتنمية العلاقات الاقتصادية

---

(١) المرجع السابق، ص (١٣١).

(٢) ينظر: السلام السري (سوريا في لقاء مدريد) ص ١٣٤.



والثقافية، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والثقافية، مع حرية الحركة للمواطنين والبضائع[1].

● ولم نتحدث عن العلاقات السرية مع المغرب والعراق وعدد من الدول، لأن طبيعة البحث تقتصر على بلاد الشام أولاً والدول المحيطة بإسرائيل.

(٤)

مسلسل التنازلات عند منظمة التحرير الفلسطينية:

فوض العرب قادة المنظمة، لتكون هي الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين، فتحولت بذلك قضية فلسطين من مسألة إسلامية بمقدساتها وتاريخها العريق، إلى مسألة قومية عربية...

ثم تحولت القضية - بعد فشل المواجهات العسكرية - إلى قضية وطنية تخص شعب فلسطين، بل ومنظمة التحرير دون شعب فلسطين:

« كان الهدف الأساسي للمنظمة بعد إنشائها، هو تحرير الوطن السليب، فلا تسوية ولا صلح ولا مفاوضات، ولا تعايش مع إسرائيل »، هذه قرارات مؤتمر القمة العربية في القاهرة عام/ ١٩٦٤م[2].

● وبعد قيادة عرفات لفصائل منظمة التحرير، بدأت التنازلات السريعة،

---

(١) المرجع السابق/ ص (١٣٥ - ١٣٨)، بإيجاز.

(٢) ياسر عرفات تاجر الشنطة الفلسطينية: محمد العباسي ص (٦٤ - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة/ ١٩٩١م.



والسياسة الشوهاء، تبتعد عن الأهداف التي أسست من أجلها منظمة التحرير.

فقد أعلن ناطق رسمي بلسان منظمة التحرير عام/ ١٩٦٩م «أنّ هدف المنظمة هو إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية، يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون بسعادة؟!!»[١].

● وفي الصفحات القادمة سنتحدث - إن شاء الله - عن:

- الاتصالات السرية بين قادة المنظمة والكيان الصهيوني.

- اتفاقيات أوسلو الاستسلامية، وما تلاها من تطورات.

● الاتصالات السرية بين قادة المنظمة وكل من إسرائيل وأمريكا:

● لقد انتهج ياسر عرفات خطاً سياسياً جديداً لحل قضية فلسطين منذ عام/ ١٩٧٤م، حيث تبنى فكرة النضال السياسي، التي أدت إلى الخط الاستسلامي.

«وذلك بعد أن كان المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في يوليو/ عام ١٩٦٨م، قد قرر بالإجماع، اعتبار النضال المسلح طريقاً وحيداً للتحرير، ورفض كل الحلول الاستسلامية[٢] وبعد أن كان شعار منظمة فتح، كبرى فصائل منظمة التحرير، هو تحرير فلسطين من البحر إلى النهر.

ثم بدأت خطوات التنازل والاستسلام، وإدانة الإرهاب، فقد قام عرفات بتحويل عدد من الفدائيين، من الكادر العسكري في فتح إلى سياسيين، يقومون

---

(١) جريدة الحياة: في ٨/ ٦/ ١٩٦٩م.

(٢) مجلة الموقف العربي/ عدد ٩٤/ شباط/ ١٩٨٨م.



بالتفاوض مع قادة إسرائيل وكان من هؤلاء: سعيد حمامي، ومحمود صالح وعصام السرطاوي[١].

●● وبدأت اللقاءات السرية في جنح الظلام تعقد بين الطرفين، فقد التقى (خالد الحسن) أحد كبار قادة فتح مع (فرنون والترز) رجل المهمات السرية في الإدارة الأمريكية، بترتيب من الملك (الحسن الثاني) عام/ ١٩٧٤م[٢].

●● كما أنه قد تمت لقاءات أخرى تحت مظلة الاشتراكية الدولية، عن طريق فاروق قدومي وعبدالله حوراني (في نيويورك/ في ٥/ مايو/ ١٩٧٥م) مع الأمين العام المساعد لحزب راكاح الإسرائيلي، وتكرر اللقاء عام/ ١٩٧٦م، شارك فيه «قدومي» في اجتماع مع زعيم الحزب الشيوعي الإسرائيلي[٣].

● ومن ثم قرر ياسر عرفات نفسه، مواصلة الاتصالات مع ممثلي إسرائيل، فالتقى بالوفد الإسرائيلي، في اجتماع المجلس الدولي للسلام في مدينة «صوفيا» وتمخض اللقاء عن بيان مشترك، يؤكد الرغبة الصادقة في إحلال السلام العادل في الشرق الأوسط!![٤].

●● وكان هنالك قناة أخرى للاتصالات السرية، بين منظمة التحرير والولايات المتحدة، ساهم فيها (هنري كيسنجر) وزير خارجية أمريكا «اليهودي الأصل» مع أحد رجال عرفات، ومع حسن سلامة، رئيس جهاز أمن فتح.

---

(١) ياسر عرفات تاجر الشنطة الفلسطينية/ ص ٦٨/ محمد العباسي.

(٢) السلام السري: علي منير/ ص ٢٢.

(٣) مجلة العالم: العدد (٣٤)، لندن / في ١/ ٩/ ١٩٨٤م.

(٤) المرجع السابق: العدد (٣٤)، ص ٦٤.



وكان (عصام السرطاوي) يقوم بنفس الدور التعاوني الذي يقوم به حسن سلامة، مع جهات أمنية أمريكية، وقد أدت هذه الاتصالات إلى عدة لقاءات بين أعوان عرفات، وممثلي عدة دول غربية[1] .

●● وفي ٢٠ / ١ / ١٩٩٣م، شهدت عاصمة النرويج (أوسلو) أول لقاء مغلق، استمر حتى ٢٢ / ١ / ثم تم لقاء آخر في النرويج، كان يضم وفداً فلسطينياً يتألف من ثلاثة أفراد، وكان عرفات على صلة ومتابعة لما يدور بطبيعة الحال .

وفي ٢٠ / آب / كان (شيمون بيريز) في عاصمة النرويج « أوسلو » قد جاء متخفياً، وذهب في سرية تامة إلى منزل الضيافة الحكومي، حيث وقع بالأحرف الأولى، على مشروع اتفاق المبادئ الذي اتفق عليه الطرفان بهدوء[2] .

●● ونتساءل الآن : لماذا جرت كل هذه المباحثات في سرية تامة، مع الحذر الشديد، حيث كانت هنالك قنوات علنيه في مفاوضات متعددة الأطراف؟!

– يعلل فيصل الحسيني (رئيس الوفد الفلسطيني المفاوض ذلك « بأن نسبة النجاح في المفاوضات السرية تكون دائماً أكبر من نسبة نجاح المفاوضات العلنية » .

– ويقول محمود عباس « أبو مازن » : « إن الجانب الفلسطيني كان يرى أن المفاوضات تحت الأضواء، لن تثمر؛ لأن أعداد المفاوضين كبيرة، والأسرار تذاع

---

(١) ياسر عرفات من التوريط إلى التفريط : غازي حسين ص (١٠٤ – ١٠٥)، دمشق وبيروت / المنارة / ١٩٩٦م.

(٢) السلام السري من عبد الناصر إلى عرفات : علي منير / ص (٢٩ – ٣٢) .



في اللحظة نفسها، ويخشى أن تتعثر المفاوضات بسبب ذلك»[1].

● وفي الفقرة القادمة، سوف نرى ما الذي حققته المفاوضات السرية، وما الذي حققته اتفاقات أوسلو فيما بعد؟! علماً بأن اليهود قوم بهت وغدر، لن يلتزموا بأي معاهدة، وهذا ما حققته الأيام خلال حكوماتهم المختلفة.

(٥)

اتفاق أوسلو: ومسلسل الانهزام والتنازل:

بعد الاتصالات السرية بين المنظمة وكل من إسرائيل وأمريكا، اتفقت هذه الأطراف على اتفاقي «أوسلو».

الأول: في واشنطن في ١٣/ ٩/ ١٩٩٣م، والثاني في منتجع «طابا» المصري، في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٥م.

● وكان من أسباب الإسراع بهذه الاتفاقات، هو قطع الطريق على الانتفاضة الإسلامية المتصاعدة في الأرض المحتلة، والتي قامت في شهر ديسمبر لعام/ ١٩٨٧م، وكانت انطلاقتها من المساجد، بقيادة الحركة الإسلامية «حماس»، كانت روحاً جديداً سرى في أبناء فلسطين، بدأ ينعش نفوس أبناءالأمة المسلمة، ويحفزها للجهاد في سبيل الله لتحرير المسجد الأقصى، وبقية الديار المقدسة[2]

---

(١) المرجع السابق/ ص ٢٥.

(٢) ينظر: الانتفاضة المباركة ومستقبلها: جهاد محمد جهاد ص ١٣ مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع/ الكويت/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.



وتعتبر حماس نفسها امتداداً طبيعياً لكل الحركات الإسلامية، التي سبقتها للذود عن أرض فلسطين، كحركة القسام وعبد القادر الحسيني وكتائب الإخوان المسلمين عام/ ١٩٤٧ - ١٩٤٨م ...

وقد ساهم في هذه الانتفاضة قوى إسلامية أخرى كحركة الجهاد الإسلامي، وحركة الشباب المسلم، والحركة الإسلامية التي يقودها الشيخ عبد الله دوريش، وحركة الميثاق، وتبقى حماس أقواها وأوسعها نطاقاً[١] .

● قامت حماس تهاجم مشاريع التسوية الاستسلامية، وترفض الاستعداد لقبول دولتين على أرض فلسطين: عربية ويهودية، وتعتبر الانتفاضة عملاً شعبياً إسلامياً، قام في هذه الفترة رداً على مخططات عرفات الاستسلامية، ومساهمة بعض الأطراف العربية في إيجاد هزيمة تاريخية للأمة، بعد أن أقصت الإسلام عن حياتها شعاراً وممارسة ومنهجاً[٢] .

●● ماذا حقق عرفات لشعبه بموجب تطبيق مبادئ أوسلو العائمة؟! واتفاق طابا المشين؟!

- لقد حصلت إسرائيل على اعتراف فلسطيني صريح بوجودها على مساحة تناهز أربعة أخماس مساحة فلسطين الكلية، وحصلت على اعتراف منظمة التحرير وتعهدها، بحل منازعاتها كافة مع إسرائيل بالوسائل السلمية.

● والتزمت المنظمة كذلك بإلغاء المواد التي تتعارض مع وجود إسرائيل

---

(١) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، مقال للدكتور خير الدين عبد الرحمن، ص ٢١/ يوليو/ ١٩٩٠م.

(٢) ياسر عرفات تاجر الشنطة الفلسطينية: محمد العباسي/ ص ٢١٧.



(كدولة ذات سيادة) من الميثاق الوطني الفلسطيني .

● وبذلك فقد غيرت منظمة التحرير نظرتها إلى جغرافية، وتاريخ وقضية فلسطين، وكذا حق شعبها في مقاومة الاحتلال . . . مقابل اعتراف إسرائيل بوجود الشعب الفلسطيني، وبمنظمة التحرير ممثلة وحيدة له، وبحق هذا الشعب في إقامة سلطة حكم ذاتي، في الضفة الغربية وقطاع غزة(١) .

● وهذا يدل بوضوح على أن الانتفاضة، من وجهة نظر قيادة المنظمة، ما هي إلا هي معبر يفضي إلى المفاوضات، أو كانوا يعتبرونها واسطة لتحريك جمود التفاوض، وهذا ما يؤدي إلى صراعات داخلية(٢) .

●● لقد أصبحت سلطة الحكم الذاتي، بموجب اتفاق أوسلو هي اليد الأخرى لإسرائيل، تضرب بها رجال الانتفاضة، من أجل أمن إسرائيل ومخابرات إسرائيل . . .

« وبذلك صارت شرطة الحكم الذاتي تعتقل مئات العناصر من حركتي حماس والجهاد الإسلامي، وسط أجواء من الاتهامات المتبادلة، وهو ما خططت له إسرائيل »(٣) .

●● وقد أعلن ياسر عرفات خلال استقباله وفداً من أعضاء المؤتمر اليهودي العالمي عام/ ١٩٩٦م، أن عدد المعتقلين من الإسلاميين، من أعضاء حركتي الجهاد وحماس بلغ « ٩٠٠ معتقل »، مما جعل شيمون بيريز يعلن ارتياحه ورضاه

(١) ينظر: التسوية الصعبة، د. عدنان السيد حسين/ ص (٩٢ - ٩٤)/ بيروت/ ١٩٨٨م، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق.

(٢) المرجع السابق/ ص ٩٧ .

(٣) ينظر: السياسة الدولية، العدد « ١٢٠ » / نيسان/ ١٩٥٥م ص ٣١١ .



عن الجهود التي بذلتها السلطة الفلسطينية للقضاء على الإسلاميين!!.

وتأكيداً على طبيعة الهوية الفلسطينية القادمة، نرى ياسر عرفات، يؤكد بمناسبة وبغير مناسبة، أن الدولة الفلسطينية الموعودة دولة علمانية!!، وكأنه يريد أن يقدم مزيداً من الطمأنات للدولة اليهودية وحلفائها في الشرق والغرب[١].

● لقد كانت اتفاقية أوسلو، وما تبعها من تنازلات مشؤومة، أخطر انهزام في قضية فلسطين منذ بدايتها.

- يقول إدوارد سعيد، أحد أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني سابقاً: «إن اتفاق أوسلو، جعل منظمة التحرير تقبل بالتعاون مع سلطة الاحتلال، وما أوسلو إلا أداة للاستسلام.

وليس هنالك أشد إيلاماً على النفس من رؤية القيادة الفلسطينية الحالية، وهي تختار المباهاة الفارغة، والادعاء المثير للسخرية، والتمسك برموز مزيفة لاستقلال وهمي... وكل هذه الرموز الزائفة لن تنجح في إخفاء تبعيتها الكاملة لإسرائيل في هذا الكيان الجديد...[٢]

●● «إن وجود عرفات الآن لم يعد مجدياً لشعبه، وإن كان مجدياً لبعض المصالح العربية، ذلك أن وجوده في غزة هو ضمانة لدوام اتفاقية تكرس التبعية والخضوع الفلسطيني، وهذا تحديداً هو سبب كل هذا التأييد الدولي، الذي تلاقيه اتفاقيات أوسلو»[٣].

---

(١) مجلة البيان، عدد / ١٥٥ / رجب/ ١٤٢١ / افتتاحية العدد ص ٧.

(٢) غزة أريحا سلام أمريكي: إدوارد سعيد / ، دار المستقبل العربي/ بيروت/ ١٩٩٥م، ص (٢٢ - ٢٣).

(٣) المرجع السابق/ ص (٢٥ - ٢٧).



● وعندما سئل (كلوفيس مقصود) رئيس مركز عالم الجنوب – العالم الثالث – في جامعة واشنطن، حول مسيرة السلام هذه. قال: «ينبغي أن نعترف جميعاً أن ما يسمى بالمسيرة السلمية فاشلة منذ بدايتها، فقد أثبتت السنون أنها مسيرة استسلام، تهدف إلى استمرار المشروع الصهيوني في تنفيذ أهدافه، بابتلاع الأراضي الفلسطينية، والسيطرة الكاملة على مواردها. واتفاقية أوسلو، لم تنتزع من إسرائيل اعترافاً يقضي بكونها محتلة للأراضي العربية...

«إن الأجيال القادمة ستدين جيل القيادة الفلسطينية الحالي الذي بالغ في هرولته وراء إســـرائيل، وأفرط في ثقته بالولايات المتحدة... «وما يزال كذلك».

«والتيار الإسلامي هو أبرز آليات الأمة العربية الشرعية للدفاع عن حقوقها ومصالحها، وينبغي التصالح معه»[1].

● لقد تنكرت قيادة عرفات للأهداف التي قامت منظمة التحرير من أجلها، ولأهداف منظمة فتح عندما كانت تعلن: «أن هدفها هو تحرير فلسطين بالكفاح المسلح من النهر حتى البحر»، وحينما كانت ترفض فكرة التقسيم الاستعمارية، وأنها مستعدة لاتهام كل فرد يعمل للتقسيم بالخيانة العظمى»[2].

●●●

وعندما أعلن الحبيب بورقيبة عام/ ١٩٦٥م رأياً ينادي بتقسيم عام/ ١٩٤٧م، الذي اقترحته المنظمة الدولية آنذاك، اتهمته منظمة فتح بالخيانة، في

---

(١) مجلة المجتمع، العدد «١٢٩٦»، في ٢٤/ ذي الحجة عام/ ١٤١٨هـ في مقابلة، أجرى الحوار فيها: جهاد الكردي.

(٢) سلسلة كتب فلسطينية «٣٢»، ص ١٥/ غازي خورشيد، مركز الأبحاث الفلسطيني – بيروت/ ١٩٧١م.



بيان لها[١] .

لقد حكمت فتح على بورقيبة بالخيانة، ولم تحكم على نفسها بذلك، رغم أنها قامت بما هو أسوأ من اقتراح بورقيبة .

● ومما قاله الحبيب بورقيبة في خطاب له، ونشرت الصحف التونسية نصه : « إن الحل الوسط لقضية فلسطين، يقوم على أساس أن تعترف الدول العربية بإسرائيل، وفق الحدود التي أقرتها الأمم المتحدة، مقابل قبول إسرائيل بإعادة اللاجئين الفلسطينيين » .

واقترح كذلك « إجراء مفاوضات مباشرة بين مسؤولين إسرائليين، وزعماء من عرب فلسطين في عاصمة محايدة، . . . ودعا كذلك إلى ما أسماه بالتعايش الكامل بين إسرائيل والبلدان العربية، وإقامة علاقات اقتصادية وروابط تعاون بينهم »[٢] .

● هذا ما دعا إليه الحبيب بورقيبة، وقوبل باتهام عربي كامل بالخيانة والعمالة، فهل حققت (كامب ديفيد) ومعاهدة « وادي عربة »، واتفاقات أوسلو وطابا، أكثر مما دعا إليه هذا السياسي العجوز؟! والذي كان قد خرج على الإجماع العربي آنذاك؟!! .

وكيف تصبح الخيانة هناك وطنية هنا، بعد خمسة وثلاثين عاماً؟!! .

أرجو أن يتنبه القارئ المسلم لهذه التحولات العجيبة، وغسل الأدمغة بالشكل المريب .

---

(١) البيان رقم (٩) نشرته جريدة البعث السورية، في ٤ / ٤ / ١٩٦٥م .

(٢) ينظر : كتاب مشكلات الشرق الأوسط، الجزء الثاني، إبراهيم علوان / ص ٩ - ١٠ / المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، عام / ١٩٧٠م .



(٦)

انتفاضة الأقصى:

ظن اليهود الصهاينة أن العرب قد دخلوا في نوم طويل، ومنظمة التحرير أصبحت قادرة على مسايرة أهداف إسرائيل وتحقيقها، فبدأت تصريحات قادة اليهود وأمريكا، تذكر علانية قضية إعادة الهيكل الثالث المزعوم، والحفريات تحت الأقصى مستمرة، والتفاوض حول وضع المقدسات الإسلامية دخل في نطاق المفاوضات..

وفي هذه الفترة، قام الإرهابي «آريل شارون» بزيارة مفاجئة إلى ساحة المسجد الأقصى في ٢٨ / أيلول / عام ٢٠٠٠م، وكان قد اصطحب معه ثلاثة آلاف جندي إسرائيلي، استفزازاً لمشاعر المسلمين.

فتحولت فلسطين كلها إلى ساحة حرب بين شعب أعزل، سلاحه الحجارة، والعزيمة والصمود على الاستمرار في المقاومة، وجيش فاجر مبرمج بأحدث أنواع الأسلحة، التي بات يستخدمها، ضد الأطفال والشيوخ والنساء، وهم في منازلهم.

● وهاهي الانتفاضة مستمرة منذ عشرة أشهر[١]، وقد دب الرعب في

---

(١) بل منذ سنة ونصف حتى هذا التاريخ: ٦/ نيسان / ٢٠٠٢ م وقد ضاق (شارون) رئيس وزراء الكيان الصهيوني ذرعاً بمقاومة الشعب الفلسطيني فبدأ في حرب شاملة واجتياح مدمر لكل مدن الضفة الغربية، بتأييد أمريكي، وصمت عربي وعالمي.



نفوس الصهاينة، إذ تحولت المستوطنات إلى جحيم لا يطاق مما دفع سكانها إلى الرحيل عنها، وقد تمكن حوالي ثلثهم من الرحيل طلباً للنجاة بأرواحهم، بعد أن بات الموت يترصدهم في كل مكان... وقد تابعت صحف إسرائيل أوضاعهم المعيشية بسبب الانتفاضة، وبدأت تنشر قصصاً مرعبة عن حياة الخوف والقلق التي تسيطر عليهم، وتدفعهم إلى الرحيل عن مستوطناتهم، وذلك ما عجزت عنه عشر سنوات من التفاوض العقيم مع اليهود[1] ...».

وقد ازدادت عمليات الانتحار داخل إسرائيل، وازدحمت العيادات النفسية بالوافدين إليها من الصهاينة المرعوبين، من الموت الذي يتربص بهم في كل مكان، بسبب عمليات الاستشهاد والتفجير[2].

● كل هذا يتم رغم وحشية الصهاينة في تهديم المنازل على رؤوس أهلها العزّل، واستخدام المدفعية والدبابات، وقصف السكان بالصواريخ ومهاجمة الطائرات، التي كانت تخص بالاغتيال نشطاء الانتفاضة من أصحاب التيار الإسلامي.

ومن كان يتابع وسائل الإعلام المحايدة، سيجدها مليئة بهذه الأخبار المؤلمة، ولكنّ الصمت العالمي مُخزٍ، والسكوت العربي محيّر.. أمام همجية جيش إسرائيل، وقوات الأمن الحاقدة...

●● لقد غيّرت الانتفاضة حالة الركود التي أطبقت على الأمة بعد اتفاقيات أوسلو، وكامب ديفيد الثانية، وتحولت الانتفاضة إلى حركة جهاد شعبية

---

(١) ينظر مجلة المجتمع: العدد ٤٥٧ / في ٩/ ربيع ثاني/ ١٤٢٢هـ بعنوان «قطعان المستوطنين.. رعب وحصار وجحيم لا يطاق» لعاطف الجولاني.

(٢) ينظر: مجلة المجتمع، العدد (١٤٥٧)، وصحف تلك الفترة ومجلاتها.



متكاملة . . . ضمت إليها معظم فصائل الشعب الفلسطيني الصادقة، وبذلك فقد عادت قضية فلسطين إلى المسار الطبيعي، مسار الجهاد في سبيل الله، بعد أن تناولتها أيادي العلمانيين واليساريين قرابة نصف قرن مضى، ولم تفلح إلا بمزيد من التنازلات والهزائم، ولم يبق أمامهم إلا العودة إلى التجمع تحت راية لا إله إلا الله، والجهاد في سبيل الله، وما رفعت هذه الراية في تاريخ المسلمين إلا وكان النصر حليفهم بإذن الله .

أما اتفاقيات التطبيع المزعوم، فلن تزيد قضية فلسطين إلا تعقيداً، وسوف يقول التاريخ كلمته ولن يحابي أحداً .

● هذا وإن المسلم لعلى ثقة بأن النصر سيكون حليف المسلمين، وأن الانتصار سيكون حليفهم على يهود وأشياع يهود بإذن الله، ولن تقوم الساعة حتى يأتي النصر على أيدي المؤمنين الصادقين إن شاء الله .

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله! إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود»[1] .

– فالأمل كبير في عودة المسلمين إلى دينهم، وإرجاع قضية فلسطين قضية إسلامية، ولو عرقل هذا التوجه العلمانيون والقوميون واليساريون ومنظماتهم المتواطئة، وما النصر إلا من عند الله .

---

(١) رواه الإمام البخاري: ٣/ ٢٣٢، في الجهاد باب قتال اليهود والإمام مسلم برقم: (٢٩٢٢) في الفتن، باب لا تقوم الساعة .



الفصل الثالث

شيوع الإلحاد والجرأة على المقدسات

(١) ألوان من الشرك الأكبر في المجتمعات المعاصرة .

(٢) نماذج من الإصدارات : في انتهاك المقدسات الإسلامية ، ومهاجمة الشريعة والاستخفاف بالنبوة والألوهية .

أولاً : رواية وليمة لأعشاب البحر : لكاتبها حيدر حيدر .

ثانياً : كتاب نقد الفكر الديني : د . صادق جلال العظم .

ثالثاً : الكتاب والقرآن : قراءة معاصرة للدكتور المهندس : محمد شحرور .

١- الكاتب والكتاب .

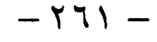
٢- الماركسية هي مصدر التفكير عند الدكتور : محمد شحرور .

٣- القرآن في النظرة الماركسية عند الكاتب .

٤- ضلالات الكاتب حول النبوة والرسالة .

٥- انحرافات شحرور في مسائل العقيدة .

٦- نزوات الكاتب الفقهية .





(١)

شيوع الإلحاد في المجتمعات المعاصرة[١]:

من الأمور الخطيرة، والانحرافات الشديدة، التي طرأت على هذه الأمة، تسلل الشرك بأنواعه إلى قطاعات كبيرة منها، بعد أن أكرمها الله بالتوحيد والإسلام،

● فهنالك طائفة من الكبائر ما تزال منتشرة بين أوساط بعض المسلمين ... وقد ازداد التعلق بها تحت مظلة الأحكام العلمانية، وبسبب الانحرافات عند بعض الفرق كالمتصوفة والمرجئة وأمثالهم.

من ذلك الاستغاثة بغير الله، ودعاء الأموات لتفريج الكربات، أو النذر لهؤلاء الأموات والذبح لهم.

« وذلك مما عمت به البلوى، مما يقوم به بعضهم من المغالاة في حب الموتى، وطلب الحاجات منهم، وشكوى مصائبهم قديماً وحديثاً »[٢].

وقد يصل الحال بهم إلى الطواف حول القبر تشبهاً بالطواف حول الكعبة « وذلك شرك أكبر يخرج قائله من ملة الإسلام، والعياذ بالله، لأنه نداء للأموات

---

(١) ينظر: الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام/ ص (٤٤٩ - ٤٥٧).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، جـ ١ / ص ٧١، دار أولي النهي.



ليعطوهم خيراً أو لينعشوهم ويدفعوا أو يكشفوا عنهم »[١] .

● وقد حذرنا الرسول ﷺ من تعظيم القبور، وتقديس أصحابها، أو اتخاذها مساجد، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي لفظ لمسلم: « لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

●● ومن الشرك الأكبر، ومما عمت به البلوى:

إقامة النصب وتشييد التماثيل، من أجل تخليد أصحابها، ممن يطلقون عليهم شهداء الوطن والعروبة، أو شهداء الواجب، وقد يكون بعض هؤلاء من النصارى، أو من العلمانيين اللادينيين، الذي عاثوا في الأرض فساداً .

وقد ينصبون التماثيل الضخمة، ذات التكاليف الباهظة على حساب الشعب المسكين، تخليداً لبعض الزعماء، وقد يكون منهم، من كان يرفض تحكيم شريعة الله، أو يجاهر بموالاة اليهود والنصارى، وكل أعداء الإسلام، وقد يتقربون إلى الأعداء بقتل علماء المسلمين ودعاتهم .

إن ظاهرة النصب (التذكارية) والتماثيل، تملأ معظم مدن العالم الإسلامي، وذلك ما حذر منه الرسول ﷺ في الأحاديث الصحيحة[٢] .

وقد تحدثنا عن بعض هذه الانحرافات خلال بحثنا عن العلمانية، وأصحاب الطرق الصوفية، وتقديسهم للموتى وزيارة القبور وطلب العون من

---

(١) السابق/ جـ ٢/ ص ١٩٣ .

(٢) الحياة الدينية عند العرب/ ص (٤٥٦ – ٤٥٧) .



أصحابها . . .[1] .

وازدادت الجرأة على مهاجمة المقدسات الإسلامية من قبل بعض الأدباء والشعراء، وعدد من الكتاب العلمانيين مما سنتحدث عنه لاحقاً .

●●●

وفي العهد الثوري، عهد الهوس القومي العلماني، تجرأ الشعراء والأدباء على رفض مفهومات الشريعة الإسلامية، ومهاجمة أركان الإسلام والإيمان، والتجرؤ على الذات الإلهية، بشكل ليس له نظير.

قال الشاعر القروي في عيد الوحدة :

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده، بجهنم[2]

وقال أحدهم في مجلة عسكرية قبيل حرب حزيران عام/ ١٩٦٧م :

« إن الله والأديان والأنبياء، ما هي إلا دمى محنطة يجب أن تأخذ مكانها في متاحف التاريخ »[3] .

● وكان للفكر الشيوعي دوره في قصائد بعض اليساريين حول الاعتداء على مقام الربوبية، والثورة على كل ما يمت للشريعة بصلة، من ذلك : قصائد محمود دوريش ومعين بسيسو وغيرهما .

وكانت الهجمة الإلحادية شديدة وشرسة منذ مطلع القرن العشرين، فقد

---

(١) ينظر الباب الأول : العلمانية في بلاد الشام « الآثار السلبية لظاهرة التصوف » .

(٢) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي : د . عبد الباسط بدر ص (٦١ – ٦٢) .

(٣) مجلة جيش الشعب للمرشح إبراهيم خلاص، العدد ٤٩٧ في ٢٥ / نيسان/ ١٩٦٧م .



هاجموا عقائد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر، باسم الثقافة والأدب وحرية الإبداع والتحديث، وقد ساهم بهذا التخريب: أدونيس ونزار قباني وآخرون[1].

(٢)

وقد كثرت الإصدارات في مهاجمة الشريعة الإسلامية، وتجرأت أقلام الردة على الاستخفاف بالألوهية وبالنبوة وبمعالم الدين، وانتهاك للمقدسات الدينية والآداب العامة، سوف نذكر نماذج منها فقط على سبيل المثال:

أولاً: رواية وليمة لأعشاب البحر، لكاتبها السوري: حيدر حيدر.

ثانياً: كتاب نقد الفكر الديني/ للدكتور صادق جلال العظم.

ثالثاً: الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة للدكتور محمد شحرور.

ويغلب الفكر الماركسي الملحد، والعلمانية المتطرفة على هذه الكتب.

وقد تناولها عدد من الكتاب بالنقد والتحليل، وتبيان المخاطر التي تحتوي عليها، والأهداف الكامنة وراء هذا الكفر الدخيل.

● وتعتبر هذه الكتابات نماذج لما غرسته أيادي المفكرين اليساريين والقوميين الاشتراكيين، وهي جزء من الحصاد المر للنصف الثاني من القرن العشرين.

ويضاف إليها: أدب الردة والتغريب، وما نشر في هذا الأدب من انحراف ورذيلة، وكفر صريح.

---

(١) سوف نتحدث عن أدب الردة والتغريب في الباب الخامس من هذا الكتاب إن شاء الله.



أولاً: وليمة لأعشاب البحر لكاتبها: حيدر حيدر:

هذه الرواية أعاد نشرها وزارة الثقافة بمصر، وقد أحدثت فتنة وغلياناً في الشارع المصري، حين كتب عنها بعض الناقدين في جريدة «الشعب» المصرية المعارضة، ونقل من ألفاظها المتعلقة بالذات الإلهية وبالقرآن الكريم، وبالرسول محمد ﷺ، وبتعاليم الإسلام مالا يتحمله وجدان المسلم وضميره في بلد دينه الرسمي الإسلام، وهو بلد الأزهر، قبلة المسلمين الثقافية، فلا غرو أن ثار طلاب جامعة الأزهر وطالباتها منادين بمصادرة هذه الرواية، ومعاقبة من نشرها، وروجها بين الناس[1].

● وتقع الرواية في «٧٠٠ صفحة»، لكاتبها السوري، ومما جاء في تلك الرواية الآثمة: «أن رب هذه الأرض كان يزحف، وهو يتسلل من عصور الرمل والشمس ببطء السلحفاة داخل هذه الأهواز، التي خلقها الرب في الأزمنة الموغلة في القدم، ثم نسيها فيما بعد لتراكم مشاغله التي لا تحد في بلاد العرب وحدها، حيث الزمن يدور على عقبيه منذ ألفي عام».

ويقول: «أقام الله مملكته الوهمية في فراغ السماوات»

«ربي خذ بيدي في مملكتي لآخذ بيدك في مملكتك، ربي زدني أرصدة في الدنيا والمصارف لأزيدك ابتهالاً في الآخرة، ربي لتكن منافعنا متبادلة، وليتحقق القصد الذي من أجله ولدتني، فأكون طفلك البار على هذه الأرض الفانية».

---

(١) ينظر: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق: د. يوسف القرضاوي ص ٦٢ / دار الشروق بالقاهرة / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.



ويستمر الكاتب النصيري في فجوره قائلاً: «وهؤلاء يهمشون التاريخ ويعيدونه مليون عام إلى الوراء في عصر الذرة والفضاء، والعقل المتفجر بقوانين آلهة البدو وتعليم القرآن...».

وقد نشرت هذه الرواية منذ زمن، إلا أن أهل العلمنة دأبوا على إحياء مقبورهم الإلحادي لنشره على أحياء النفوس من المسلمين[1].

● ويلاحظ أنه لا يوجد في الرواية شخصية يتعاطف معها الكاتب إلا الشخصيات الماركسية، ولا يوجد فيها فكرة يحترمها الكاتب إلا الفكرة الماركسية المتشددة، ولا يوجد حزن في الرواية يتدفق إلا على الماركسيين الذين لم ينجحوا في تجربتهم الثورية.

وبقية الشخصيات كلها هامشية، وبقية الأفكار لا قيمة لها[2].

●● وقد كثرت الردود والتعليقات على هذه الرواية الفاجرة فقال الدكتور مصطفى عبد الواحد في مقال له حول هذا الموضوع: «إن هؤلاء (النابتة) الذين ابتليت بهم بعض بلادنا العربية والإسلامية، لا يجدون مجالاً للحرية المطلقة إلاّ بالسخرية من القيم، والاستهزاء بالدين والأخلاق، لكن أحداً منهم لا يجرؤ في مجاوزة الحد إلى الحديث عن الجوانب الأخرى السياسية والاقتصادية.

فهل يستطيع «حيدر حيدر» أن يهاجم نظام الحكم في بلده، أو يحقر رمزاً

---

(١) مجلة البيان العدد/ (١٥١)، ص ١٠٣، ربيع الأول ١٤٢١هـ - حزيران/ عام ٢٠٠٠م، باب مرصد الأحداث لحسن قطامش.

(٢) عن كتاب: قصة روايتين لرجاء النقاش/ طبعة دار الهلال ص ٩٤/ نقلاً عن مقال للدكتور: حلمي محمد القاعود/ مجلة المجتمع، العدد (١٤٥٤) ١٧/ ربيع الأول/ ١٤٢٢ هـ - ٩/ ٦/ ٢٠٠١م.



من رموزه؟! لكنه يستبيح لنفسه إيراد الكفر الصراح، والسب الشنيع للخالق سبحانه وتعالى ولأنبيائه ورسله، الذين هم صفوة الإنسانية[1].

●● ويقول الدكتور محمد خضر عريف من مقال له:[2]

«يبدو أن الفئة الوحيدة في العالم، التي تبيح لنفسها الكفر، ولا ترى بأساً في التطاول على الذات الإلهية، وعلى المقدسات، هي فئة الحداثيين العرب، والشواهد على ذلك كثيرة.

وأزعم أن السبب في ذلك هو أن الغالبية العظمى من الحداثيين العرب، يؤمنون «بأيدولوجيات» مضادة للدين، كالشيوعية والاشتراكية والبعثية والقومية المتطرفة، وكثير منهم باطنيون أو علمانيون يعلنون عن علمانيتهم صراحة.

● وهناك نقطة لا بد أن نعترف بها، وهي ضعف الوازع الديني عند المسلمين حالياً، وبشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الإسلامي، ويمتزج ذلك بجهل الخاصة قبل العامة، أن الحرية لا تعني الإسفاف، وأن هنالك فرقاً بين حرية الفكر وحرية الكفر، ليس لدينا فقط نحن المسلمين، ولكن لدى كافة الأمم، بما في ذلك الأمم الغربية.. وأمر آخر مهم، لابد من التنويه به، وهو أن الكثير من الأنظمة العربيةفي الوقت الحاضر تجد في الخطاب الكفري إن جاز التعبير، أخطاراً أقل من «الخطاب الديني»، الذي يوصف بالتطرف والأصولية، ولذلك فالخطاب الديني هو الذي يحارب في الدرجة الأولى، ويتاح المجال للخطاب

---

(١) جريدة البلاد بعنوان: الإبداع لا الهذيان/ د. مصطفى عبد الواحد/ في ٢٤/ ١١/ عام ٢٠٠٠م.

(٢) بعنوان: كي نتصدى لهذه الفوضى لا بد أن نلجأ للقضاء. مقال نشر في جريدة البلاد في ١٤/ ٨/ ١٤٢١هـ الموافق ٩/ ١١/ ٢٠٠٠م.



الكفري دون أي تحفظ»[1].

•• ويقول الدكتور القرضاوي: «ولقد قرأت هذه الرواية، لأحكم لها أو عليها عن معرفة، فوجدتها من أولها إلى آخرها، لا تحمل أي توقير لله تعالى ولرسوله، ولا لكتابه ولا لشريعته، وفيها من العبارات المستخفة بالألوهية، وبالنبوة وبالدين الكثير الكثير، بعضها على لسان بعض الشخصيات، وبعضها في السرد القصصي للمؤلف نفسه، كما أنها تتحدث عن العلاقات الجنسية بعبارات مكشوفة، مما يخدش الحياء العام، ويشيع الفاحشة في الذين آمنوا»[2].

• وقد أفتى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بفتوى تاريخية موثقة بالأ لة من الرواية نفسها، وحكمت بأن الرواية تحقر الأديان، وتتطاول على ذات الله تعالى، وعلى الرسول ﷺ، وعلى القرآن الكريم، وعلى الآداب العامة، وأن ماجاء فيها: «خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وانتهاك للمقدسات الدينية والشرائع السماوية، والآداب العامة، ويثير الفتن، ويزعزع تماسك وحدة الأمة...».

ويضع بيان الأزهر على عاتق مَنْ نشر هذه الرواية المسؤولية الكاملة عن هذا التجاوز، والآثار المترتبة عليه دينياً واجتماعياً.

• وقد سئل شيخ الأزهر، رئيس مجمع البحوث الإسلامية الدكتور: محمد سيد طنطاوي: (هل يعتبر ما ورد في هذه الرواية كفراً؟! فقال: «من الواضح أن الخروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة يعد كفراً بالإجماع، وأن التطاول على الله تعالى ورسله وكتبه، كفر بلا نزاع»[3].

---

(١) ينظر جريدة البلاد في ١٤/ ٨/ ١٤٢١هـ / د. محمد خضر عريف.

(٢) ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق: د. يوسف القرضاوي ص ٦٢.

(٣) المرجع السابق للقرضاوي/ ص ٦٣.



النموذج الثاني: كتاب نقد الفكر الديني لصاحبه صادق جلال العظم:

وهو نموذج آخر مما كان قد وقع تحت تأثير الفكر الماركسي الستاليني، وراح يهاجم المعتقدات الإسلامية، زاعماً أنها عائق أساسي أمام التقدم الاجتماعي والتغيير الثوري.

● وقد ظهر الكتاب في نهاية الستينيات من القرن الماضي، وطبع عام/ ١٩٦٩م.. في مرحلة الانهزام النفسي والعسكري للأمة، والتي كانت نتاجاً لسياسة سادته من الثوريين اليساريين والاشتراكيين.

● «ويزعم أنصار الكاتب، بأن كتابه يتميز بتحليلات كثيرة موسعة، عن تلك الحقبة التاريخية المعقدة للواقع العربي آنذاك...

ويزعمون أن أصحاب الغيرة الدينية، يرون أن الكتاب قد مس المقدسات الدينية، لأنهم لم يستطيعوا الارتقاء إلى مستوى العصر»[١].

●● وقد كثرت الردود على هذا المقال، وذلك الكتاب، فقال الدكتور إبراهيم العاني، ما موجزه:[٢]

«لم يكن الهجوم على الدين، ومحاولة النيل منه، والاجتراء على مقدساته قضية جديدة جاء بها هذا الكتاب، أو ذاك كما يشاع اليوم.

وإنما هو قضية قديمة، تداوله كثيرون، كان فيهم الطغاة والفراعنة، وأصحاب

---

(١) جريدة الحياة في ٢٠/ ٢/ ١٤٢٠هـ - ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٠م، من مقال: للدكتور يوسف سلامة، أستاذ في جامعة دمشق يدافع عن الكاتب العظم وكتابه.

(٢) من مقال له بعنوان: قراءة خاطئة للدين والمجتمع، وليست مناقشة للأفكار/ جريدة الحياة ٦/ ٤/ ١٤٢١ هـ.



النفوذ الذين رأوا في الدين خطراً يهدد مصالحهم، وفيهم الشاكّون والملحدون الذين آمنوا بإله جديد هو «المادة».

والحق أن أي قارئ للكتاب، يلاحظ منذ سطوره الأولى اجتراء واضح على الإسلام ومعتقداته، واعتباره - كبقية الأديان - عائقاً، أساسياً أمام التقدم الاجتماعي والتغيير الثوري...

● سخر العظم من كل ما يعتقد به المسلمون، بل المؤمنون عموماً، ابتداء من عقيدة الألوهية، وانتهاء بالبعث واليوم الآخر، وأعلن صراحة في معرض تعليقه على مقولة «نيتشة» عن موت الإله قائلاً: (إن الإله الذي مات في أوربا، بدأ يحتضر في كل مكان تحت وقع تأثير المعرفة العلمية، والتقدم الصناعي، والمناهج العقلية، في تقصي المعرفة والاتجاهات الثورية في المجتمع والاقتصاد».

●●● ومن الواضح أن هذا ليس تقريراً لواقع معين، أو تحليلاً له، بقدر ما هو دعوة صريحة لاستئصال الإيمان من نفوس الأفراد والجماعات، وخاصة في المجتمعات الإسلامية، ومحاولة لفرض الإلحاد وتعميمه في الحياة العامة على الطريقة (الستالينية) عن طريق إعطاء المبرر الأيديولوجي لذلك العمل.

●● وكان الأولى بصاحب «نقد الفكر الديني» أن يقوم بمراجعة نقدية لنفسه وللمسلمات العقلية الجامدة، التي أثبت خطأها الواقع المحسوس، لا التحليل العقلي وحده، على فرض أنه من أنصار الفلسفة المادية، التي تعتمد بشكل أساسي على معطيات الواقع الحسي، وعلى التجربة في تفسير الظواهر.

● لكن الدكتور العظم، لم تزده الأيام إلا بعداً عن رؤية الواقع ومتغيراته: فصار بعد انهيار الشيوعية، وسقوط إطارها الفلسفي المادي مبشراً بعلمانية



متطرفة، ولو بوجهها الطوراني القبيح، وحاول أن يجد تبريراً لها، كما شاهدناه في مناظرة بثتها إحدى الفضائيات.

فالعظم بحاجة ماسة إلى مراجعة منطقه السكوني، ونزعته اللاتاريخية، التي عزلته خارج عصره ومجتمعه[١].

●● وقد تناوله بالرد الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتاب له بعنوان: صراع مع الملاحدة حتى العظم فمن أراد التفصيل فليرجع إليه[٢].

* * *

(١) ينظر: مقالة للدكتور إبراهيم العاني/ مدير الدراسات والبحوث في الجامعة الإسلامية «لندن» في ٦/ ٤/ ١٤٢١هـ - ٨/ ٧/ ٢٠٠٠م، جريدة الحياة.

(٢) صراع مع الملاحدة حتى العظم: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم: دمشق وبيروت، ١٩٨٠م.



ثالثاً: الكتاب والقرآن دراسة معاصرة، للدكتور المهندس: محمد شحرور / طبع عام / ١٩٩٢م

(١)

الكتاب والكاتب:

يعتبر هذا الكتاب من أضخم كتب التحريف المعاصر، ومن أكثرها إثارة، وقد رد على افتراءاته عدد من الكتاب والمفكرين المسلمين.

«حيث اختار الدكتور محمد بن ديب شحرور «سوري الجنسية» المذاهب الضالة ثياباً تخيّل للأغرار من أهل الأهواء والشهوات أنها مفهومات إسلامية، وأن نصوص القرآن والسنة النبوية تدل عليها، إذا قرئت قراءة معاصرة بأعين الفلاسفة المتعمقين..»[١].

وكان المهندس «شحرور» قد صيغ صياغة ماركسية، حيث كان يسير في منهجه حسب أساليبها الفكرية وألفاظ كتبها ومصطلحاتها، إذ اجتهد الكاتب أو من أملى الكتاب عليه أن يفسر القرآن وآياته بمنظار نظرية المعرفة عند الماركسيين... وكان الهدف الأقصى هو العدوان على النصوص الدينية الربانية، وإلغاء معانيها المشتملة على العقائد والأخلاق والشرائع والأخبار والأحكام الربانية إلغاء كلياً، أو جزئياً»[٢].

● كان في نظر الكاتب أنه لابد من نظرية جديدة لإنهاض العرب

---

(١) التحريف المعاصر في الدين: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني ص ١٥/ دار القلم - دمشق/ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

(٢) المرجع السابق/ ص ٢٠.



والمسلمين، تقوم على تلبيس الإسلام طاقية الماركسية، بعد إدخال بعض التعديلات الجوهرية على الماركسية والإسلام، وأن يغلف ذلك بالحريات التي أطلقها المبدأ الرأسمالي، وألغتها الماركسية، وأن يتّهم الناتج بالعواطف القومية والوطنية، حتى لا يبقى لنظريته لون أو طعم[1].

●● والضجة التي أثارها كتاب شحرور، لم تحدث للقيمة التي يحملها الكتاب، وإنما جاءت من خلال عنصر الإثارة المقصود، ذلك أن الناس لم يعتادوا أن يسمعوا في حق الدين أقوالاً تصل إلى هذه الجرأة في مخالفة صريح الكتاب وصحيح السنة، ونقض الإجماع، والتعرض لشخصيات الصحابة بالهزء والسخرية، وتسفيه علماء الأمة الإسلامية، بهذه الطريقة المزرية . . .

كما ساهم في هذه الإثارة المفتعلة، الطريقة التي تناول فيها «شحرور» الآراء الفقهية الراسخة عند المسلمين، وكانت مسألة خلق الإنسان وحجاب المرأة المسلمة موضع الإثارة المطلوب[2].

● وقد كثرت الموضوعات المثيرة في كتاب «شحرور» حتى أن صاحب كتاب «النزعة المادية في العالم الإسلامي» يقول: لقد أحصيت في كتابه ما يزيد على ألف موضع يمثل انحرافاً عن المنهج الإسلامي[3].

● لقد كان كتاب «د. شحرور» أشبه شيء بما جاء به أحمد خان

---

(١) تهافت القراءة المعاصرة: د. منير محمد طاهر الشواف ص ٣/ طبعة/ ١٩٩٣م، الناشر: الشواف للنشر والدراسات.

(٢) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل، ص ٢٩٩/ دار البينة للنشر والتوزيع/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) المرجع السابق: عادل التل/ص ٣٠٥.



الهندي، وعلي عبد الرازق المصري، من حيث مصادمتهم لأساسيات الدين الإسلامي، وعنصر الإثارة في الصراع.

فقد دعا أحمد خان، إلى الأخذ بمناهج الغرب وتطويع الإسلام ليتلاءم مع الحضارة المادية الغربية، كما دعا علي عبد الرازق، إلى إسقاط نظام الخلافة، واعتبر أنها نظام ليس له أصول ملزمة في الشريعة...

وقد ظهر أن للاثنين صلات مريبة بالإنجليز آنذاك، وتبعية للمستشرقين من اليهود والنصارى.

أما محمد شحرور فيظهر أن صلته كانت قوية بالماركسية والشيوعية، عندما كان مبتعثاً إلى روسيا لدراسة الهندسة المدنية ما بين (١٩٥٨ - ١٩٦٤م).

وقد اكتمل تأثره بالمستشرقين خلال دراسته في إيرلندة «دبلن»، لدراسة الماجستير والدكتوراه ما بين (١٩٧٠م - ١٩٨٠م) في الهندسة المدنية أيضاً[1].

● لقد درس «شحرور» الرأسمالية وعشق مبدأ الحريات المنبثق عنها، و(انضبع) بالواقع الظاهر لهذه الحريات، بيد أنه لم يتعمق في المبدأ الرأسمالي وبطريقة تطبيقه بدقة، ولو فعل ذلك لوجد أن الديمقراطيات الغربية بما فيها أمريكا، هي أعتى ديكتاتورية وجدت على وجه الأرض، وأن الدستور والقانون، يضعه أصحاب رؤوس الأموال الصناعيون والبنكيون...[2]

● كما أن الكاتب لم يدرس الإسلام كما يزعم، بل درس الفلسفة

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل/ ص ٢٩٧.

(٢) تهافت القراءة المعاصرة: د. منير محمد الشواف/ ص ١٣.



الماركسية، ولذا فقد أثرت على طريقة تفكيره، وسيطرت على أحاسيسه، وأصبحت عنده الأساس في إعطاء المفاهيم عن الإنسان والكون والحياة[1] .

●●●

ويبدو أن جماعة من اليهود هم الذين كتبوا هذا الكتاب، ليضع الدكتور شحرور عليه اسمه ويدافع عنه .

يقول الشيخ عبد الرحمن حبنكة : بأنه التقى بصديقه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بمكة المكرمة، وساله عن كتاب الشحرور، فذكر أنه اطلع عليه، وأبان له عن رأيه في إسقاط الكتاب بإهماله، وعدم الرد عليه، لأنه أقل قيمة من أن يهتم له مفكر إسلامي .

● فقلت له : يغلب على ظني أن جماعة من اليهود هم الذين كتبوا له هذا الكتاب، فذكر لي ما نشره في كتابه : « هذه مشكلاتهم »، فأنا أنقل من كتابه هذا ما يلي : قال : « زارني عميد إحدى الكليات الجامعية في طرابلس الغرب، في أوائل عام/ ١٩٩١م، وأخبرني أن إحدى الجمعيات الصهيونية في النمسا، فرغت مؤخراً من وضع تفسير حديث للقرآن « كذا »، ثم أخذتْ تبحث عن دار نشر عربية تنهض بمسؤولية نشره، وعن اسم عربي مسلم يتبناه مؤلفاً له ومدافعاً عنه . . . ولكنها لم توفق إلى الآن للعثور على المطلوب، على الرغم من أنها لم تتردد في الاستعانة ببعض الرؤساء، والمسؤولين العرب . . » .

ثم يقول الشيخ عبد الرحمن حبنكة : « يظهر أنها ظفرت بالمطلوب وتم طبع كتاب « الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة » باسم الدكتور محمد شحرور سنة /

---

(١) المرجع السابق/ للشواف/ ص ١٢ .



١٩٩٢م[1].

●● والحقيقة أن هنالك غرابة وأكثر من استفهام، إذ كيف يعلم الدكتور البوطي هذا، ثم يساهم مع جودت سعيد في مرافقة «محمد شحرور» إلى المنتديات العامة وإلقاء المحاضرات في دمشق؟!

وهل كان البوطي جاداً في ثني عزيمة «حبنكة» عن الرد على الشحرور، لأن الكتاب ساقط متهافت؟!.

ويبدو أن الكتاب على ضخامته، وتلون الافتراءات فيه، يحتاج إلى جمعية وكتاب متفرغين ليتمكنوا من القيام بهذه المهمة، وليس من تأليف مهندس مدني!!.

(٢)

الماركسية هي مصدر التفكير عند الكاتب:

لقد أجمع الكتّاب الذين قرأوا كتاب الدكتور «محمد شحرور»، على أن منطلقاته الأساسية في كتابه، كانت تعتمد المنهج الماركسي، مع أسلوب اللف والدوران الذي لا يخفى على أحد.

● فقد قدم شحرور فلسفة ماركس وإنجلز ولينين، على أنها حقائق يجب التسليم بها والإيمان بمقرراتها، دون مناقشة.

وبناء على ذلك فقد بنى أفكاره على أنه ليس في الوجود رب خالق، وعلى

---

(١) ينظر: التحريف المعاصر في الدين/ عبد الرحمن حسن حبنكة ص ٢٢/ الهامش.



أن الكون كله مادة تخضع للتطور الحتمي، ضمن قانون صراع الأضداد في الوجود المادي، وفي التاريخ المادي كذلك[١].

ويزعم « د. شحرور » أن الحقيقة الموضوعية، هي الأشياء المادية الموجودة في الأعيان خارج حدود الوعي، وأن الحق هو الوعي المطابق لها، كما تزعم المادية الماركسية، وكما يزعم « سارتر » في فلسفته اليهودية[٢].

●● ويركز « شحرور » على النزعة المادية، ويحدد حدود المفهوم المادي بقوله: « العلاقة بين الوعي والوجود المادي، هي المسألة الأساسية في الفلسفة، وقد انطلقتا في تحديد تلك العلاقة، من أن مصدر المعرفة الإنسانية هو العالم المادي خارج الذات الإنسانية »[٣].

وهذا المبدأ الذي أقرَّ به شحرور، هو عين المبدأ الذي يؤمن به « ماركس ولينين والماديون عامة »، فهو بذلك يحاول أن يخرج الوحي من مصادر المعرفة، وبناء على ذلك لا يعتبر الدين عند الشحرور مصدراً للمعرفة.

لذلك فهو يعتبر أن الفلسفة أم العلوم، جاء ذلك في قوله: « لا يوجد تعارض بين ما جاء في القرآن الكريم، وبين الفسلفة التي هي أم العلوم ».

ثم يقول: « الكون مادي والعقل الإنساني قادر على إدراكه ومعرفته، ولا توجد حدود يتوقف العقل عندها... ولا يعترف العلم بوجود عالم غير مادي،

---

(١) التحريف المعاصر في الدين: الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة/ ص (١٣٤ - ١٣٥).

(٢) المرجع السابق/ ص ١٣٩ وما بعدها.

(٣) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: المهندس محمد شحرور/ ص ٤٢. نشر مؤسسة سينا للنشر القاهرة، ومؤسسة الأهالي في دمشق.



يعجز العقل عن إدراكه»[1] .

● **ويؤمن شحرور بنظرية (داروين) في أصل المخلوقات**، ويرى أن البشر وجدوا على الأرض نتيجة تطور استمر ملايين السنوات، حيث أن المخلوقات الحية بُثَّ بعضها من بعض طبقاً للقانون الأول للجدل، وتكيفت مع الطبيعة، وبعضه مع بعض طبقاً للقانون الثاني للجدل»[2] .

ويندد شحرور بمنكري نظرية داروين، الذين يسميهم أصحاب الفهم المثالي للقرآن، والذين يسخرون من نظرية (داروين)، بزعم أنها غير علمية . . ويرى أن نفخة الروح في الإنسان هي الحلقة المفقودة في نظرية دارون حول الإنسان»[3] .

● يقول المهندس شحرور في كتابه :

« وخير مَنْ أوّل آيات خلق البشر عندي، هو العالم الكبير (داروين فهل عرف داروين القرآن ؟ !

أقول : ليس من الضرروري أن يعرف، فقد كان يبحث عن الحقيقة في أصل الأنواع، والقرآن أورد حقيقة أصل الأنواع، فيجب أن يتطابقا إن كان دارون على حق، وأعتقد أن نظريته في أصل البشر في هيكلها العام صحيحة، لأنها تنطبق على تأويل آيات الخلق»[4] .

---

(١) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص ٤٣ ، وينظر: منهج التفكير المادي عند شحرور/ ص (٣٠٧ – ٣١٣)، لعادل التل في كتابه : النزعة المادية في العالم الإسلامي .

(٢) الكتاب والقرآن : محمد شحرور، ص ٢٩٠ .

(٣) المرجع السابق/ ص ٢٥٣ .

(٤) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة/ ص ١٠٦ .



●● ويرى شحرور: أن الروح التي نفخها الله في آدم هي العطاء الفكري العلمي الذي أعطاه الله لآدم. ففضله على سائر الجنس البشري الذي كان موجوداً في الأرض، وتلك هي الحلقة المفقودة المنحدرة من سلالة القرود»[1].

●● ويقول الشحرور حول افتراءاته عن الروح:

«إذا كانت الروح هي سر الحياة، فهذا يعني أن البقر والأفاعي والسمك وكل الكائنات الحية، من إنسان وحيوان ونبات لها روح! وهذا غير صحيح لأن الله سبحانه وتعالى نفخ الروح في آدم، ولم يقل: إنه نفخ الروح في بقية المخلوقات»!![2].

●● ويبقى أن محاولة الجمع بين نظرية (داروين) المادية والمنهج الإسلامي باطلة بطلاناً مطلقاً، لانتفاء اللقاء بين المنهجين[3].

● ويزداد الشحرور انحرافاً في ضلاله وتحريفه، فيزعم أن أئمة المتقين الذين هم عباد الرحمن، الذين جاء وصفهم في سورة الفرقان هم أئمة العلم المادي، أمثال: ماركس وداروين وإنجلز، فقال: «وقد حدد لنا القرآن أن آيات الربوبية هي ظواهر الطبيعة، لذا فإن صفة أئمة المتقين هي الإيمان بالمادية وبالعلم وبالعقل... لذلك فإن أئمة المتقين في فرقان محمد ﷺ هم من أئمة العلم المادي، وذوي التفكير العلمي البعيد عن الخرافة»[4].

---

(١) التحريف المعاصر في الدين: الشيخ عبد الرحمن حبنكة/ ص ٨٩.

(٢) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: محمد شحرور/ ص ١٠٦.

(٣) النزعة المادية في العالم الإسلامي: الأستاذ عادل التل، ص ٣١٥.

(٤) الكتاب والقرآن: محمد شحرور/ ص ٥٢٥، وينظر: التحريف المعاصر في الدين/ص (٢٠٦، ٢٠٧).



فمتى كان أئمة الكفر والفجور من اليهود أمثال لينين وماركس، وداروين، هم أئمة المتقين؟! إن ذلك افتراء على العلم والحقيقة.

●● لقد اختار الكاتب عنوان كتابه: «الكتاب والقرآن قراءة معاصرة» ليكون الانطباع الأول بأن مفهوم لفظ الكتاب «المصحف» غير مفهوم لفظ القرآن...

وفي عنوان كتابه ما يشير إلى أنه كانت في الماضي قراءات، بموجب فهمه للفظ «اقرأ» وستكون في المستقبل قراءات أخرى، فنحن نعيش في عصر، وعاش الناس قبلنا في عصور، وسيعيش الناس بعدنا في عصور، أي أن العصر هو أساس الفهم والإدراك عند الناس لإشباع غرائزهم وحاجاتهم العضوية، وأن الواقع «المادي» مصدر التفكير، ويختلف هذا الواقع من عصر إلى عصر، على أساس أن العصر أساس في فهم الإسلام، وليس الإسلام هو الأساس في حل مشاكل العصر، فالإسلام يخضع للعصر، وليس العصر هو الذي يخضع للإسلام»[1].

● وبذلك يتضح لنا مصادر التفكير عند الكاتب، بأنها مصادر الفلسفة الماركسية بذاتها، تلك التي تقوم على ما يسمى بالمادية الديالكتيكية، والمادية التاريخية.

فالمادية الديالكتيكية - الجدلية - هي الجانب الثابت في الماركسية، أما المادية التاريخية، فهي توسيع نطاق أفكار المادية الجدلية، حتى تشمل دراسة الحياة في المجتمع، وتطبيق هذه الأفكار على حوادث الحياة في المجتمع، أي على دراسة المجتمع وتاريخه، وهذا هو الجانب المتطور والمتغير في الماركسية.

---

(١) تهافت القراءة المعاصرة: د. منير محمد الشواف/ ص (٢٩ - ٣٠).



وتعني المادية الديالكتيكية: أن الكون والإنسان والحياة مادة تتطور من نفسها تطوراً ذاتياً، فلا يوجد خالق ولا مخلوق، وإنما هو التطور الذاتي في المادة[1].

●● وسوف نلاحظ فيما يأتي من فقرات، أن المنهج المادي الماركسي، هو الذي يلف موضوعات الكتاب كلها، تحت قشرة رقيقة مفضوحة من تشوهات تصورات الكاتب عن الإسلام.

سواء في:

- نظرته للقرآن وتقسيمه إياه إلى كتب وأقسام.
- أو إلغاء دور النبوة والرسالة مع التفريق بينهما.
- أو في شذوذات فقهية لم يقل بها أحد قبله...
- أو في ضلالات عقدية عجيبة.

(٣)

القرآن في المفهوم الماركسي في كتاب شحرور:

يدعي المهندس شحرور، أن القرآن قد جاء نصاً ثابتاً، وأن إعجازه يكمن في قابليته للتأويل، وفي تحرك المعنى وفق مفاهيم العصور المتلاحقة، و«حسب الأرضية المعرفية التي يتوصل إليها الناس.

---

(١) تهافت القراءة المعاصرة/ ص (٣٠ – ٣١) للشواف.



ويخادع الكاتب لتمرير فريته هذه، بزعمه أن إعجاز القرآن يكمن في أنّ نصه جاء قابلاً لتأويلات مختلفة، تتطور مع تطور الإدراك الإنساني في مختلف العصور، ليصل إل أن التشريعات في كتاب الله «القرآن» قابلة للتطور بالتأويلات الانسانية، وفي هذا نسف للدين من جذوره.

ثم يقول: «لابد أن يكون القرآن قابلاً للتأويل، وتأويله يجب أن يكون متحركاً وفق الأرضية العلمية لأمة ما، في عصر ما، على الرغم من ثبات صيغته، وفي هذا يكمن إعجاز القرآن للناس جميعاً دون استثناء؟!!(١).

● ومن أغرب ما تفتقت عنه عبقرية الكاتب في تأويلاته الباطلة، تقسيمه المصحف الشريف إلى أربعة أقسام:

١- القسم الأول: القرآن:

وهو ماله حقيقة موضوعية خارج الوعي الانساني، وهو كلمات الله، وهو الذي يشتمل على نبوة محمد ﷺ.

٢- القسم الثاني: السبع المثاني:

وهو بعض الحروف المقطعة في أوائل السـور، وهي سـبع آيات فواتح للسور.. وتفهم فهماً نسبياً حسب تطور المعارف للعصر.

وكل من القرآن والسبع المثاني.. تفهم فهماً نسبياً حسب تطور معارف العصر، وليس لها معنى ثابت.

---

(١) ينظر: التحريف المعاصر في الدين: ص (٢٧ - ٣١).



٣- القسم الثالث : أم الكتاب «كتاب الله» .

ويشتمل على رسالة محمد ﷺ، وفيه الأحكام والشرائع والوصايا والحدود، بما فيها العبادات، وهي الآيات المحكمات .

القسم الرابع : تفصيل الكتاب .

وهو المشتمل على آيات غير محكمات وغير متاشبهات .

● لقد اخترع الكاتب هذا التقسيم العجيب الغريب لكتاب الله، من عند نفسه ليمرر مفترياته على كتاب الله المنزل على رسوله، كما يهوى أساتذته الملاحدة الماركسيون، والباطنيون في تأويلاتهم[١] .

●● وتحت عنوان : القرآن هو الكتاب المبارك[٢] قال شحرور :

«أريد هنا أن أؤكد على نقطة في غاية الأهمية، وهي أن القرآن كتاب الوجود المادي والتاريخي، لذا فإنه لا يحتوي على الأخلاق، ولا التقوى ولا اللياقة ولا اللباقة، ولا تنطبق عليه عبارة!! «هكذا أجمع الفقهاء» .. إننا في القرآن والسبع المثاني غير مقيدين بأي شيء قاله السلف، إننا مقيدون فقط بقواعد البحث العلمي، والتفكير الموضوعي، وبالأرضية العلمية في عصرنا، لأن القرآن حقيقة موضوعية خارج الوعي فهمناها أم لم نفهمها ...» (الكتاب والقرآن) .

---

(١) ينظر : قراءة معاصرة للكتاب والقرآن : محمد شحرور ص (٨٠ - ٨١) والتحريف المعاصر في الدين ص (٥٨ - ٥٩) .

(٢) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : المهندس محمد شحرور ص ٩١ .



●● «لقد ادعى المضلل أن الأحكام والتكاليف التي في المصحف ليست مما يطلق عليه لفظ «القرآن» ... بينما كان الرسول والمؤمنون المسلمون وسائر العرب، يفهمون أن لفظة «القرآن» تطلق على كل الآيات الكلامية التي كانت تنزل على محمد ﷺ والتي جمعت في المصحف، واستمر كل الناس يفهمون هذا، حتى جاء المحرف شحرور، وادعى أن لفظة القرآن تطلق فقط على بعض آيات المصحف، وهي الآيات التي تتحدث عن الوجود المادي والتاريخي»[1].

●● وله افتراءات عجيبة في تقسيمه لعنوان «أم الكتاب»، إذ يقول: «إن مواقع النجوم ليست هي مواقع النجوم التي في السماء، والتي هي من آيات الله الكونية العظمى، بل هي الفواصل بين الآيات»، وزعم أن لهذه الفواصل أسراراً خاصة أقسم الله بها في قوله تعالى في سورة الواقعة «فلا أقسم بمواقع النجوم»[2]، ومن ذلك قوله: «إن التسبيح في كتاب الله، معناه صراع المتناقضين داخلياً الموجودين في كل شيء»[3].

وهذه فكرة ماركسية يريد إسقاطها على معنى التسبيح الشرعي، ومثل هذا في كتابه كثير.

---

(١) التحريف المعاصر في الدين/ ص (٦٩ - ٧٠) بإيجاز.

(٢) سورة الواقعة: الآية (٧٥)، وانظر التحريف المعاصر/ ص ١١٦.

(٣) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة/ ص ٢٩١.

(٤)

ضلالات الكاتب حول النبوة والرسالة:

لقد فرق شحرور بين النبوة والرسالة، وحاول جاهداً إلغاء دور الرسول ﷺ في بيان ما أنزل الله عليه، وكان يهدف إلى إلغاء دور الشريعة في حياة المسلمين.

● وقد حصر الكاتب الرسالة في الشريعة وأحكام العبادات والأخلاق والسياسة، وهذه الأمور لا يوجد لها حقيقة موضوعية، إلا إذا اختار الإنسان إيجادها بإرادته - كما يزعم -.

وقد فرق كذلك بين نبوة محمد ﷺ ورسالته، وادعى أن محمداً لم يكن يعلم تأويل النصوص التي كان فيها نبوته، والتي تتناول ظواهر الوجود المادي وقوانين الطبيعة.

وادعى أن تأويل النصوص التي اشتملت على نبوة محمد ﷺ، سيكون من قبل ورثة النبي، وهم في رأيه:

الفلاسفة وعلماء الطبيعة وعلماء فلسفة التاريخ، (أي أئمة الفكر الماركسي)، ودارون وعصابته[1].

●● ويقول الشحرور: «إن العرب منذ البعثة إلى يومنا هذا، اهتموا برسالته وهجروا نبوته، ولكن اهتم بنبوته، كل معاهد الأبحاث العلمية والجامعات في

---

(١) ينظر: الكتابو القرآن، محمد شحرور/ ص ١٠٤، والتحريف المعاصر: عبد الرحمن حبنكة الميداني/ ص (٨٧ - ٨٨).



العالم،، وكل الفلاسفة، ابتداء من أرسطو، مروراً بكانت وإنجلز وهيجل وديكارت »[١] .

لقد كان الكاتب مفتوناً بهؤلاء الفلاسفة، وبقادة الفكر الماركسي، ويريد أن يجعلهم، هم ورثة النبوة، وهم القادرون على تفسيرها وفهمها .

إذ أن النبوة مربوطة عنده بالعلوم الطبيعية والتاريخية، ويحصر الرسالة في العلوم الاجتماعية وعلوم الشريعة، فيخرج بذلك أحكام الحلال والحرام من خصائص النبوة[٢] .

وهذا افتراء على كتاب الله وعلى رسالة نبيه، فالنبوة تشمل كل ما يوحي به الله إلى رسوله، الذي اصطفاه ليجعله نبياً، والرسول هو من يكلفه الله بحمل رسالة ما، ليبلغها لمن أمره الله أن يبلغها لهم[٣] .

●● ولقد حاول الكاتب أن يلغي دور الرسول ﷺ في بيان ما أنزل الله عليه من خلال تقسيماته للقرآن .. فزعم أن الرسول هو مبلغ للنص الرباني فقط ..

ففي تأويله لقسم ما سماه « قسم القرآن » ، ادعى أن الرسول لم يكن عالماً به، وزعم مفترياً أن تأويل هذا القسم، هو من اختصاص الفلاسفة وعلماء الطبيعة وعلماء فلسفة التاريخ ..

وأن هذا القسم يخضع للمفاهيم النسبية الزمنية – كما يزعم – .

---

(١) الكتاب والقرآن للمهندس شحرور/ ص ٨٤ .

(٢) الكتاب والقرآن/ ص ١٠٤ ، والتحريف المعاصر/ ص (١٠١ – ١٠٣) .

(٣) ينظر التحريف المعاصر: عبد الرحمن حبنكة الميداني/ ص ١٠٤ / بإيجاز .



أما تأويل قسم «أم الكتاب» المشتمل على أحكام سلوك الإنسان في الحياة، فادعى أن دور الرسول فيه، دور مجتهد لأهل عصره فقط، وليس مبيناً لما أنزل الله عليه، فيما يخص سلوك الناس جميعاً[1].

فألغى بتضليله هذا دلالات نصوص القرآن، التي جاء فيها تكليف الرسول، أن يبين للناس ما أُنزل إليهم، وفيها قوله تعالي: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: الآية: ٤٤].

●● ويكرر الشحرور هذه المعاني الباطلة في كتابه، فيعتبر أن الثورة والعمل الثوري هو أساس التطور، وأن عمل الرسول ﷺ خلال سيرته، كان منطبقاً تماماً على مفهوم الثورة وشروطها عند الماركسيين، ولذلك تحقق له النجاح.

وزعم أن مضمون رسالة محمد ﷺ كان اجتهاداً منه للظروف التي كانت في زمنه، وكانت تصرفاته أموراً مرحلية قابلة للتكيف والتغير بتغير الزمان والمكان وتطور الأمة.

وزعم أن سنة الرسول لا يصح الاعتماد عليها كمصدر من مصادر التشريع، بل يجب اعتبارها فصلاً من فصول حركة التطور الصاعد في ثورة اجتماعية، يجب أن تتجدد أحكامها وشرائعها وأنظمتها...

فالمجتهدون المعاصرون يجب عليهم - حسب زعمه - أن لا يلتزموا بسنة الرسول ﷺ، وسمى عمل فقهاء المسلمين تحنيطاً للتشريع، لأنهم لم يطوروا في الأحكام حسب الظروف الموضوعية، مما أدى إلى تحنيط الأحكام وتجميد حركة

(١) ينظر: التحريف المعاصر/ ص (١٢٥ - ١٢٦).



التاريخ وإخماد الروح الثورية لدى العرب والمسلمين[1].

● فالكاتب يقرر أن السنة النبوية ليست وحياً من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ورسوله، بموجب التعريف الخاطئ لفقهاء المسلمين للسنة: «كل ما صدر عن النبي من قول أو فعل أو أمر أو نهي أو إقرار».

ويقول: إن ما فعله النبي في القرن السابع في شبه جزيرة العرب، هو الاحتمال الأول لتفاعل الإسلام مع مرحلة تاريخية معينة، وهذا التفاعل ليس هو الوحيد وليس الأخير[2].

● والحقيقة أن الرسول ما هو إلا مبلغ عن الوحي قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤]، وبذلك تسقط استدلالات الكاتب في أن الرسول مجتهد فقط وأن السنة النبوية هي اجتهاد للرسول، وتفاعل مرحلي بين الرسول وبين واقع الحياة في الجزيرة العربية وقت الرسالة ونزول الوحي.

وهذه فكرة من أخبث الأفكار المدمرة للعقيدة الإسلامية وللتشريع الإسلامي، وهي وليدة النظرية التاريخية (الماركسية)، التي عششت في ذهن الكاتب وسيطرت على دماغه[3].

●● وغاية الكاتب الأخيرة من كل هذه التحريفات الباطلة، هو إلغاء دور

---

(١) التحريف المعاصر في الدين/ ص (٢١٢ - ٢١٤) / عبد الرحمن حبنكة الميداني، وانظر: الكتاب والقرآن/ محمد شحرور ص (٥٥٥ - ٥٧٢).

(٢) تهافت القراءة المعاصرة: د. منير الشواف/ ص ٢٠.

(٣) المرجع السابق للشواف/ ص (٤٦٢ - ٤٦٣)، و ص (٤٦٩).



الرسول ودور رسالته في حياتنا المعاصرة، فقد جعل المطالبة بتطبيق الشريعة، والسير بموجب تعاليم القرآن الكريم، من الأخطاء الشائعة عند فقهاء المسلمين، فقال:

«إني أنوه هنا بالخطأين الشائعين جداً من قبل المسلمين وهما:

أ- المناداة بأن دستور الدولة القرآن.

ب- خطأ المناداة بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية»[1].

● وغني عن التعريف هنا، بأن رفض تحكيم الشريعة، وإلغاء دور القرآن في حياة المسلمين، كفر صريح، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال جل وعلا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾. [النساء: ٦٥].

* * *

(١) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: محمد شحرور/ص ٧٢٤.

(٥)

من ضلالات الكاتب العقدية:

الحقيقة أن كتاب المهندس شحرور، جاء مليئاً بالضلالات العقدية، من أوله إلى آخره، وقد تحدثنا عن بعض تلك الضلالات في الفقرات السابقة، ولكننا نريد هنا أن نلقي ضوءاً على تعرضه لبعض قضايا العقيدة الإسلامية، وتناوله إياها بالتحريف والتعطيل.

● فمن تحريفاته في مفهوم الشرك والتوحيد قوله:

«الشرك هو الثبات في هذا الكون المتحرك، والوقوف ضد التطور وهذا شرك الربوبية...

أما عدم تطوير التشريع، وتثبيت مذهب أو مذاهب فقهية معينة، فهذا هو شرك الألوهية.

فسكونية الفكر والفقه والتفسير، هي من أوائل مظاهر الشرك الخفي عند العرب، فالتخلف شرك، والتقدم توحيد»[1].

● فهو بذلك يحاول تسمية فقهاء المسلمين بالمشركين، لالتزامهم بدلالات النصوص من الكتاب والسنة.

---

(١) الكتاب والقرآن قراءة معاصر/ ٤٩٦.



●● ومن ضلالاته: تعطيله لأسماء الله تعالى[1]:

فقد ابتدأ شحرور بحثه حول علم الله تعالى بالتساؤل.

«هل علم الله يقيني أم احتمالي؟!» ثم أجاب عن ذلك بقوله: «نقول هو الاثنان معاً»[2].

● لقد جعل الكاتب أن الاختيار الانساني الواعي سبب لعدم علم الله تعالى بكل شيء، وأن الله لا يعلم احتمالات تصرف هذا الإنسان كلها من الأزل، وإنما يعلمها عندما يفكر الإنسان بها أي بعد وجودها.

يلاحظ هنا: استبعاد الكاتب شمول علم الله لأعمال الإنسان، وهذا التصرف يمثل انحرافاً خطيراً في العقيدة، فهو يقود إلى التكذيب بالقدر، وتعطيل ركن من أركان الإيمان، والكاتب لايهاب أن يفعل ذلك عن تعمد وإصرار[3].

وقد سبق إلى التكذيب بالقدر: غيلان الدمشقي، وقتل بسبب ذلك، كان الأوزاعي - رحمه الله -قد ناظره، وأفتى بقتله[4].

●● ومن ضلالاته العقدية: تعطيله لصفات الله تعالى[5].

وعلى رأسها «كلام الله تعالى» يقول شحرور:

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل/ ص (٣٢٣ - ٣٢٤).

(٢) الكتاب والقرآن: محمد شحرور/ ص ٣٨٦.

(٣) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل/ ص ٣٢٤.

(٤) ينظر: لسان الميزان/ ج٤/ ٤٩٢.

(٥) ينظر: النزعة المادية/ ص (٣٢٨ - ٣٣٠).

«إن مفهوم كلام الله في القرآن يعني الوجود المادي».

«فالوجود هو عين كلام الله، وهو مخلوق غير قديم»[1].

وهذا يعني عند شحرور، أن كلام الله مخلوق، ويدخل كلامه هذا ضمن تعطيل صفات الله تعالى، وهو رأي القدرية والمعتزلة.

وشحرور يأخذ برأي الغلاة من المعتزلة، ويسير على منهجهم ويشيد بهم، ويهاجم الفقهاء جميعاً كعادته، فيعتبر أنه بانتصار الفقهاء على المعتزلة، تم قصم الفكر الإسلامي العقلاني[2].

والواقع أن شحرور يمثل كذلك الرأي الفلسفي في موضوع تعطيل صفات الباري عز وجل، إذ أن الفلاسفة الماديين، يعتبرون كلام الله هو الوجود المادي، أو عين الموجودات[3].

●● ومن انحرافاته الضالة: التكذيب بالقدر[4].

ففي: «الأعمار والأرزاق».

يقول شحرور: «لقد ظن الكثير أن عمر الإنسان ورزقه وعمله مكتوب عليه سلفاً، وبذلك يصبح فاقد الإرادة ولا خيار له في أعماله وأرزاقه، ويصبح العلاج والعمليات الجراحية بدون معنى، ويصبح دعاء الإنسان لله ضرباً من ضروب

---

(١) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة/ ص (٢٥٦ - ٢٥٧) وص ٢٥٩.

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٣) النزعة المادية: عادل التل/ ص ٣٢٩.

(٤) ينظر المرجع السابق: ص (٣٣٢ - ٣٤٢).



العبث واللهو»[1].

● وهذه القضية التي ينكرها شحرور، محسومة عند الأمة الإسلامية؛ لأن فيها نصوصاً واضحة بينة، من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولكن شحرور يرفض هذه الأدلة، ويكذب بالقدر، في واضحة النهار، مثله في ذلك مثل غيلان الدمشقي والجعد بن درهم وغيرهم من القدرية، الذين هم مجوس هذه الأمة[2].

●● أما الأعمار فمقدرة بعلم الله تعالى، ومحدودة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وبين تعالى أن سبب الموت هو انتهاء الأجل.

قال جل من قائل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤].

فالله سبحانه وتعالى هو الذي قدر الخلائق قبل إيجادها، وهو الذي خلقها كما قدرها، وهو الذي يملك الحياة والموت[3].

● وأما الأرزاق: فلا تختلف عن قضية الآجال، فالرزق بيد الله أيضاً، الآيات القرآنية تبين هذه الحقيقة الناصعة بوضوح.

يقول تعالى في كتابه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ

---

(١) الكتاب والقرآن: محمد شحرور/ ص ٤١١.

(٢) النزعة المادية: عادل التل/ ص ٣٣٢، (وقد قتل غيلان والجعد على يد ولاة المسلمين لكفرهما بسبب هذه المقالة.

(٣) السابق/ ص (٣٣٣ - ٣٤١).



اللَّهُ﴾ [سبأ : ٢٤] .

ويقول : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد : ٢٦] .

والله هو المتفرد بالرزق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ ، [الذاريات : ٥٨]

● إن جلاء هذه الحقيقة ووضوحها ، يمثل أصلاً ثابتاً من أصول الاعتقاد ، وركناً أساسياً في العقيدة الإسلامية ، فيجب الإيمان بأن الله هو الرزاق ، وهذا من ضرورات الاعتقاد بأسماء الله الحسنى(١) .

ومن أنكر ركناً من أركان الإيمان (كالإيمان بالقدر) أو أنكر أسماء الله وعطل صفاته ، فقد كفر بالله جل شأنه .

(٦)

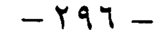
نزوات الكاتب الفقهية:

يرى الكاتب « شحرور » أن الفقه الإسلامي الذي فهمه الفقهاء بما فيهم الصحابة – رضي الله عنهم – هو من التراث ، وأن أولئك فهموا الإسلام حسب شروطهم وظروفهم وواقعهم المادي فهماً متفاعلاً ، مع ظروف القرن السابع ، في شبه الجزيرة العربية ، وهم رجال ونحن رجال ، ونحن أقدر منهم الآن على فهم واقع القرن العشرين . . .

وحين استلم الفقهاء قيادة الناس ، تحت عنوان أهل السنة والجماعة ، كانوا

---

(١) ينظر : النزعة المادية في العالم الإسلامي / ص (٣٤١ – ٣٤٢) عادل التل .





سبب تخلف المسلمين، وقتل الفكر الحر النقدي الذي تبناه المعتزلة ...[1]

وحيث أن فقهاء المسلمين ليسوا من أئمة العلم المادي، فقد حرّموا كثيراً مما أحل الله، وأبقوا الأمة في حالة من الجمود والتأخر، ولذلك لا يدخلون في زمرة أئمة المتقين حسب زعمه[2].

● ويزداد «شحرور» في غيّه، عندما يقول: «إن الطرح الذي ينادي بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على أساس أن الإسلام هو الموروث من كتب الفقه، وأن حدود الله هي تشريع عيني، هو طرح في فراغ ووهم، لا يمكن أن يكتب له النجاح، وهو من باب مضيعة المال والنفس والوقت، علماً بأن الدولة بدأت تنفصل عن الدين بمهومه الموروث ...»[3].

● يهاجم شحرور هنا الفقه الإسلامي الموروث، ويدعو إلى نبذه، ذلك الفقه الذي أهّل الدولة الإسلامية العظمى للبقاء ثلاثة عشر قرناً، حتى أصابها الانحراف عن تطبيقه، وتآمر عليه الملاحدة واليهود والنصارى من الخارج، والمنافقون من الداخل، فأسقطوا الدولة الإسلامية بالكيد والمكر والقوة المسلحة[4].

● وقد أراد الشحرور بتحريفاته أن يصنع ديناً جديداً، فصار يبدل بأحكام الشريعة حسب هواه، متخذاً لذلك حيلة التأويل والتعطيل لآيات الأحكام، التي جاءت في كتاب الله تعالى.. وإن متابعته في تحريفاته في هذا الشأن يتطلب

---

(١) تهافت القراءة المعاصرة: د. منير محمد الشواف/ ص ٢١.

(٢) السابق/ ص ٢٧، د. الشواف.

(٣) ينظر الكتاب والقرآن: محمد شحرور، فصل أزمة الفقه الإسلامي ص (٥٧٥ – ٥٨٨).

(٤) التحريف المعاصر في الدين/ ص ٢١٩، الشيخ عبد الرحمن حبنكة.



عدة مجلدات، لذلك فسوف نقدم نماذج من تحريفاته فقط، وقد جعل من نفسه إماماً للمجتهدين المعاصرين، فألغى أحكام الدين، وهو يناقض دين الله لعباده زاعماً أنه يستخرجه من كتاب الله بالتأويل الملائم لحاجات العصر(١).

•• النموذج الأول: تلاعبه في مفهوم الآيات المشتملة على ذكر حدود الله في الآيات (١٣ - ١٤) من سورة النساء، في قوله تعالى:(٢)

﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾** ﴾ [النساء: ١٣ - ١٤].

• فقسم حدود الله إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: له حد أدنى وهذا يجوز الزيادة عليه، وقد ضرب مثلاً على هذا القسم، ماله حد أدنى من المحرمات من النساء اللاتي جاء في القرآن تحريم نكاحهن، فقال: هذه المحرمات هي الحد الأدنى ولا يجوز النقصان عنه على أساس أنه اجتهاد، ولكن يمكن الاجتهاد بزيادة العدد، كتحريم بنات العم والعمة، وبنات الخال والخالة.

القسم الثاني: له حد أعلى، وهذا يجوز النقص منه، وضرب مثلاً له عقوبات السرقة والقتل، فيجوز النقصان من قطع يد السارق مثلاً، على أساس أنه اجتهاد، ولكن لا يجوز الزيادة عليه.

القسم الثالث: له حد أعلى وحد أدنى، وهذا يجوز النقص من حده

---

(١) السابق/ ص (١٩٣ - ١٩٤)، بإيجاز.

(٢) ينظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة/ ص ٤٥٣ وما بعدها.



الأعلى والزيادة على حده الأدنى .

وضرب مثلاً لذلك، أحكام الميراث، فالحد الأعلى، هو ميراث الذكر الذي هو ضعف ميراث شقيقته الأنثى، فيجوز الزيادة عليه، ولكن لا يجوز النقص منه، ويجوز إصدار قانون بإعطاء الأنثى أكثر من نصف ميراث شقيقها، ولكن لا يجوز إعطاؤه أقل من نصف ميراثه .

فهذا كفر صريح، وتبديل لدين الله، إذ جعل شحرورمن نفسه شريكاً لله عز وجل في بعض خصائص ربوبيته، وهي أحكام شريعته لعباده[١] .

● فشحرور يرى هنا أن مفهوم السنة، يعني أن محمداً ﷺ اجتهد في الحدود بما يتلاءم مع ظروف شبه الجزيرة العربية في القرن السابع، وهذا لا يعني أبداً بأنه إذا طبق في موقف من المواقف الحد الأدنى، أو الحد الأعلى، علينا أن نلتزم بهذا الموقف أو ذاك وأن نستمر عليه إلى (أن تقوم الساعة) تحت شعار تطبيق السنة، لأن هذا الموقف ليس له علاقة بالسنة[٢] .

● **النموذج الثاني من تحريفاته : ما أسماه بالفقه الجديد في موضوع المرأة** وقد خبط ولفق في هذا الموضوع خبط عشواء .

فأعطى نموذجاً عن آرائه هذه في عدة نقاط منها :

تعدد الزوجات والإرث والمهر، وحق العمل السياسي، والعلاقات بين الرجل والمرأة[٣] .

---

(١) التحريف المعاصر في الدين/ ص (١٩٦ - ١٩٧) .

(٢) تهافت القراءة المعاصرة/ ص ٢٣ .

(٣) ينظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص (٥٩٢ - ٦٢٩) محمد شحرور.



- ففي تحريفه حول تعدد الزوجات، جعل الإذن هنا مقتصراً عليه في حالة أن تكون الثانية فالثالثة فالرابعة من الأرامل أو المطلقات، لا من الأبكار، ومن شاء أن يتزوج أرملة أو مطلقة ولها أولاد، فعليه أن يتحمل إعالة أولادها، فيما يزعم ويفتري على دين الله[1].

- ومن تحريفاته وضلالاته أنه زعمه أن نشوز الرجل هو الشذوذ الجنسي، كما أن الرجل في نظره لا يملك حق طلاق زوجته...[2]

- **ومن ذلك وقاحته فيما يتعلق بلباس المرأة وحدود عورتها.**

فهو يرى أن الله سبحانه وتعالى خلق الرجل والمرأة عريانين، ثم قيدهما بحدود ونصحهما بتعليمات، فكان للمرأة عورة في الحياة العامة والمجتمع، وعورة أمام المحارم.

فأمام الأجانب (غير المحارم) للمرأة أن تظهر كل جسدها باستثناء الجيوب، وجيوب المرأة حسب (فهمه الماركسي الإباحي) هو كل ما له طبقتان أو طبقتان مع خرق، وهي ما بين الثديين وتحتهما، وتحت الإبطين، والفرج والأليتين، وما عدا ذلك فليس بعورة علماً بأن الآية الكريمة ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] هي للتعليم وليست للتشريع[3].

● أمام المحارم، فالمرأة ليس لها عورة على الإطلاق، فهي تجلس معهم كما خلقها الله عارية من كل شيء، وأن الأب أو الأخ مثلاً، إذا جلست ابنته أو أخته

---

(١) التحريف المعاصر في الدين/ ص ٢٣٣، الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني.

(٢) السابق ص ٢٣٥.

(٣) تهافت القراءة المعاصرة/ للشواف ص (٢٤ - ٢٥).



عارية أمامه في البيت، لا يجوز له أن يقول لها: اذهبي والبسي ثيابك، لأن هذا حرام، بل يقول لها: هذا عيب.

وكذلك الأمر مع سائر المحارم في نظره[1].

وبذلك يكون الشحرور، قد فاق أساتذته (ماركس ولينين وفرويد...) في نشر الإباحية والتخلي عن الحياء والفطرة، مع إلباس ذلك كله لبوس الإسلام.

● **النموذج الثالث من تحريفاته: ما يتعلق بإباحة الربا[2].**

فقد زعم الكاتب أن الربا الذي يترتب على إقراض البنوك لذوي الفعاليات الاقتصادية، الصناعية والتجارية ونحوها جائز، بشرط ألا يزيد على ضعف رأس المال في السنة الواحدة، وزعم أن هذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠] مع أن هذه الآية نزلت في أوائل العهد المدني لكف المؤمنين كفاً ابتدائياً عن الربا، بتحريم الأضعاف المضاعفة ثم نزل التحريم البات للربا قليله وكثيره في آيات سورة البقرة، في أواخر العهد المدني في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾.

[البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]

● وأي رباً في البنوك العالمية يصل إلى ضعف رأس المال في السنة الواحدة؟!

---

(١) السابق للشواف/ ص ٢٥.

(٢) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: محمد شحرور/ ص ٤٦٧.



وهو بذلك يزعم أن معاملات البنوك الربوية في العالم كلها تطبق أحكاماً يجيزها الإسلام، وهذا عدوان صفيق على كتاب الله تعالى[1].

* * *

(١) ينظر: التحريف المعاصر في الدين ص (١٩٩ - ٢٠١) عبد الرحمن حبنكة.

الباب الخامس

أدب الردة والتغريب

الفصل الأول:

الشعر العربي الحديث بين ترهات التجديد ومرارة التبعية والتقليد

١- الرابطة القلمية وجماعة أبوللو.

٢- نشأة الحداثة وتطورها.

٣- مزاعم التجديد عند شعرآء الحداثة المعاصرين.

٤- صلات مريبة ودعم كبير لرموز الحداثة وإنتاجهم.

الفصل الثاني:

أبرز رموز الحداثة في بلاد الشام.

١- نزار القباني: شاعر المرأة والجنس ومهاجمة المعتقدات.

٢- أدونيس: كبير الحداثيين العرب ومحادته لله ورسوله.

٣- من رموز الحداثة الآخرين:

حسين مروة - يوسف الخال - محمود درويش...

الفصل الثالث:

مظاهر التوجه اليساري في شعراء المقاومة الفلسطينية.

١- الكفر الصريح.

٢- الافتتان بالرموز الماركسية.

٣- التنكر للتاريخ الإسلامي.

الفصل الرابع:

وقفات مع أدب الردة والمجون.

١- معنى الردة وحكمها في الإسلام.

٢- وقفة مع أدب المجون والانحلال.

تمهيد:

لقد ساهم الشعر الحديث في إشاعة الإلحاد والتطاول على المقدسات الإسلامية، ونشر أدب الفجور والانحلال بشكل ليس له نظير، محتمين بالقوانين العلمانية، ومحاربة الإسلام في دياره، ومَنْ أمن العقاب أساء الأدب.

● «ولا يخفى على أحد أن العصر الحديث، قد حمل إلى العالم الإسلامي أحداثاً خطيرة، معظمها قاتم وموجع..

لقد جدّت نظريات حديثة في الفكر والسياسة والفنون والآداب، نبتت خلالها السهام والحراب التي يُطعن بها المسلمون في عقر دارهم، وطبعت المسلم بطوابع المدنية الشرقية والغربية، فجاءت مليئة بقيمها وتصوراتها، وعَفنها وهبوطها، فحولته إلى مسخ يقلد الآخرين»(١).

●● فبعد البارودي وجيله، جاءت أجيال من الشعراء لم يكن لديهم اتصال عميق بالتراث العربي والإسلامي، وكانت ثقافتهم الغربية أكثر من ثقافتهم العربية، فاندفعوا وراء المذاهب الأدبية الغربية بقوة، حتى صار عدد من شعرائنا أتباعاً للرمزية الغربية أو الواقعية الاشتراكية، أو الرومانسية والسريالية، وصرنا نقرأ شعراً عربياً في ألفاظه، غريباً في صوره وأفكاره ومشاعره(٢).

● بل قد تحول الأدب بعد منتصف القرن العشرين على يد بعض (المتغربين) إلى دعوات فاجرة، وهجوم شرس على العقيدة الإسلامية وتراثها،

---

(١) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: د. عبد الباسط بدر، ص (٨، ص ٥٤). بإيجاز/ دار المنارة للنشر/ جدة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

(٢) المرجع السابق/ ص ٥٦.



وصار جهداً دؤوباً لتأصيل القيم الغربية في الفن والحياة..

وتوزع قسم من أدبائنا بين المعسكرين الشرقي والغربي...

فيمثل المعسكر الأول: محمود درويش وأحمد سليمان الأحمد وعبد الوهاب البياتي، وآخرين.. ونقاد يجتهدون في تثبيت الصياغة الأدبية للماركسية أمثال: رجاء النقاش، وحسين مروّة وآخرين.

ويمثل المعسكر الغربي، أبواق تدعو بقوة إلى اعتناق حضارتها وتقليد فنونها وآدابها أمثال: أدونيس ويوسف الخال وسعيد عقل وغيرهم[(١)].

●● بل إن النصرانية التي هُزمت في بلادها، وعُزلت عن الحياة، دخلت بفضل الغزو الفكري المكثف، إلى إنتاج عدد من أدبائنا أمثال: يوسف الخال وخليل حاوي، ولويس عوض وتوفيق صايغ وآخرين.

وقد ترك هذا التيار آثاراً كبيرة الأدب المعاصر، في مقدمتها: الرموز النصرانية المتفشية في الشعر الحديث، وقصص الإنجيل التي أصبحت مادة لعدد من الشعراء والقصاص[(٢)].

●● ومما زاد الطين بلة، ظهور أعمال أدبية تعبث بالقيم الخلقية الإسلامية، وتصور العفن والهبوط والنزوات الجنسية المحرمة، على أنها عواطف انسانية رقيقة جديرة بالاهتمام وتسوغ التحلل والتفسخ، وتسعى إلى ترسيخه في نفوس الشبان والشابات، تحت ستار المشاعر العاطفية والحرية الشخصية.

وكان من رواد هذه الأعمال كتاب وشعراء، أصحاب قدرات فنية عالية،

---

(١) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: د. عبد الباسط بدر/ ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق/ ص ٥٧.



كنزار القباني وإحسان عبد القدوس وغيرهما، وقد لقي هذا الأدب الرخيص تشجيعاً من بعض الأجهزة في عدد من البلاد العربية، أقبلت عليه دور النشر، وتسلل إلى حقائب المدارس ومخادع النوم، بكل ما فيه من إثارة وتهديم[1].

● كما ظهر في الأدب الحديث اتجاه نحو العبث بالمفهومات الدينية العليا، والاستخفاف بمقام الألوهية، ونشر الصور والعبارات التي تهون من شأنها، بل وتتطاول في وقاحة عليها.

وقد جاء هذا التصور المهزوز امتداداً للتصور الإغريقي الوثني للآلهة[2].

وسوف نذكر نماذج فيما يأتي، من قصائد موجودة في دواوين أصحابها، كسوء الأدب في تصوير الألوهية، ورفض مفهومات الشريعة الإسلامية، وقلب الرموز الإسلامية وتشويه دلالاتها.. فغدا هذا الأدب إحدى أدوات الغزو الفكري، ووُظّف في خدمة المبادئ الهدامة، وسنتابع هذه المدارس الأدبية المنحرفة، لبيان مخاطرها وأثرها في الهدم والتخريب.

●●●

---

(١) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: د. عبد الباسط بدر ص ٥٨.

(٢) المرجع السابق ص ٥٩ د. عبد الباسط بدر.



الفصل الأول

الشعر العربي الحديث بين ترهات التجديد

ومرارة التبعية والتقليد

(١)

دور الرابطة القلمية وجماعة أبوللو:

قامت مدارس أدبية منذ الثلث الأول من القرن العشرين، تدعو إلى التجديد، وتعلن ثورتها على التراث العربي والإسلامي خاصة.

كان معظم مؤسسيها من النصارى وأهل المهجر، تأثروا بالرموز النصرانية، وتطلعات الغربيين نحو التحلل والتمرد... وكان على رأسها: الرابطة القلمية وجماعة أبوللو.

الرابطة القلمية:

ظهرت هذ الجماعة في مدينة «نيويورك» عام/ ١٩٢٠م، وأسسها شعراء مهجريون على رأسهم أمين الريحاني ـت ١٩٤٠م) وجبران خليل جبران (ت ١٩٣١م) وميخائيل نعيمة المولود عام/ ١٩٨٩م.

كما اشترك في تأسيسها نفر آخرون من نصارى لبنان مثل: «إيليا أبو



ماضي) و (نسيب عريضة وإلياس عطا الله) وآخرون[١] .

وقد صرح بعض الباحثين بأن المصدرين الرئيسيين اللذين أثرا في التكوين الفكري والأدبي لشعراء الرابطة القلمية هما : الثقافة المسيحية وما انتهى إليها من فلسفات الشرق وأديانه، والثقافة الأجنبية وما اطلعوا عليه من آداب الغرب وفلسفاته[٢] .

ولم يكن في هذا الأدب من العربية إلا الاسم، وهو في قوامه وهيكله : غربي الروح، أوروبي الأخيلة، كما يقول الأستاذ إسماعيل أدهم، أحد نقاد الأدب المعاصرين[٣] .

وقد صرح أحد مؤسسي الرابطة : « عبد المسيح حداد » بأنهم كانوا ينظرون إلى الأدب العربي، على أنه الوجه الآخر للعقيدة الإسلامية، وأن ذلك الأمر، كان اعتقاداً اجتمع عليه عدد من أعضاء الرابطة »[٤] .

● لقد كان هؤلاء الأدباء مشدودين إلى النصرانية، وتوجهات الصليبيين، ولا نجد في إنتاجهم صوتاً يندد بجحافل الفرنسيين الزاحفة على سوريا، وهي تدك بمدافعها مدينة دمشق، ويرتكب همجهم مذابح وحشية فيها، فلماذا سكت هؤلاء ولمصلحة من سكتوا؟!

---

(١) ينظر كتاب : أدب الردة قصة الشعر العربي الحديث، جمال سلطان ص ٢٥ / مركز الدراسات الإسلامية – برمنجهام – بريطانيا / ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٢) النثر المهجري : د. عبد الكريم الأشتر / ص ٢٤، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م، دار مكتبة الفكر / طرابلس الغرب .

(٣) المرجع السابق / ص ١٩٤ .

(٤) المرجع السابق / ص ٣٠ .



ولقد كان ذلك لافتاً لنظر الباحثين، وأن هنالك قنوات اتصال مشبوهة، وحضانة وتمويل بين رموز وحركات شعرية وأدبية معاصرة، وبين أجهزة ومؤسسات ثقافية وسياسية، بعد أن كشف عديد من رجالات الأدب عن هذه الاتصالات[١].

● وإضافة إلى ذلك يبرز أمامنا ظاهرة الانتماء إلى منظمات سرية تخريبية، تخدم مخططات الصهيونية على المستوى الاجتماعي، وعلى رأس هذه المنظمات السرية «المحافل الماسونية» فمثلاً كان الثالوث المهجري «الريحاني وجبران ونعيمة» أعضاء نشطين في المحافل الماسونية الأمريكية.

وكان الريحاني أخطر الثلاثة في هذا المجال، حتى أن اتصالاته المشبوهة تعدت «صراحة» الجانب الأدبي، إلى أبعاد أخرى بالغة الخطورة، حتى أن صاحب كتاب «لعبة الأمم» يقرر بأنه لولا الريحاني، فلربما اختلفت خريطة الشرق الأوسط المعاصر؟!![٢]

أما ميخائيل نعيمة، فقد اعترف صراحة بانتمائه لأحد المحافل الماسونية الأمريكية[٣].

●●●

---

(١) ينظر: أدب الردة: جمال سلطان/ ص (١٣٤ - ١٣٥).

(٢) مجلة الحوادث اللبنانية بعنوان: «أمين الريحاني» هل كان عميلاً للأمريكيين/ في ٣/ نيسان/ ١٩٨٧م، وينظر أدب الردة ص (١٣٩ - ١٤٠).

(٣) أدب الردة: جمال سلطان/ ص ١٤٠.



جماعة أبوللو :

وتمثل تياراً جديداً نشأ في مصر في أوائل العقد الرابع من القرن العشرين، وقد أنشأ هذا التيار ممثلاً في جماعة «أبوللو» الدكتور أحمد زكي أبو شادي عام/ ١٩٣٢م، وكان المذكور هو مؤسس هذه المدرسة، وصاحب مجلتها :

«أبوللو»، وكان غربي النشأة، والتكوين النفسي والمزاج، فقد نشأ وتعلم وتأدب وتزوج في إنجلترا ومنها، وختم حياته وتوفي في أمريكا[١] .

وعلى الرغم من العمر القصير لهذه المدرسة كحركة، حيث لم يمتد لأكثر من سنتين إلا قليلاً، فإنها استطاعت أن تخلف عى الساحة الأدبية والشعرية خاصة، جيلاً يمكن تسميته (بالمدرسة الشعرية)، انتقلت إلى البلاد العربية الأخرى وفي مصر ذاتها، ولعدة عقود تالية[٢] . وتعتبر رائدة الحركة الرومانسية في الشعر العربي.

● كان أبو شادي، أحد رجال الماسونية الكبار في مصر، وقد وضع مؤلفات كاملة يدعو فيها إلى الماسونية، ومن هذه الكتب : «روح الماسونية والبناية الحرة»[٣] .

وقد كون في مهجره خلية ماسونية تدعى «رابطة منيرڤا» يجمع فيها حوله نفراً من «الشرقيين»، وكان من مريديه، في هذه الخلية، التي كانت تعقد ندوات

---

(١) صدمة الحداثة : أدونيس «علي أحمد سعيد»، طبعة دار العودة بيرو/ ١٩٨٣م، وأدب الردة/ ص ٣١ .

(٢) أدب الردة : جمال سلطان/ ص ٣٢ .

(٣) ينظر : رائد الشعر الحديث، د. محمد عبد المنعم خفاجي/ ص ١٧ / المطبعة المنيرية بالأزهر/ القاهرة/ ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.



أدبية كل شهر، الشاعر « يوسف الخال »، الذي عاد ليؤسس حركة شعرية جديدة في لبنان، تمحورت حول مجلة « شعر »[1] .

●● لقد تبنّت جماعة « أبوللو » اتجاهاً تغريبياً للشعر العربي، والوجدان العربي، وتبرز من خلال منبرها أشعار المومسات والبغايا والراقصات والإباحية، بل وصل الأمر بمجلتها الأدبية إلى حد نشر الصور العارية الفاضحة إلى جوار قصائد مؤسسها أحمد زكي أبو شادي، كقصيدتيه : في الحمّام، وحمام الشمس، وقد قلده في صنيعه بعض تلامذته .

تم ذلك في وقت كان الاستعمار يخنق حرية الشعب وكرامته، ويروج لمثل هذه الدعوات الانحلالية[2] .

● وقد جاء في تتمة الأعلام للزركلي لمحمد خير رمضان يوسف قوله : « وقد اطلعت على المجلة الخاصة بهذه المدرسة، التي كان يرأس تحريرها أحمد زكي أبو شادي، فألفيت كل صورها ورسوماتها على عُرْي رجالاً ونساء، هذا في الشكل، والله المستعان على ما في المضمون »[3] .

● ومن الجدير بالذكر أن هذه المدرسة تنسب (لأبوللو)، أحد آلهة الفينيقيين الوثنية .

وهل عجزت هذه الجماعة الشعرية (العربية) عن أن تجد في قاموس العربية بطوله وعرضه، في أساطير العرب، وتاريخ العرب بامتداده الطويل، اسماً عربياً

---

(١) أدب الردة : جمال سلطان / ص (١٤١ – ١٤٢) .

(٢) أدب الردة : جمال سلطان / ص (١٣٥ – ١٣٦)، وينظر : الغزل في الشعر العربي الحديث : سعيد دعبيس / ص (٦٥٨ – ٦٦٥) طبعة : بني غازي – ليبيا / ١٩٧١م .

(٣) تتمة الأعلام : محمد خير رمضان يوسف / ج١ / ص ١١٥ .



يصلح لوضعه كلافتة على رأس تجمعها «العربي»، فتلجأ إلى أساطير الإغريق، لتأخذ اسم «أبوللو - رب الشعر والفن - ترفعه فوق رأسها العربي»؟!، وقد هزت بذلك نفراً من النقاد، لهذا السقوط العجيب[1].

(٢)

الحداثة في الأدب العربي الحديث: نشأتها وتطورها:

نشأ هذا النوع من الأدب في ديار الغرب، بعيداً عن قيم الحق والأخلاق، على يد مؤسسيه: «بودلير» وإدغار، وآلان بو».

كانت اهتمامات (إدغار) الأمريكي، موزعة بين الخمر والقمار والفشل الدراسي، والعلاقات الفاسدة، مع محاولات الانتحار بالأفيون[2].

ثم سار تلميذه «بودلير» على خطاه في الضلال والانحراف، ويعتبر (بودلير) أستاذ الحداثيين، وقد نادى بالفوضى الفكرية والخلقية، ويكفي للدلالة على خسته، أن فرنسا على ما فيها من انحلال وميوعة ومجون، منعت نشر بعض قصائده، عندما طبع ديوانه في باريس سنة / ١٩٥٧م[3].

هذا هو بودلير أبو الحداثة، الذي تسوّد الصحف العربية صفحاتها في الحديث عنه، وفي الإشادة بشعره.

---

(١) ينظر أدب الردة: جمال سلطان: ص ١٢٢.

(٢) الحداثة في ميزان الإسلام: عوض محمد القرني، ص (٢١ - ٢٢)، هجر للطباعة والنشر/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) المرجع السابق/ ص ٢٣.



● ثم وصلت الحداثة في الغرب شكلها النهائي، على يد اليهودي الأمريكي «عزرا باوند»، والإنجليزي «إليوت» وقد تأثرت بهم الموجات الأولى من الحداثيين العرب تأثراً كبيراً مثل:

(السياب، والبيَّاتي، وأدونيس، وحاوي)[1].

●● ثم واصلت الحداثة رحلتها على يد مجموعة من الشيوعيين، أو الوجوديين، كسارتر وعشيقته[2].

● فمصطلح الحداثة مترجم من مصطلح غربي، وهو قريب من التسمية التي أطلقها النقاد العباسيون على أصحاب المذهب الجديد آنذاك، وسموهم «المحْدثين».

غير أن هناك فئة من العلمانيين، وأصحاب الاتجاهات المنحرفة، برعوا في ركوب موجات التغيير واستغلالها، فحاولوا أن يجتازوا بها ساحة الأدب إلى ساحة الفكر والعقيدة، على الرغم من أن هذا المصطلح منذ ظهوره في الغرب، لم يكن يعبر عن اتجاه فكري محدد، ولم يكن دعاة الحداثة متفقين على الثورة ضد المعتقدات والأفكار السائدة.

فالمصطلح في أصله دعوة إلى التجديد في الأدب، ولا يتضمن بالضرورة الثورة على المعتقدات السائدة، ولهذا فإن الحداثيين في الغرب ينتمون إلى اتجاهات فكرية مختلفة[3].

---

(١) فن الشعر: إحسان عباس، ص ٧٢.

(٢) الحداثة في ميزان الإسلام/ ص ٢٤.

(٣) ينظر: مقالاً حول التجديد في الأدب ومفهوم الحداثة) في مجلة البيان، د. عبد اللطيف الخلف، العدد (٤٥) جمادى الأولى/ ١٤١٢هـ ص (٧١ - ٧٢).



●● لكن أولئك حاولوا «استغلال هذا المصطلح، وأن يوجدِوا رباطاً وثيقاً بين التجديد في الأدب والثورة على المعتقدات، مؤكدين أنه لا يمكن للأديب أن يكون مجدداً إلا إذا تخلص من دينه وعاداته وتقاليده... وأن ينعتوا مخالفيهم بالتخلف والجمود والرجعية[١].

●● وكان من مصائبنا الجسام، قيام بعض المفكرين العرب بترسم خطى المصطلح الغربي، ظناً منهم أن التجربة الناجحة في الغرب، سيكتب لها النجاح في الشرق...

وقد بلغ الأدب درك التشتت والضياع، بعد طرح مصطلح الحداثة، ويظل عالمنا يركض وراء كل بارق ويحارب تحت كل راية، ليس له قضية ولا هدف معين، يؤمن بمعادلة كاذبة أطلقها الحاقدون وصدقها المغفلون، فإما الإسلام والتخلف، أو العلمانية والتقدم، وأشاعوا بأن الخطاب الإسلامي يقف في وجه المستجدات، ويحارب العقل ويشل التفكير، والحق أن العقل شرط التكليف، والتفكير فريضة إسلامية...

وإذا كانت الحداثة في الغرب متلوثة بمادية الماركسيين، وإلحاد الوجوديين، فإنها في الشرق متلوثة بباطنية الهدامين، ومادية المخربين، وصليبية الحاقدين، وعلمانية المارقين[٢].

●● وفي مقال للكاتبة «سهيلة زين العابدين» تؤكد فيه على أهداف

---

(١) المرجع السابق/ ص ٧٣ من مجلة البيان.

(٢) ينظر مجلة البيان: عدد ٦٤/ ذو الحجة/ ١٤١٣هـ / ص (٤٤ - ٥٥)، مقال: الحداثة بين التعمير والتدمير، د. حسن بن فهد الهويمل.



الحداثيين العرب، والمراحل التي مرت بها الحداثة عندهم فتقول:[1]

«الحداثة في شعرنا العربي المعاصر، نجدها للأسف الشديد، قد حققت ما تهدف إليه الماسونية وبروتوكولات حكماء صهيون، إلى أن حققتها جميعها في مرحلتها الحالية الأدونيسية فالحداثة مرت بالمراحل التالية:

١- **المرحلة الأولى**: بدأت سنة/ ١٩٣٢م، على يد جماعة أبوللو التي أسسها أحمد زكي أبو شادي، وقد تبنت مذهب الفن للفن، وهو مذهب علماني يهدف إلى إقصاء الدين، وإبعاده عن كل جوانب الحياة..

٢- **المرحلة الثانية**: المرحلة اللا أخلاقية، وقد ظهرت في شعر نزار القباني، وفيه تمرد على التاريخ، ودعوة إلى الأدب المكشوف.

٣- **المرحلة الثالثة**: بدأت سنة/ ١٩٤٧م، عندما نشرت أول قصيدة كتبت بالشعر الحر، لنازك الملائكة.

ويمثل هذه المرحلة: البياتي وصلاح عبد الصبور والسياب.

٤- **المرحلة الرابعة**: يمثلها أدونيس وهذه المرحلة من أخطر مراحل الحداثة، دعا فيها أدونيس إلى نبذ التراث وكل ما له صلة بالماضي، ودعا إلى الثورة على كل شيء، وهو يزعم أنه من دعاة الإبداع والابتكار، مع أن ما يردده ليس بجديد، فهذه دعوة الماركسية والصهيونية، ألبسها لباس الثورة والتجديد، لتحقيق الإبداع الذي يدعيه[2].

---

(١) جريدة الندوة، عدد (٨٤٢٤) في ١٤/ ٣/ ١٤٠٧هـ ص ٧.

(٢) سهيلة زين العابدين (جريدة الندوة (٨٤٢٤) وانظر: الحداثة في ميزان الإسلام للقرني ص (٣٢ - ٣٣).



● ويعتبر أدونيس المنظر الفكري للحداثيين العرب، وكتابه «الثابت والمتحول» هو إنجيل الحداثيين كما يقول بعضهم.

فقد بدأ ينبش في كتب التراث ويستخرج منها كل شاذ ومنحرف من الشعراء الأدباء، كبشار بن برد، وأبي نواس، وعمر بن أبي ربيعة، إذ يقول: «إن الانتهاك - أي تدنيس المقدسات - هو ما يجذبنا إلى شعر هؤلاء، والعلة في هذا الجذب، أننا لا شعورياً نحارب كل ما يحول دون تفتح الإنسان، فالإنسان ثوري بالفطرة، الإنسان حيوان ثوري»؟![1].

● والباحث المنصف يرى الآثار الخطيرة للحداثة في عالمنا الإسلامي،[2] فمن أبرز آثارها المدمرة:

- إشاعة الفوضى العقدية والثقافية في العالم الإسلامي.

- إيجاد طبقة معزولة عن المجتمع سياسياً وعقدياً، فالحداثة تتطلع إلى سلطة فوضوية لا تحرم محرماً ولا تمنع قولاً أو عملاً، مهما كان، وتدعو إلى فلسفة وضعية حديثة غربية لا تؤمن بدين، ولا تصدر عن أحكام إسلامية (تراثية قديمة).

- ومن آثارها: إعلاء شأن الفرق الباطنية والفلسفية والصوفية، بدعوى الحرية للجميع.

---

(١) انظر: الثابت والمتحول: ج١/ ص ٢١٦، وانظر الحداثة في ميزان الإسلام: عوض القرني/ ص ٢٨.

(٢) الحداثة في العالم العربي: دراسة عقدية، رسالة دكتوراه من قسم العقيدة وأصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، للباحث: محمد بن عبد العزيز العلي، عرض مجلة البيان/ العدد (١١٢) ذو الحجة/ ١٤١٧هـ، عرض الرسالة: أحمد سعيد البتاكوشي.



- تغلغل كثير من الحداثيين في وسائل التربية والتعليم والإعلام في العالم الإسلامي، حتى قال أدونيس: «كن معي أستطيع أن أجعل مقالاتك تنشر في أي صحيفة أو مجلة تريدها، ولا تضطرني أن أغلق في وجهك، حتى زوايا بريد القراء في أي صحيفة»؟!!.

- الحداثة مذهب عقدي باطني فلسفي، يسعى إلى تحديث مصادر التلقي، وصرف النظر عن المصادر الشرعية المعتبرة.

- وأن الحداثة نشأت في العالم العربي، في حدود منتصف القرن العشرين، حيث استوردتها الأقليات النصرانية والباطنية إلى لبنان، ومن ثم نقلها أتباع لهم إلى بقية دول العالم العربي.

(٣)

مزاعم التجديد عند شعراء الحداثة المعاصرين:

لقد كانت الحداثة قد تغلفت بمنطلقات الثورة على كل مقدس في تراثنا، ومعتقداتنا وديننا... كانت كعبتهم شعراء الغرب وملاحدته..

● «وكانت الدعوة إلى الشعر المنثور أو الحر، هي إحدى حلقات التغريب، التي أخضع لها شعرنا العربي في العصر الحديث، حتى أن بعض النقاد يصرحون في حسم بأن «الدعوة إلي تحطيم الأوزان والبحور، والثورة على القوافي والدعوة إلى الغموض عند المحدثين - مستوردة من الآداب الأجنبية جملة وتفصيلاً»[1].

(١) إلياس أبو شبكة: لعبد اللطيف شرارة، ص ٨/ طبعة بيروت/ ١٩٦٥م.



●● فالأصالة عند هؤلاء ألا يكون لك أصل!! والجدة ألا يكون لك قديم!!.

فنحن أمام مفهوم مقلوب للأصالة والتجديد على حد سواء، إذ أن (الانقطاع) هو شرط الإبداع، و «الهدم»[1].

ومما يؤكد ذلك قول أدونيس: «إن الحداثة ظاهرة تتمثل في تجاوز القديم العربي، وتصهره في قديم أشمل: يوناني - مسيحي - كوني[2].

● وهناك مسألة مهمة ترتبط بقضية الأدب، **وهي مسألة الدعوة إلى كسر قواعد اللغة العربية**: وهذا أمر مرفوض، والفرق واضح بين التجديد في الأدب، وبين العبث باللغة، إذ أن هذا الأمر يمكن أن ينتج عنه نتائج خطيرة تتصل بفهم النصوص الشرعية وتفسيرها، ويؤدي إلى الاضطراب والخلخلة في فهم العقيدة والشريعة[3].

●● وأول ما يصدم القارئ لأدب الحداثة **هو تلفعه بعباءة الغموض وتدثره بشعار التعتيم والضباب**، حتى أن القارئ يفقد الرؤية، ولا يعلم أين هو متجه، أو ماذا يقرأ: أهو جد أم هزل، حق أم باطل...؟!!..

فمن أهداف الغموض وغاياته، كسر الإطار العام للغة العربية، وتحويلها مع الأيام، إلى لغة جديدة، لا صلة لها باللغة العربية الفصحى المعروفة والمأثورة عن العرب.. تماماً كما حصل للغة اللاتينية، التي تحولت مع مرور الزمن بهذه

---

(١) أدب الردة: جمال سلطان/ ص (٨٦ - ٨٧).

(٢) صدمة الحداثة لأدونيس/ ص ١٥٦.

(٣) ينظر: مجلة البيان، عدد ٤٥ / د. عبد اللطيف الخلف/ ص ٧٥.



الطريقة إلى لغات كثيرة[١] .

●● وقد أثيرت العامية والأدب الشعبي، في مصر وبلاد الشام عند سعيد عقل وأنيس فريحة وبعض كتاب المهجر.

وهناك في لبنان من يصر إلى اليوم على اللهجة اللبنانية، وعلى رأسهم الشاعر سعيد عقل، ويسمونها اللغة اللبنانية، ووصل به التطرف إلى كتابة هذه اللغة بحروف لاتينية، وله جريدة أسبوعية محدودة الانتشار، تطبع بالحروف اللاتينية، أما تمويلها فلك أن تتساءل عن مصدره؟![٢] .

● ومن أبرز خصائص شعر الحداثة: ظاهرة اللامعقول، وتغييب العقل، وهي ظاهرة وقع فيها قصداً أو عفواً الأدباء العرب منذ مطلع الستينيات.

ومع مجيء هزيمة حزيران عام/ ١٩٦٧م، ازدادت هذه الموجة وترسخت، فنشأ لدينا جيل شاب من الأدباء تربى على هذا الأدب السريالي (اللا معقول)، فلم يعد يفهم من الأدب غير الغموض والغرابة، والترميز المتصنع، والصور المتناقضة المنقطعة ببشاعة وفوضى وتشويش، يعرضها في أشكال مختلفة: في الشعر والقصة والمسرح، ويرى أنها التعبير العميق عن الحقائق الجوهرية في الحياة... فهو لا يقرأ غير ذلك الجانب المظلم المتشائم، الذي يتناسب مع قتامة أدب اللامعقول ويأسه وانتحاريته[٣] .

● إن هذه الموجة السريالية مؤامرة يجب فضحها ومقاومتها، فهي تحديداً

---

(١) الحداثة في ميزان الإسلام: عوض القرني/ ص (٣٥ - ٤١).

(٢) الشرق الأوسط/ في ٢/ ١١/ ١٩٨٥م، ص ١٩.

(٣) تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها: د. محمد جابر الأنصاري ص ١٧١/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ ١٩٩٨م.



مؤامرة خططت لها دوائر عالمية معروفة، وظفت لها بعض أفراد الجماعات الثقافية الصغيرة من الأدباء العرب الضالعين منذ مطلع الستينيات، فدفعهم إلى إصدار المجلات الثقافية مع المزايدات والشعارات الحضارية الفارغة، حتى يصاب العقل العربي بهلوسة اللامعقول...

التفاصيل والأسماء الضالعة في المؤامرة كثيرة، وأصبحت مكشوفة معروفة، وقصة مجلة «حوار» التي أصدرتها منظمة «حرية الثقافة»، ذات الصلة بأحد أجهزة المخابرات الدولية عام/ ١٩٦١م، ليست سوى البداية لهذه الموجة المشبوهة[١].

● إن هذه الكتابات الغامضة العسيرة، تسبب ضيقاً بالتنفس، وعسراً في الهضم، فكأن الوضع الأدبي الفكري، قدبلغ الكمال، ولم يبق إلا تزويقه وتطييبه ببعض العطور الغريبة المستوردة من معاطر باريس، عبر بعض الوكالات الأدبية في بيروت، ومنها إلى قارئنا المسكين... يقدم له على طبق من نقوش أدونيس الهيروغليفية، أو رسوم أنسي الحاج على الماء.. حتى يخرج القارئ المسكين من هذه الحفلة التنكرية كلها بإحباط شديد[٢].

● وماذا تكون نتيجة هذا الأدب، الذي كان ظهور مدرسته ومنابره ومجلاته وأعلامه في بيروت، غير بعيد عن الأنشطة الدولية المشبوهة، والعاملة على نشر التشويش في العالم العربي، بكل وجوهه السياسية والفكرية والأدبية والنفسية..[٣].

---

(١) المرجع السابق/ ص (١٧٢ - ١٧٣)/ بإيجاز يسير.

(٢) تجديد النهضة باكتشاف الذات: د. محمد جابر الأنصاري، ص (١٧٤ - ١٧٦).

(٣) المرجع السابق ونفس الصفحة.



●● والمدهش في هذه الأعمال أن أصحابها يقولون: إنهم إنما يتوجهون بأعمالهم الأدبية هذه إلى سواد الناس، وعامة الشعب، لتنويرهم وبذر الوعي المتقدم في نفوسهم، ولكن كيف يمكن الوصول إلى الشعب وتنويره بأسلوب الترميز المصطنع المقفل، والركاكة اللغوية والفنية التي تنفر الناس، وقد نفرتهم بالفعل، من الأدب الجديد والشعر الجديد.

فالفنان الأصيل هو الذي يستطيع أن يجمع بين البساطة والعمق، بين الظاهر والخفي..[1]

●● الفن الحقيقي هو الإبداع البشري الهادف الجميل، الذي يرتفع بروح الإنسان باتجاه المثال النقي، مبتعداً عن أوحال الأرض وشرورها، والقصيدة الحديثة التجريدية أو التشكيلية، هي حركة تهدم كل شيء من أجل ألا تصل إلى شيء، تهدم الفكر واللغة والخيال والوزن الموسيقي، وتفلسف هذا الهدم فلسفة غير عقلية... هي مجرد ألاعيب لفظية[2].

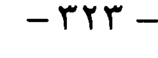
●● وحول الشعر الجديد الحر كتب الشيخ الأديب علي الطنطاوي – رحمه الله – في ذكرياته يقول:

«ومن أشد الذكريات التي لا أزال كلما خطرت على بالي، أحس أنها تحز في قلبي، أنني اضطررت في آخر عهدي بالتدريس، أن أشرح للطلاب بعض المختارات من الشعر العربي المعاصر، بل الذي يسمونه شعراً وما هو بالشعر.

---

(١) المرجع السابق/ ص (١٧٩ – ١٨١).

(٢) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد: د. أحمد بسام ساعي/ ص (٤٥، ٧٦)/ دار المنارة للنشر – جدة/ ١٩٨٥م.



وكنت أحس كأنني أحتقر نفسي حين أهبط إلى هذا الحضيض، فأضطر إلى العناية به وشرحه، وأني أخدع الطلاب حين أوهمهم أن هذا من بليغ القول وفصيح الكلام، وأنه أدب رفيع، وما هو إلا هذيان وضيع، و هذر أحمق رقيع، وأصحابه كالثعلب الذي أراد أن يقطف عنقود العنب، فوثب إليه فما استطاع أن يصل، فعزى نفسه قائلاً: إنه حصرم حامض وذهب يذمه.

هذا مثال دعاة الشعر الجديد، المنثور منه والمشعور، والمحطم والمكسور، ومثله ما دعي الآن بشعر الحداثة، ولست أدري لماذا لا يساق أصحابه إلى إصلاحيات الأحداث التي تعالج جنايات الحداثة، ولست أدري متى يجاوزونها، ويبلغون سن الرشد؟![1].

(٤)

صلات مريبة ودعم كبير لرموز الحداثة وإنتاجهم:

قامت مؤسسات دولية مشبوهة، سياسية أو ثقافية، بدعم إنتاج رموز الحداثة، من مجلات شهيرة، أو إصدارات تسلّط وسائل الإعلام لنشرها والدعاية لها، رغم ضحالة الأسلوب، وانحراف التصور، وسطحية المحتوى.

● «ففي لبنان حيث انتقلت حيوية الحركة الشعرية إليه خلال العقدين السادس والسابع من هذا القرن، بفعل ثلاث بؤر أدبية ناشطة، تحلقت حول ثلاث مجلات، وهي على التوالي،، (الآداب ومجلة شعر ثم مجلة حوار).

---

(١) ذكريات علي الطنطاوي: ج٦/ ص ٢٦٢.



وكان الخط النفسي والفكري متقارباً إلى حد بعيد بين البؤر الثلاث في الدعوة إلى «أيديولوجية وجودية مبدؤها العدم، والغثيان وحرية الوجود الفردي».

«بيد أن مجلة شعر» قد برز تيارها في مجال الشعر بفعل التخصص، وبفعل حيوية «يوسف الخال، وشوقي أبي شقرا، وعلي أحمد سعيد «أدونيس» ونذير العظمة.

وكان هذا الثالوث اللبناني محط شبهات عديدة، حتى صرح نفر من الباحثين بارتباط «شعر وحوار» ببعض أجهزة الاستخبارات الدولية»[1].

يقول هذا الكلام أحد رموز الحداثة نفسها، ولا ينبئك مثل خبير.

أما مجلة «حوار» فقد أصبحت صلاتها شبه مسلم بها، بعد اعترافات رئيس تحريرها «توفيق صائغ».

وكانت هذه المجلات الثلاث تتبنى في صراحة ووضوح عملية تغريب الشعر العربي تغريباً تاماً، حتى أصبح شعر روادها كأنه ترجمة للشعر الأجنبي[2].

● **لقد نشأت مجلة «شعر» بإمكانات مادية غير طبيعية أسسها «يوسف الخال»** فور عودته من أمريكا، ذلك الشاعر عربي الأصل، أمريكي المنشأ والثقافة واللغة، وعرف بانتمائه لتجمعات أمريكية أدبية «مشبوهة»، كان يحمل من خلال منبره هذا وجماعته تلك، على كل خصائص الأدب العربي والثقافة

---

(١) يوميات يمانية في الأدب والفن: د. عبد العزيز المقالح/ ص ٥٠ / طبعة دار العودة - بيروت، وانظر: أدب الردة: جمال سلطان/ ص (٣٦ - ٣٧).

(٢) أدب الردة: جمال سلطان/ ص (٣٦ - ٣٧).



العربية، وحتى اللغة ذاتها.

وهو يعلن الثورة على قيم المجتمع وأديانه والإسلام تحديداً، وهو يحمل إلى الناشئة عبر إنتاج جماعته متاهات العبثية والغثيان الاجتماعي[1].

وكان قد تجمع حول «يوسف الخال» وتعاون معه، نذير العظمة وأدونيس، وصدر العدد الأول منها عام/ ١٩٥٧م، وكتب فيها: (أنسي الحاج، ومحمد الماغوط، وخالدة سعيد).

وحول ولاء المجلة وانتمائها يقول نذير العظمة: (إن بعض مؤسسيها كانوا منتمين للحركة القومية الاجتماعية، أي الحزب القومي السوري، وما زال أكثرهم كذلك، وقد ذكر ذلك يوسف الخال في كتابه «أسئلة الشعر» ص ١٥٧)[2].

● وأشارت إلى ذلك دراسة حول: «مجلة شعر ودورها في حاضر الشعر العربي».

جاء فيها: «حملت مجلة شعر منذ تأسيسها اتجاهين فكريين:

- أولهما: اتجاه قومي حزبي، وينتمي إليه: يوسف الخال وأدونيس، ونذير عظمة، ومحمد الماغوط وآخرون.

- وثانيهما: اتجاه إقليمي انعزالي لبناني، وهو الاتجاه الذي غلب عليها في المرحلة الأخيرة.

وينتمي لهذا الاتجاه كل من: أنسي الحاج وشوقي أبي شقرا وآخرين.

---

(١) أدب الردة/ ص ١٣٨.

(٢) مجلة البيان، العدد (١٨) شوال/ ١٤٠٩هـ، مقال: للدكتور وليد الطويرقي.



- ويتفق الاتجاهان على معاداة فكرة العروبة، وكل ما يمت إليها من أهداف وشعارات، ويتفقان في نزوعهما الشديد إلى تيار التغريب[1].

●● ويتحدث الباحث سامي مهدي عن علاقات يوسف الخال (بالمنظمة العالمية لحرية الثقافة)، وهي منظمة مشبوهة تمول مجلات وتروج لفكر معين، كما كان لمجلة (شعر) دور في ترويج ما تنشره مؤسسة (فرانكلين) الأمريكية[2].

●● لقد ركزت الحركة الشعرية الحديثة على هجر تراث الإسلام جملة، ولم تنفض عن كاهلها الدين أي دين، وإنما نفضت الإسلام وحده، وأصبح من الطبيعي عندما تقرأ أو تسمع من شعر الحداثة طرفاً، أن تقرع سمعك ألفاظ الصليب والقداس والمسيح والعمادة.. يقول أدونيس:

- صارت لي الكؤوس والأكمام

وسادة.. حلماً على الوسادة

من زمن الولادة.. في غابة الرضاع والفطام.

أنقل أجراساً في الليل إلى كنيسة النهار[3].

● لقد لجأ هؤلاء الشعراء إلى الثورة والإنجيل، وقلما استفادوا من القرآن في

---

(١) الدراسة للشاعر العراقي سامي مهدي، نشرت في مجلة الأقلام العراقية، نشر مقتطفات منها «جهاد فاضل» في مجلة آفاق عربية/ في العدد السادس عام/ ١٩٨٧م، ونشرت جريدة الرياض مقتطفات منها كذلك: العدد (٧١١٥).

(٢) مجلة البيان: العدد (١٨)، د. وليد الطويرقي.

(٣) الآثار الكاملة لأدونيس/ ج٢/ ص ١٤، طبعة دار العودة - بيروت/ ١٩٧١م.



هذا السبيل، حيث كان الكتاب المقدس مصدر استلهام فني في الشعر الأوروبي[1].

●● ويؤكد هذا الاتجاه النصراني (يوسف الخال) حيث يقول:

«إنني كشاعر مسيحي، والمسيحية ترتبط ارتباطاً عميقاً مع التراث الذي سبق التاريخ العربي في هذه البقعة من الأرض»[2]

إذا كان يوسف الخال معتزاً بنصرانية، فلماذا ينهال هو وأنصاره بالشتم على المسلمين، متهمين إياهم بالرجعية، والتعصب والتخلف، وما الذي يجعل الإسلام والتمسك به تخلفاً ورجعية، بينما يكون الاعتزاز بالتوراة والإنجيل والأساطير اليونانية تقدماً وتحضراً وحداثة؟!![3].

●●●

● دور المخابرات المركزية الأمريكية في الترويج للحداثة:

لقد أصبح معروفاً منذ سنوات، دور المخابرات الأمريكية عبر المجلس الثقافي الحر في تأسيس وتمويل عشرات المراكز الثقافية والمجلات الأدبية، ومنها مجلة «انكاونتر» البريطانية الشهيرة، وفي منطقتنا العربية مجلة «حوار» وغيرها.

● وتذهب الكاتبة البريطانية «فرانسيس سوندرز» في كتابها: «مَنْ يدفع

---

(١) الأسطورة في الشعر العربي الحديث: د. أنس داوود/ ص (١٤٤ – ١٤٥)، وينظر أدب الردة/ ص ١٢٠.

(٢) أسئلة الشعر «تصريحات يوسف الخال» ص ١٥٠.

(٣) مجلة البيان – العدد (١٨) ص ٧٧.



التكاليف »؟!! إلى أن المخابرات المركزية هي التي ساعدت على نشوء أدب الحداثة، وما بعد الحداثة، وروجت لهما، وسوقتهما على المستوى العالمي.

وتذكر المؤلفة أسماء عشرات الشركات والمؤسسات، المنتشرة في كل أنحاء العالم، والتي كانت تقوم بهذا الدور.

●● وقد مولت « سي. أي. إيه » المجلات الأدبية التالية داخل الولايات المتحدة: « بارتيسان ريڤيو » التي كانت ترسل نسخاً مجانية لآلاف المشتركين خارج الولايات المتحدة، وكذلك « كينيون ريڤيو » و « هورسون ريڤيو »، ومجلة (شعر) ومجلة (تاريخ الأفكار).

وقد بلغت تكاليف الصرف على هذه المجلات في الستينيات، ما يزيد عن ستين ألف دولار أمريكي[1].

●●●

● ومن عجائب المثقفين العرب الجدد، دفاعهم عن مصالح اليهود وجرائم اليهود.

حيث أن أربعة عشر مثقفاً، منهم أدونيس ومحمود درويش، يرفضون كشف أكاذيب المحرقة اليهودية، وتصدى لهم رجل أمريكي، كان أكثر شجاعة من الحداثيين العرب من أجل وقف انعقاد مؤتمر كان مزمعاً عقده في بيروت، وكانت مهمة المؤتمر، لمساهمة في كشف زيف أسطورة:

« الهولو كوست » اليهودي، ضمن ما يسمى بالمراجعة التاريخية.

---

(١) كتاب: مَنْ يدفع التكاليف/ فرانسيس سوندرز، في تموز عام/ ١٩٩٩م، عن الشرق الأوسط في ٢٨/ ٣/ ١٤٢٠هـ - ١٢/ ٧/ ١٩٩٩م، فاضل السلطاني.



لكن الحداثيين العرب يتصدون للمؤتمر ويناصرون وجهة نظر عدد من المنظمات اليهودية في الغرب، التي اعترضت على عقد المؤتمر، في وقت يسام فيه الشعب الفلسطيني الهوان والاضطهاد.

والأغرب من هذا، أن الباحث الأمريكي، وجه إليهم رسالة احتجاج على مواقفهم، فقد دعا «مارك ويبر» مدير معهد المراجعة التاريخية - كاليفورنيا - والمتخصص في فضح أكاذيب اليهود فيما يسمونه «الهولوكست» قال لهم في رسالة مفتوحة، وجهها إليهم: (إنهم بعملهم هذا، إنما يخدمون المدافعين عن الدولة الصهيونية، التي تقذف بهذا التعبير الرخيص:

«معاداة السامية»، في وجه كل من يعارض سياسات الكيان الصهيوني الإجرامية[1].

لقد تحول هؤلاء إلى عملاء للصهيونية، وكذا الشيوعية والصليبية، وهم يحملون أسماء عربية، ويزعمون أنهم إنما يريدون التجديد والإبداع ليس إلا؟!.

● وقد كثرت المشروعات والمؤتمرات، التي تخدم هذه الاتجاهات المنحرفة مع الأسف.

ويمثل مشروع كتاب في جريدة، الذي اختتم مؤتمره الثالث في بيروت هذا الأسبوع «٢٥/ ٣/ ٢٠٠١م»، يمثل محاولة طموحة لنشر بعض النصوص الأدبية على أوسع نطاق، ويهدف المشروع إلى طباعة ملايين النسخ شهرياً من كل كتاب، وتوزيعه مجاناً مع الصحف العربية الأكثر انتشاراً وتوزيعاً، وقد أنجز هذا المشروع حتى الآن طباعة «٤١ كتاباً» بمعدل ثلاثة ملايين نسخة للكتاب

---

(١) مجلة المجتمع: العدد ١٤٥٢، ٣/ ربيع الأول/ ١٤٢٢هـ - ٢٦/ ٥/ ٢٠٠١م.



الواحد[1].

• ومع الأسف الشديد، فإن هذا المشروع يخدم فئة منحرفة فكرياً، هي أهل الحداثة، فما خلا كتاب من ملاحظة، أشدها التعرض لذات الله بالقدح، صراحة أو رمزاً.

من ذلك (ملحق أمل دنقل)، تحت عنوان: مقابلة مع ابن نوح، ومن ذلك ملحق « الشعر الفلسطيني » في مقطع بعنوان « نيران المجوس » لتوفيق زياد... وغير ذلك كثير.

ومن هنا وقف العلماء من توجهات الحداثة موقفاً واضحاً.

قال الدكتور حسن الهويمل: « مكافحة الأدب الحداثي من فروض الأعيان »، وقال الشيخ صالح بن حميد: « الحداثة مذهب فكري عبثي فوضوي تدميري »، وقال الدكتور ناصر العقل: « الحداثيون أشرس أهل الأهواء، وأكثرهم ضلالاً.

« ولذلك ينبغي إيقاف هذا الغثاء « كتاب في جريدة » واستبداله بالأدب الرفيع »[2].

●●●

---

(١) جريدة الوطن: في ٢٥ / ٣ / ٢٠٠١م، عبد الكريم عودة.

(٢) جريدة الوطن: سلطان المهوس، في ٣ / ٤ / ٢٠٠١م.



الفصل الثاني

أبرز رموز الحداثة في بلاد الشام

لقد ابتليت بلادنا بعدد من شعراء الحداثة وأدبائها، فكانوا ينفثون سمومهم شعراً ونثراً، وجاء إنتاجهم مليئاً بالكفر الصريح، والسخرية المرة بالعبادات والأخلاق[1].

وعكفوا على عبادة الجنس والشهوات، والاستهتار والاستخفاف بالقيم الدينية، ورغم ذلك كله، فإن صحافة أتباعهم ما تزال تلهج بمدحهم، ومدح مقولاتهم:

الفن للفن، والإبداع هو الهدف أمامهم، وسوف نتحدث في هذا الفصل، عن أصنام الحداثة البارزين، والمقولات التي يندون فيها بالتراث والقيم السامية.

فمن هؤلاء:

١- نزار القباني الذي خصص شعره للاعتداء على مقام الربوبية والألوهية، والسخرية بالعبادة لله تعالى، وإسهامه الكبير في هدم الأسرة وإشاعة الفاحشة.

٢- أدونيس: وهو من أصنام الحداثة والثائرين على كل موروث والمتمردين على الذات الإلهية، وعلى الإسلام وشريعته.. والداعين إلى التحلل والإباحية.

---

(١) معذرة إلى القارىء الكريم مما سنورده من شعر هؤلاء، شعر الردة والتمرد، وما ذلك إلا لبيان خطر هذا الفكر وشروره.



٣- ومنهم عدد من الشعراء اليساريين، كمحمود درويش وسميح القاسم، ومنهم حراب الصليبية والتغريب في صدر أمتنا كيوسف الخال وأبي شادي، وأمثالهما من شعراء الرابطة القلمية والمدرسة الرومانسية.

(١)

نزار القباني:

من مواليد دمشق/ ١٩٢٣م، ولد في بيت موفور الرزق، حيث كان والده تاجراً كبيراً، وكان عمه «أبو خليل القباني»، شاعراً وممثلاً ومسرحياً، وكان لحياة الترف التي عاشها، ولاتصاله بعمه، الأثر الكبير في حياته الشعرية[١].

كرس نزار شعره للمرأة والجنس، في الوقت الذي كان العرب يعيشون حالة استنفار ضد الاحتلال الإسرائيلي، ثم بدأ يصحو من سكرة اللهو والجنس في حرب السويس/ ١٩٥٦م وعقب نكسة عام/ ١٩٦٧م[٢].

● وكان قد خرج علينا نزار عام/ ١٩٤٤م، بديوانه الغزلي: (قالت لي السمراء)، بينما كان الاستعمار الفرنسي يدك المدن السورية، فكان كمن يهدي امرأً يحترق بيته صفيحة من البترول الممتاز.

والحقيقة أن مدرسة اللهو والعبث قد ساهمت في إشاعة المجون والفساد

---

(١) ينظر: البيان، عدد (١٢٧) ربيع الأول/ ١٤١٩هـ، من مقال: لإبراهيم بن محمد الحقيل/ ص ٩٢.

(٢) ينظر: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، د. أحمد بسام ساعي/ ص ١١٢، و ص (١١٥ - ١١٦).



والرشوة والضياع، حتى غلب هذا الاتجاه على معظم الاتجاهات الأخرى[1].

●● بيد أن صحوة نزار لم تكن صحوة إسلامية، وإنما كانت قومية جاهلية.. ويرى بعض النقاد أنه ما نحا هذا المنحى القومي في شعره إلا لأن جماهيره عزفت عن شعره الماجن اللاهي، فاتخذ خطاً قوميا حتى يواكبَ ما فرضته القومية آنذاك، وحتى يرضي جماهيره فتعود إلى شعره.

بل يعترف صراحة أنه ما سلك هذه الطريق في الشعر. إلا من أجل الشهرة على حساب الدين والقيم العليا حينما يقول:

« شعر الحب الذي أصبح جواز سفري إلى الناس، لم يكن في الحقيقة إلا واحداً من مجموعة جوازات استعملتها »

ويقول: « دعوني أعترف لكم أنني بالرغم من شهرتي شاعر حب فإنني نادراً ما وقعت في الحب »[2].

● وعموماً لا يشك كل مطلع على شعره ونثره، في زندقته وإلحاده حيث تعدى على الذات الإلهية، واستهتر بالشرائع السماوية، وجعل رضى حبيبته موصلاً إلى مقام الربوبية أو الرسالة، وتقريره أن الحياة مجرد لهو وعبث ومجون، هدف الإنسان فيها تحصيل الشهوات والملذات، مع ثورة عنيفة مستمرة على الدين والأخلاق والمبادئ والقيم..

إن أغلب شعره يدور حول دائرة مغلقة قلما يخرج منها، هي دائرة الغزل

---

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٢) ينظر: كتابه «قصتي مع الشعر» ص (٢٦ - ٢٨، ١١٥)، ومجلة البيان/ عدد (١٢٧)، إبراهيم الحقيل/ ص ٩٣.



الجنسي المسرف في الشوق إلى مفاتن الجسد، ووصف العاهرات المتهالكات[1].

وكانت دواوين نزار الستة الأولى التي تبلغ «١٥٥ قصيدة» كلها في المرأة، وليس منها قصائد وطنية سوى احدى وعشرين قصيدة[2].

● **ويمكن تقسيم انحرافاته إلى ما يلي:**

١- اعتداؤه على مقام الربوبية والألوهية:[3]

فالإيمان بالله تعالى، وهو أعظم ركن في الإسلام نجده مستهدفاً، ونجد في شعره السب الصريح لله تعالى، ونفي لوجوده جلت عظمته.

فمن ذلك قوله: «من بعد موت الله مشنوقاً... على باب المدينة لم تبق للصلوات قيمة... لم يبق للإيمان أو للكفر قيمة»[4]، وقضية (قتل الألوهية) أو «قتل الإله» تعالى عما يقولون، أصل حداثي كبير استعاره المقلدون الحداثيون العرب، من أساتذتهم الملاحدة في الغرب.

● **ومن أمثلة اعتدائه على مقام الربوبية كذلك قوله:**

«يحدث شيء غير عادي.. في تقاليد السماء يصبح الملائكة أحراراً في ممارسة الحب... ويتزوج الله حبيبته»[5]

---

(١) الصحافة والأقلام المسمومة: للأستاذ أنور الجندي/ ص ١٦٧.

(٢) الواقعية الإسلامية: د. أحمد بسام ساعي/ ص ١١٣.

(٣) ينظر: مجلة المجتمع، عدد (١٣٠٠)، ٢٢/ محرم/ ١٤١٩هـ. مقال: سعيد بن ناصر الغامدي/ ص (٤٥ - ٤٧).

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة لنزار القباني/ ج٣/ ص ٣٤٢.

(٥) السابق/ ج٢/ ص ٤٤٢.



هذا وإن المتأمل في مضامين شعر نزار يجد أن تحقير الألوهية والربوبية من المقاصد الأساسية في شعره، ومن هذا النوع نجد الكثير المقرف في دواوينه.

●● ومن صور استهزائه بالله تعالى، قوله بموت الإله وعودة الأنصاب «من أين يأتي الشعر يا قرطاجة... والله مات، وعادت الأنصاب»[١].

كما أنه يعلن ويقر بضياع إيمانه وبإلحاده إذ يقول:

«ماذا تشعرين الآن؟هل ضيّعت إيمانك مثلي بجميع الآلهة»[٢]

وقوله: «ماذا أعطيك؟ أجيبي: قلقي، إلحادي؟ غثياني؟!»[٣].

● ويتخذ من القرآن الكريم مادة وطريقاً إلى إلحاده ومجونه:

«وسوف تقولين... في ذات يوم حزين... يلام على الحب يوم يعيش ويوم يموت... ويوم يبعث حياً»[٤].

● يقول القاضي عياض فيمن يستخف بالقرآن: «اعلم أن مَنْ استخف بالقرآن أو المصحف، أو بشيء منه، أو جحده، أو حرفاً منه، أو آية، أو كذب به أو بشيء منه، أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر عند أهل العلم بإجماع»[٥].

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ج٣/ ص ٦٣٧.

(٢) المرجع السابق: ج٢/ ص ٣٣٨.

(٣) المرجع السابق: ج١/ ص ٤٠٦.

(٤) من قصيدته: هل تسمعين صهيل أحزاني؟، وانظر: كتاب السيف البتار في نحر الشيطان نزار، لمؤلفه ممدوح بن علي السهلي الحربي، دار المآثر للنشر والتوزيع، بالمدينة المنورة.

(٥) نواقض الإيمان: د. عبد العزيز العبد اللطيف/ ص ٢٠٣.



٢- سخرية نزار بعبادة الله جل وعلا:

وبالطرق التي توصل إليها ووصفه رواد المساجد بالتنابل، واستهزاؤه بالدعاء يقول:

«نقعد في الجوامع تنابلاً كسالى، .. ونشحذ النصر على عدونا من عنده تعالى»[١].

● إن سعي الشاعر لإلغاء الألوهية، يعتبر مقدمة لكل تلك الإباحيات الجنسية التي غرق في مستنقعها، وهي متصلة بمزدك والقرامطة والشيوعية والوجودية.

يقول: «والغريب أنني أنظر دائماً إلى شعري الجنسي بعيني كاهن، وأفترش شَعْر حبيبتي، كما يفترش المؤمن سجادة صلاة»[٢].

والشاعر مع نفيه لوجود الله، ومحاربته للألوهية، يعلن عن عبادته لغير الله، وخاصة للجنس الذي اعترف بأنه ديانة».

يقول نزار تحت عنوان «نهداك»:

«صنمان عاجيان قد ماجا ببحر مضرَم، صنمان إني أعبد الأصنام رغم تأثمي»[٣].

● ويكثر نزار من ذكر العهر والفجور في شعره، ممزوجاً بالكفر.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ج٣/ ص ٨٩.

(٢) أسئة الشعر، ص ١٩٦، من مقابلة أجراها منير العكش مع نزار ونقلها في كتابه: أسئلة الشعر.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ج١/ ٦٩.



يقول في ديوانه:[1]

«كيف ما بين ليلة وضحاها... صار نهداك... مثل يوم القيامة»[2].

●● والغريب أن نزاراً رغم إلحاده، يكثر من ذكر تعلقه بعبادات وطقوس النصارى، فيقول:

«لو كنت في مدريد في رأس السنة...

كما ذهبنا آخر الليل إلى الكنيسة...

كما حملنا شمْعنا وزيتنا... لسيد السلام والمحبة...

كما شكونا حزننا إليه... كنا أرحنا رأسنا لديه»[3].

٣- إسهامه الكبير في هدم الأسرة وإشاعة الفاحشة:

لقد كرس نزار حياته وشعره لهدم كيان الأسرة، وكانت معظم دواوينه في وصف جسد المرأة، والدوران حول قضايا الجنس، والخوض في تفصيلاته، فهو شهواني في شعره موغل في الشهوة، ويكاد يعبدها.

ويكفي للدليل على ما تقدم مقولته الكفرية: «لو كنت حاكماً لألغيت مؤسسة الزواج، وختمت أبوابها بالشمع الأحمر» وقوله: «العري أكثر حشمة من التستر»[4].

---

(١) ديوانه: «الحب، ص ٤٧».

(٢) ديوانه: الرسم بالكلمات، ص ٩١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الصحافة والأقلام المسمومة: أنور الجندي/ ص ١٦٨.



● كان نزار من أكثر الشعراء الذين أساءوا إلى المرأة، وامتهنوها بتعرية جسدها وتشريحها على قارعة الطريق[١].

●● ولذلك فهو يلعن المرأة المحتشمة، ويثور عليها، ويرفض الالتزام بمجتمعه وقيمه، ولم يكتب عن المرأة كأم أو أخت أو زوجة، بل جعل كتاباته تدور حول العشيقات والخليلات، فهو لا ينظر إلى المرأة إلا بوصفها دمية ومتعة، ولا يعرض العلاقة الإنسانية بين الرجل والمرأة إلا من زاوية الجنس[٢].

● والواقع أن نزار القباني، ما هو إلا نبت أجنبي مسموم، يحاول أن يطرح من خلال شعره عن المرأة، مجموعة من المفاهيم الفاسدة والمنحلة، والتي يطمع النفوذ الغربي أن يجعله من المسلّمات عن الشباب المسلم...

ورغم ذلك نجد أن حملة دعائية، تصاحب هلاكه مدحاً ورثاء، شعراً ونثراً[٣].

●● لقد كان نزار خصماً عنيداً لعقيدة الإسلام وشريعته، لا عن غفلة وسهو وزلة، ولكن عن إصرار مسبق، وقصد مبرمج...

فإلى الذين مدحوا نزاراً، أو بكوه، لو أن الشتائم التي أطلقها على الله تعالى، وعلى دينه وأنبيائه، صدر مثلها لأحدكم هل كان يقبل ذلك؟![٤].

---

(١) مجلة البيان، العدد ١٢٧، من مقال الإبراهيم الحقيل.

(٢) عمق الروح وصلب الفكر: سهيلة زين العابدين حماد، ص ٥٨، نقلاً عن مجلة البيان، ص (٩٨ - ٩٩)، عدد ١٢٧.

(٣) مجلة البيان: العدد ١٢٧، ص ٩٩/ إبراهيم الحقيل.

(٤) مجلة المجتمع، العدد ١٣٠٠، سعيد الغامدي.



«ورحلت وحدك يا نزار... ودفنت وحدك يا نزار... ولسوف تبعث والمعاني بين جنات ونار»[1].

●● وسوف نذكر في الفصل القادم الحكم الشرعي من الكتاب والسنة، في أقوال نزار وأمثاله من الحداثيين العرب.

(٢)

أدونيس (علي أحمد سعيد) من رموز الحداثة وكبير الحداثيين العرب:

نشأ هذا الصنم الحداثي على النحلة الباطنية النصيرية، ثم التحق بالشيوعية، وتسمى بأحد أصنام الفينقيين «أدونيس» وانضم في مقتبل عمره إلى الحزب القومي السوري، وتأثر برئيسه النصراني «أنطون سعادة»، ثم مال إلى الماسونية ابنة الصهيونية، وعاش في ظلمات بعضها فوق بعض[2].

● ويشير أدونيس إلى أنه كان قد انضم في مقتبل عمره إلى الحزب القومي السوري، وأنه قرأ «الصراع الفكري في الأدب السوري» لأنطون سعادة، مؤسس الحزب، وأن هذا الكتاب كان صاحب الأثر الأول في أفكاره وتوجهاته[3].

---

(١) الانترنت http://www.wahy.com

(٢) البيان: العدد ١٢٥، المحرم/ ١٤١٩هـ، من مقال لعبد العزيز مصطفى، بعنوان أقلام الردة أما آن لها أن تنكسر.

(٣) ها أنت أيها الوقت: ص (٣، ١٠٧)، ومجلة البيان العدد (٩٠) ص ٦٠/ شهر صفر/ ١٤١٦هـ.



●● ويتميز القوميون السوريون بنبش الماضي السحيق، الذي يمثله «الفينيقيون» بوثنيتهم وخمرهم، وآلهتهم وعاداتهم وتقاليدهم وملذاتهم.

ومن أهم مبادئ هذا الحزب:

- أن فكرة الألوهية اخترعها الإنسان يوم كان رازحاً تحت سلطان الخوف والوهم والخرافة.

- وأن نظرتهم مادية، تنكر وجود الله والبعث والرسالات واليوم الآخر[1].

● وقد ثار أدونيس على كل موروث، ودعا إلى الجنس والتمرد على الذات الإلهية، والإسلام وشرائعه، بكل جرأة وصراحة.

●● يقول في كتابه: (زمن الشعر):

«إن القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاج إليها الجمهور العربي.. هي التي تعارض حياته، أي تصدمه، تخرجه من سباته، وتفرغه من موروثاته... وتقذفه خارج نفسه.. إنها التي تجابه السياسة ومؤسساتها، الدين ومؤسساته وذلك من أجل تهديمها كلها، أي من أجل خلق الإنسان العربي الجديد...

يلزمنا تحطيم الموروث الثابت، وهنا يكمن العدو الأول للثورة»[2].

ويقول في الكتاب نفسه: «الأدب الحق هو الذي يعبر عن الحياة..، ومن أعقد مشكلات الحياة العربية وأكثرها حضوراً وإلحاحاً مشكلة الجنس.. ومن أعقد مشكلاتنا، مشكلة الله، وما يتصل بها مباشرة في الطبيعة وما بعدها، ومن

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٤٠، الندوة العالمية للشباب الإسلامي/ الرياض ط٢/ بتصرف.

(٢) كتاب أدونيس/ زمن الشعر/ ص ٧٦.



أعقد مشكلاتنا أيضاً مشكلة القيم والتراث »[١] .

● ومع كل هذا تتسابق الصحافة ودور النشر، ووسائل الإعلام في عرض كفرياته التي يتفاخر بها، من أن دينه الآن هو الإلحاد المطلق . . والسؤال المحير هو : لماذا كل هذا الإصرار لرفع كل وضيع، وتشريف كل رقيع في الصحافة والإعلام في أكثر بلاد المسلمين؟ ![٢] .

هذا هو أستاذ عباقرة الحداثيين، وأساتذة الأدب والثقافة في المجلات العربية، إلحاد في العقيدة، وإسفاف في الخلق، ورذيلة في الكفر، وكتابه هذا « زمن الشعر »، كله على هذه الوتيرة[٣] .

●● هذا هو (أدونيس)، سامري من نوع جديد، يصوغ للناس عجلاً لغوياً، يريد أن يفتنهم ويسلخهم من عبادة الله، ولا يخفي هذا عنهم، إذ يقول :

« فإذا حطمنا جدار اللغة، استطعنا أن ننفذ منه إلى كل الجدران الأخرى، في نفوس العرب، من مقدسات وأعراف وأخلاق وعقائد، لنحطمها جميعاً، ونستبدل بها أخرى، ورغم هذا الوضوح عند صنم الحداثة، نجد من حولنا أناساً، يرفضون إلا أن يقدسوا عجل هذا « السامري »، ويصرون على أن أدونيس « فنان » حقيقي وأن لا علاقة بين الفكر والفن ! ![٤] .

●● ونختم حديثنا عن أدونيس بذكر لقاء له مع إحدى الفضائيات العربية،

---

(١) السابق / ص ١٥٦ .

(٢) مجلة البيان : عدد ١٢٥، عبد العزيز مصطفى .

(٣) الحداثة في ميزان الإسلام : عوض محمد القرني / ص ١٠٠ .

(٤) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد : د . أحمد بسام ساعي / ص ١١٥ .



فقد طرح كبير الحداثيين العرب، الأفكار التالية:[1]

«الخطاب الديني المعاصر، يحتاج إلى منهجية الشك في كل المسلَّمات سواء تعلقت في الوحي نفسه أو في التاريخ...»

«وعلى الخطاب الديني أن يعرض القرآن نفسه على منتجات العلم الحديث».

«على أن نحذو حذو كل الشكَّاك في هذا الأمر، حتى اليهود اليوم يمارسون منهج الشك بكل مسلَّماتهم، لدرجة أن أحد أشهر مؤرخيهم المعاصرين، شك في أنه أخناتون لأحد الفراعنة»[2].

● هذه نماذج من إفرازات الحداثة الملحدة في بلاد الشام، محادة صريحة لدين الله، ولما هو معلوم من الدين بالضرورة، وحقاً مَنْ أمِنَ العقاب فقد أساء الأدب، وأن حصوننا مهددة من داخلها.. باسم الأدب والفن أو العلمانية والقومية، وشعارات اليسار والاشتراكية، والأيام حبالى، ما ندري ماذا ستلد من شعارات التخريب والدمار.

(١) ليلة الأربعاء في ١٠/ ٤/ ٢٠٠١م.

(٢) مجلة المجتمع: العدد ١٤٥٣، في ١٠/ ربيع الأول/ ١٤٢٢هـ - ٢/ ٦/ ٢٠٠١م.



(٣)

طائفة رموز الحداثة الآخرين : حسين مروة - يوسف الخال - محمود درويش :

لا نريد أن نستقصي إنتاج هؤلاء ، لأن مهمتنا ليست دراسة أدبية مفصلة ، وإنما الهدف هو بيان التخريب الذي ساهم به هؤلاء في أمتهم ، والمساهمة الكبيرة في المؤامرة الكبرى التي حيكت ضد أهل بلاد الشام ، منذ مطلع القرن العشرين ، وما تزال آثارها وخيوطها بادية للعيان .

فمن هؤلاء ، حسين مروّة :

الذي يعتبر المنظر الفكري للحزب الشيوعي اللبناني ، ومن أكثر الحاقدين في نقده للإسلام وكتابه ونبيه ﷺ .

وقد ناقشت مجلة المجتمع الكويتية افتراءاته على الإسلام ، وتفسيره للتاريخ الإسلامي تفسيراًطبقياً شيوعياً في الصفحة الأخيرة من أعدادها (من ٧٧٢ حتى ٧٧٩ » .

قتل في بيروت فرثاه الحداثيون أحر رثاء ، في الصحف والمجلات ، وكأنه أحد القادة الفاتحين[١] .

---

(١) الحداثة في ميزان الإسلام : عوض بن محمد القرني ص (١٠٦ - ١٠٧) .



● ومن أصنام الحداثة البارزين: يوسف الخال:[1]

ولد في طرابلس/ ١٩١٧م، وتخرج من الجامعة الأميريكة في بيروت/ ١٩٤٤م، وسافر إلى الولايات المتحدة، وعاد ليعمل في الجامعة الأميركية، وأسس مجلة «شعر» عام ١٩٥٧م، هو وشرذمة من أصحابه، له عدة مؤلفات منها: الحداثة في الشعر، وعلامات الأزمنة.

ويدعو يوسف الخال إلى اعتماد العامية لغة أدبية، ويزعم أن عدم الأخذ بلغة الكلام «العامية» هو من وحي المستعمرين (وإسرائيل في الطليعة) لتعميق الازدواجية في الفكر العربي[2].

ومما يدل على سوء دخيلته وبعده عن حقيقة ما يتباكى عليه، من حرص على نهضة العرب وتقدمهم، أنه كان يدعو لتأجيل كل نضال ضد إسرائيل، حتى يغير العرب لغتهم من فصحى إلى لهجة محلية[3].

● أمّا موقفه من التراث العربي، فموقف انتقائي... يأخذ منه ما يوافق أفكاره، ويخالف أفكار الأغلبية، فهو يقول:

«أنا معني جداً بتراثي العربي، أرفض منه ما أرفض، وأقبل ما أقبل لجعله أساساً حديثاً صالحاً لبناء حياة أفضل لنا ولأولادنا»[4].

● وذلك ما يوضحه صديقه (أدونيس) إذ يقول:

---

(١) مجلة البيان: د. وليد الطويرقي، العدد (١٧) شعبان ١٤٠٩هـ/ ص (٧٤ - ٧٧).

(٢) ينظر: أسئلة الشعر / ص ١٥٠.

(٣) النهار العربي والدولي، في ٢٥/ ١/ ١٩٨١م.

(٤) مجلة البيان، العدد (١٧)، ص (٧٦)، من مقال للدكتور وليد الطويرقي.



«التراث العربي عنده هو التراث الإنساني كله.. وإن كان يوسف الخال يصدر في شعره عن المسيحية العربية، أو الوثنية العربية، أكثر مما يصدر في شعره عن الإسلامية العربية، فلا يعني ذلك أن شعره غير عربي»[١].

أمّا الشاعر محمود درويش[٢]:

فالإشادة به مستمرة لدى تلامذته من الحداثيين، وهو عضو في الحزب الشيوعي في فلسطين، حزب راكاح الإسرائيلي، عمل في جريدة الاتحاد، ومجلة الجديد، وهما من صحف الحزب الشيوعي في إسرائيل...

ولذلك لا يستغرب منه أن يسطر إلحاده وشيوعيته في شعره إذ يقول: (نامي فعين الله نائمة عنا وأسراب الشحارير»، فهو لا يؤمن بوجود الله، لكنه يستهزئ بصفاقة.

ويقول في ديوانه: «كل قاض كان جزّاراً تدرج في النبوءة والخطيئة،... ومدينة البترول تحجز مقعداً في جنة الرحمن.. دعوا دمي بريد الأنبياء»[٣].

●● وينقل عنه حسين مروّة قوله:[٤]

«صرنا نقرأ مبادئ الماركسية!! التي أشعلتنا حماساً وأملاً، وحين شعرت أني أملك القدرة على أن اكون عضواً في الحزب، دخلته عام/ ١٩٦١م، فتحددت معالم طريقي، وازدادت رؤيتي وضوحاً، وصرت أنظر إلى المستقبل

---

(١) قصائد مختارة: أدونيس/ ص ٢٤٠.

(٢) ينظر: الحداثة في ميزان الإسلام، عوض القرني/ ص (٩٤ – ٩٧).

(٣) ديوان المحاولة رقم (٧) لمحمود درويش.

(٤) دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي: حسين مروّة، ص (٣٦٠).



بثقة، وترك هذا الانتماء آثاراً حاسمة على سلوكي وشعوري»[1].

● ومن اللافت للنظر، أن غالبية رموز الحداثة العربية، هم من أصحاب الفكر الشيوعي، وكلهم من أصحاب التوجه اليساري الملحد.. وإضافة إلى ما مر ذكره:

– فعبد العزيز المقالح من اليمن، مغرم بماو الشيوعي الصيني.

– وعبد الوهاب البياتي، الشاعر العراقي، ماركسي عاش في روسيا سنوات، ويعتبره الحداثيون رائد التجديد في الشعر العربي[2].

●● وقد تقاسم هؤلاء المجرمون فيما بينهم وظائف التخريب، باسم الثقافة تارة والأدب تارة، والفن والإبداع والتحديث تارة أخرى.

●● وبذلك يتضح لنا أن الغرض الأساسي، لهؤلاء جميعاً هو التآمر على الإسلام وأهله، باسم الفن والتجديد...

●●●

---

(١) وسوف نتحدث عن انحرافات محمود درويش السياسية وضلالاته العقدية في المبحث القادم إن شاء الله.

(٢) ينظر: الحداثة في ميزان الإسلام: عوض القرني/ ص (٨٥ – ٩٠).

الفصل الثالث

التوجه اليساري في شعر المقاومة الفلسطينية

من فلسطين الجريحة، من أبنائها اليساريين العاقين، نسمع سب الإله ضمن ما يقدمون من مادة أدبية، يزعمون أنها تغذي الكفاح وتدفع إلى المقاومة، ولكن أية مقاومة؟! وقد تحالفوا مع الحزب الشيوعي اليهودي، وظنوا أن هذا هو طريق النصر[١] .

وتحفل الصحف العربية بإنتاج مجموعة من شعراء فلسطين، شعراء اليسار الشيوعي، وتسبغ عليهم ألفاظ المناضلين والثوريين، وتنتشر دواوينهم في المكتبات تحت هذه المظلة المسمومة . . رغم أن شعر الاتجاه الإسلامي، شعر النكبة والاغتراب المنبثق من عقيدة صافية لا يجد هذا التشجيع، وهو كثير، بالنسبة إلى شعر اليسار والتبعية .

● ولعل أبرز الشعراء اليساريين : محمود درويش وسميح القاسم، وتوفيق زياد، ومنهم الشاعر النصراني معين بسيسو .

ويؤخذ على شعر هؤلاء، انفصالهم عن هوية المقاومة، وتنكرهم لعقيدة الشعب الفلسطيني المسلم، والتماسهم حل قضية فلسطين في مناهج مستوردة

---

(١) ينظر الباب الثاني من هذا الكتاب .



دخيلة[١] .

●● ولعل أبرز انحرافات هؤلاء تتمثل فيما يأتي :

١- الكفر الصريح والجرأة على الذات الإلهية[٢] :

●● وهذه ظاهرة عامة تنتظم شعر المجموعة المذكورة، وباعثها (كما تدل القصائد) و التضجر من الواقع المرير، والضيق لما آلت إليه القضية .

يقول محمود درويش في مطولته « مديح الظل العالي » :

« يا خالقي هذه الساعات من عدم تجلَّ . . . لعل لي رباً لأعبده لعلّ »[٣] .

● ويقول معين بسيسو في قصيدته (إلى سائحة) :

« وآخر ديك قد صاح ذبحناه . . . ولم يبق سوى الله » .

سبحانك اللهم، سبحانك، لا تؤاخذنا بما فعل هؤلاء السفهاء .

●● ويمثل هذا الكفر الصريح، قصيدة لفدوى طوقان، بعنوان « مرثاة إلى نمر » .

تقول : « وأنت يا مَنْ قيل عنه إنه هناك، حان لطيف بالعباد . . أين أنت لا أراك . . . دعني أراك . . . كي أقول إنه هناك »[٤] .

---

(١) ينظر مجلة البيان، العدد (٢ ٥)، ذو الحجة/ ١٤١٢ هـ.

(٢) ينظر: مجلة البيان/ عدد (٥٢)، أحمد بن راشد السعيّد وعددد (١٢٥)، ص ٧٧، لعبد العزيز مصطفى.

(٣) ديوان مديح الظل العالي: بيروت – دار العودة/ ١٩٨٤م للشاعر محمود درويش.

(٤) ديوان فدوى طوقان/ بيروت – دار العودة/ ١٩٨٤م.



●● وفي قصيدة «التعاويذ المضادة للطائرات»، يقول سميح القاسم:
«صوبوا كل التعاويذ بوجه الطائرات... ألبوا الله عليها... واقذفوها بالوصايا العشر.. وآيات السماء البينات»

«إنني أرفض تلك الطقوس الهمجية... تلك المراسيم الغبية إنني أركل قاذورات ذلي وانكساري للتكايا والدراويش...»[١].

● ومن قصيدة لمعين بسيسو بعنوان «عيون مليكة المراكشية».

«والله كان يلعب الشطرنج كل ليلة مع الملائكة...»[٢].

والمتتبع لقصائد هذه المجموعة يجد كماً هائلاً من أشعار الردة، التي ساهمت ولا ريب في تضييع قضية فلسطين، وتأخير مسيرة العودة إليها.

إن البلاد التي فتحت على يد المجاهدين، من أصحاب رسول الله ﷺ، وحررت على يد المجاهدين أيام صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله -، لن يستردها أصحاب ردة من أتباع ماركس ولينين وجيڤارا..

٢ - الافتتان بالرموز الماركسية والمذاهب الهدامة:[٣]

إن هؤلاء الحداثيين الماركسيين، لا يفخرون برموز الجهاد الإسلامي وأبطاله، ولا يستلهمون من قصص كفاحهم شعاعاً يضيء لهم الطريق، فهم يتغنون بأعمال «جيڤارا ولينين»، ويهتفون لآراء «سارتر» وأمثاله من دعاة المذاهب

---

(١) ديوان سميح القاسم - بيروت/ دار العودة/ ١٩٧٣م.

(٢) معين بسيسو، الأعمال الشعرية الكاملة - بيروت - دار العودة/ ١٩٧٩م.

(٣) ينظر مجلة البيان/ العدد (٥٢)، أحمد بن راشد سعيّد، ص (٤٤ - ٤٥)، بعنوان مظاهر الانحراف في شعر المقاومة الفلسطينية.



الهدامة .

– فهذا سميح القاسم يقول في ديوانه : إن ذكرى صلاح الدين لاتثير اعتزازه ، وأن جهاده ضد الصليبيين لا يحرك في نفسه شيئاً . يقول في قصيدة له ، يخاطب فيها الزعيم الكوبي « كاسترو » : « قدماً . . قدماً في هذا الدرب . . يا حاطم أغلال الشعب . . قدم يا أول شعلة . . . يا غوث الجزر المنهوبة . . وعزاء الأمة المنكوبة » .

● ويقف توفيق زياد أمام ضريح لينين خاشعاً ، فينعقد لسانه وتأخذه رهبة الموقف !! لكنه بعد ذلك يصور مشاعره ، وهو ماثل أمام قبر الطاغوت في هذه الكلمات :

« كأنني ولدت من جديد . . . أمامه وقفت خافض الجبين . . ضريحك الذي يعيش في القلوب يا لينين . . . أحسست أنني أنا المعذب الشقي . . . أملك كل شيء . . وأنني أقدر أن أقتحم السماء . . . » .

●● ويؤكد معين بسيسو : « بأن موسكو في القلب » ؟!! .

ونطالع في دواوين شعراء المقاومة هؤلاء كثيراً من هذه القصائد ، التي تتغنى بلينين وكاسترو وسارتر وغيرهم من الأصنام التي هوت ، وتتهاوى إلى مزبلة التاريخ . . [١] .

ويظن هؤلاء أن الاتحاد السوفياتي البائد ، كان نصير حركات التحرر العربية ، وينسون أو يتناسون أن سادتهم هؤلاء هم أول من اعترف بالكيان الصهيوني عام / ١٩٤٨م ، وهم الذين يمدون إسرائيل بمئات الآلاف من الكوادر اليهودية

(١) ينظر البيان ، العدد (٥٢) ص ٤٥ ، أحمد بن راشد بن سعيّد .



النشطة.

●● ويستمر هؤلاء الجاحدون العاقون لتراثهم، وماضي أجدادهم العريق، ليفتخروا بالشيوعية ورموزها وشعاراتها.

- يقول توفيق زياد من قصيدة له بعنوان «شيوعيون»:

«قالوا شيوعيون. قلت أُجلّهم

حُمْراً بعزمهم الشعوب تحرر

قالوا: شيوعيون، قلت منية

موقوتة للظالمين تُقدَّر

يا سائلي لا تستتب أمورنا

حتى يظلّلنا اللواء الأحمر

«الديوان لتوفيق زياد».

● وقصيدة بعنوان «المطر الأول» يعتز محمود درويش فيها بالمنجل شعار الشيوعيين فيقول: «... نعم عرب ولا نخجل.. ونعرف كيف نمسك قبضة المنجل»!!.

●● إنه الارتكاس والمسخ الذي أصاب هؤلاء المرتدين المارقين، فلا دين يشدهم، ولا وطنية يحنّون إليها»، «ولكننا نطالع في شعرهم كثيراً من الاستعارات والألفاظ التي تنبعث منها رائحة اليسار مثل «الرفاق والعمال والثوار والجياع والكادحين..، والرجعية والأممية وغيرها».

وكثيراً ما يربط هؤلاء نضال الشعب الفلسطيني، ونضال شعوب المعسكر الاشتراكي السابق، بالاتحاد السوفييتي الماركسي، وقرروا أن هدفهم واحد، هو: القضاء على «الامبريالية»[1].

وقد خُذل العرب مراراً، في حروبهم مع إسرائيل من قبل سادتهم هؤلاء .. إلا أنها التبعية العمياء، في وقت سارت فيه قطعان اليسار العربي وراء آمال من السراب الخادع...

●●●

٣- التنكر للتاريخ الإسلامي ورموزه:

حيث ينسلخ هؤلاء من ماضٍ عريق لأمتهم، ويسيرون في آخر الركب المتهالك الكافر، والذي انهار على رؤوس أهاليه وحكوماته، فقراً ودماراً وتخلفاً ورغم ذلك ما يزال هؤلاء، على انحرافهم وخداعهم.

● فهذا محمود درويش يتمنى كتابة تاريخه وحاضره، «بالفأس والمنجل» فيقول في قصيدة له:[2]

«يا يداً تعزف، يا للعار خمسين وتر... ليتني أكتب بالمنجل تاريخي... وبالفأس حياتي...»

●● ونجد الغمز والطعن والتهكم بالتاريخ الإسلامي، والحاضر المتصل به، نجد ذلك عند سميح القاسم إذ يقول:

---

(١) مجلة البيان / العدد (٥٢)، ص ٤٧. ودواوين الشعراء المشار إليها.

(٢) ديوان محمود درويش: قصيدته «مغني الدم».



«أبي.. لا كتبنا الملقاة تحت نعال هولاكو... ولا خيل الصليبيين ولا ذكرى صلاح الدين... ولا جندينا المجهول في حطين... تشد خطاي للأنقاض في المنفى»[1].

●● فبطولات المسلمين، وملاحم الجهاد الفذ التي سطروها، والعقيدة الصلبة التي ربتهم وعلّت شانهم... كل ذلك لا يحفز للتحرير، ولا يشد الخُطا إلى المنفى...

إن الفلاحة والعمل عند سميح القاسم، والتوجه إلى المستقبل وإهمال الماضي بكل شموخه وجلاله، والصورة السمجة الشوهاء التي رسمتها الاشتراكية البائدة عند زملائه، هي التي تشدهم إليها[2].

● بقي أن نشير بأن هذه العصابة من الحداثيين المرتدين، لا تمثل هم الشعب الفلسطيني المسلم، ولا تمثل انتفاضة الجهاد الإسلامي الأصيل، فهناك دواوين من الشعر، شعر النكبة، تطالب بالعودة إلى ماضي الأمة العريق، وسحق كل تيار مارق دخيل.

إنه الشعر الذي يحاكي حال المسلم الفلسطيني، الملتزم بدينه المباهي بأصالته وتاريخه، وفيما يأتي ما يمثل حال الشاعر المسلم يوسف العظم عندما يقول:[3]

«أهيم براية اليرموك أهوى أخت حطين»

---

(١) ديوان سميح القاسم من قصيدته «الميلاد».

(٢) مجلة البيان/ عدد ٥٢/ ص (٤٩ - ٥٠).

(٣) الشاعر يوسف العظم/ مجلة البيان/ ص ٥٠.



« وأرفع راية الأقصى ورب البيت يحميني »

« سلاحي النور في قلبي ورشاشي وسكيني »

« ولكن دون أوهام لجيڤارا ولينين »

« ففكر الشرق يتعسني وفكر الغرب يشقيني »

« وآمنا برب البيت والزيتون والتين »

« ليشمخ شعبنا حراً عزيزاً في فلسطين »

●●●

● هذا النداء من رحاب الأقصى وراية اليرموك وحطين هو شعار أمتنا، وليس نداء الأشقياء ولا السكيرين:

وقد عهدنا أخا الدنيا وعابدها

مستكبراً وهو عند الروع رعديد

فهل يحرر أوطاناً وينقذها من المهالك سكير وعربيدُ؟![1].

●●●

(١) وقفة مع العيد: للشاعر الفلسطيني أحمد محمد الصديق. رينظر: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد: د. أحمد بسام ساعي ص (٨٦).

الفصل الرابع

وقفات مع أدب الردة والمجون

(١)

معنى الردة وحكمها في الإسلام:

لقد كثر إنتاج الشعراد المنحرفين في الخروج على الإسلام، مندفعين وراء تيارات العلمانية وحركات اليسار والاشتراكية، فلوثوا الأجواء في ديار المسلمين، فكان الغثيان في الفكر والشعر والأدب، وقد تتلمذ على هذا الأدب أجيال وأجيال.

● « والأصل أن المجتمع الإسلامي، مجتمع يقوم على صفاء العقيدة، وسمو الأخلاق، فهي أجمل وأغلى ما في الحياة، فكيف يسمح لهؤلاء المنحرفين عقدياً، المشوهين خلقياً، أن ينشروا هذا الهراء باسم « القيم الجمالية »، ويتخيلونه جمالاً شأن المخمورين ومدمني المخدرات؟! ».

فللأديب المسلم غايته النبيلة، وهدفه الواضح، « في تغيير الحياة وتطويرها وترقيتها إلى المستوى الأصلح والأجمل، عن طريق بذر العقيدة وترسيخها في النفوس، والبعد عن الرذيلة والقبح بكل أشكاله »[١].

(١) من قضايا الأدب الإسلامي: د. صالح آدم بيلو / دار المنارة للنشر – جدة – ص (٦٦ ، ٦٨ ، ٧٣) بإيجاز.



●● انظر إلى الآفاق الرفيعة التي يتطلع إليها الشاعر المسلم صاحب العقيدة الصافية والأهداف السامية:

انظر إليه حينما يقول:

فتعرف يا ابن أمي في العقيدة.

يا أخا الإسلام في الأرض المديدة.

وتجرد لانطلاقات بعيدة.

وتوقعها جراحات جديدة.

وتساءل .. غنّها اليوم قصيدة.

ما حياة المرء من غير عقيدة؟!

ما حياة دون أرواح شهيدة؟!

وكفاح وصراعات عنيدة؟!

فانطلق وامض بإيمان وثيق[١].

هذه هي مهمة الشاعر المسلم في الحياة، دعوة إلى أخوة العقيدة، وانطلاق من جواذب الأرض وسمو إلى آفاق الشهادة، والمضي في طريق الإيمان الوثيق.

أما أدب الردة والغثاثة، أدب الجنس والفراش والطين والأوحال، فهو رجس غريب، ودياثة مستوردة، يجب أن يوضع لها حد.

●● (ولا بد هنا من بيان، أن لكل أمة جذورها المعرفية وقواعدها العقدية

---

(١) ديوان الزيتون: للدكتور صالح آدم بيلو، الصادر عام/ ١٩٦٢م، عن مطبعة مخيمر بالقاهرة.

ومنطلقاتها، وأصولها التاريخية، ويعتبر الخارج عن هذه القضايا، خائناً لأمته، هادماً لطموحاته ساعياً للإضرار بها.

فكيف يسمح بالهجوم على دين الأمة وشريعتها، والاستهزاء بالله ورسوله وأركان دينه؟!»[1].

● والحقيقة أن ما يقوم به هؤلاء الحداثيون واليساريون، وما نقلناه من أقوالهم، ما هو إلا ردة واضحة وكفر صريح، ذلك أن الردة هي الرجوع عن الإسلام، إما باعتقاد أو قول أو فعل، وحكم المرتد القتل.

– يقول ابن تيمية – رحمه الله –: «فإنه لو لم يقتل ذلك «المرتد»، لكان الداخل في الدين، يخرج منه «متى شاء»، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين»[2].

– قال عليه الصلاة والسلام: «من بدّل دينه فاقتلوه»[3].

أي من بدل دين الإسلام بدين غيره، لأن الدين هو الإسلام[4].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

● والغريب أن هذه الردة الجديدة تُوصل وتنتشر في الآفاق عبر ملاحق

---

(١) مجلة المجتمع، العدد «١٣٠٠» سعيد بن ناصر الغامدي.

(٢) الفتاوى لابن تيمية: ج٢٠/ ص ١٠٢.

(٣) ينظر فتح الباري، ج١٣/ ٢٧٢.

(٤) ينظر: الردة مفهومها وأسبابها،د. عبد العزيز آل عبد اللطيف، مقال في مجلة البيان، العدد (١٢٥) ص ٦٠.



أدبية، ومجلات متخصصة، ومن خلال ندوات ومحاضرات ومهرجانات»[١].

●● والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على كفر المستهزئ بالله وبرسله الكرام، أو بشيء من دينه كثيرة منها[٢]:

● قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال ابن تيمية في معرض هذه الآية ودلالتها:

«إن الله قرن أذى رسوله بأذاه... ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم، وأن الله لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً»[٣].

●● وقد روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله». فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم» قال: ائذن لي فلأقل، قال: قل»[٤].

قال الإمام النووي: «قال الإمام المازني: إنما قتله كذلك، لأنه نقض عهد النبي ﷺ وهجاه وسبّه»[٥].

---

(١) ينظر: السيف البتار في نحر الشيطان نزار، لممدوح السهلي، عن الانترنت http://www.way.com

(٢) المرجع السابق.

(٣) الصارم المسلول/ ص (٤٠ – ٤١).

(٤) رواه البخاري في كتاب الجهاد، حديث (٢٧٦٧). ومسلم: كتاب الجهاد والسير، حديث (١٨٠) واللفظ له.

(٥) شرح مسلم للنووي: ١٢/ ٤٠٣.



●● وقد أمر رسول الله : بقتل ابن خطل، عند فتح مكة رغم أنه كان متعلقاً بأستار الكعبة، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام البخاري (كتاب المغازي حديث ٤٠٣٥) .

- قال ابن تيمية في شرحه لهذا الحديث : « فثبت أن هذا التغليظ في قتله، إنما كان لأجل السب والهجاء، ... وقد استد بقصة ابن خطل طائفة من الفقهاء على أن من سب النبي ﷺ من المسلمين يقتل - وإن أسلم - حداً »

● وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : « من سب الله ورسوله أو سب أحداً من الأنبياء فاقتلوه »(١) .

● قال ابن تيمية : « التعريض بسب الله وسب رسوله ردة، وهو موجب للقتل كالتصريح » وقال - رحمه الله - : « فإنْ نظم ذلك شعراً، كان أبلغ في الشتم، فإن الشعر يحفظ ويروى، وهو الهجاء... فإنْ غُنِّي به بين ملأ من الناس، فهو الذي تفاقم أمره »(٢) .

● وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : « كل من ذكر شيئاً يعرّض به في الرب تبارك وتعالى، فعليه القتل مسلماً كان أو كافراً، هذا مذهب أهل المدينة »(٣) .

● وقال الشيخ ابن باز - رحمه الله - : « سبّ الدين والرب جل وعلا، كل ذلك من أعظم أنواع الكفر بإجماع أهل العلم »(٤) .

---

(١) الصارم المسلول / ص ١٣٦، وزاد المعاد : ج٥ / ص ٦٠ .

(٢) الصارم المسلول : ص (٥١٢، ٥٤١) .

(٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد / ج٢ / ص ٩٣ .

(٤) مجموعة فتاوى الشيخ ابن باز، ج١ / ص ٤٤٢ .



● وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -: «الاستهزاء بهما، كفر مخرج من الملة»[1].

●● لقد أساء الحداثيون والشيوعيون ومن على شاكلتهم الأدب، وخرجوا على الإسلام، لأن القوانين الوضعية السائدة في ديار المسلمين تحميهم، بينما تشدد هذه القوانين على مَنْ يتعرض لذات رئيس الدولة، أو بعض المقربين إليه، وما شابه ذلك.

مع أن الدول الشيوعية أو الليبرالية تعتبر الخروج على مذهب الدولة جريمة يعاقب عليها المواطنون في تلك الدول.

(٢)

وقفة مع أدب المجون والانحلال:

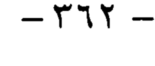
لقد ركز أكثر شعراء الحداثة على ما يسمى بتحرير المرأة، ووصف مفاتنها والحديث عن الشهوات العارمة، والأجساد العارية، فأفسدوا الشبان والشابات وكان على رأس هؤلاء نزار القباني كما لاحظنا ذلك...

● «ولا يستطيع أي مفكر أن ينكردور الأدب «المكشوف» في إفساد الأخلاق وانحراف العواطف.

فالوصف الدقيق للجرائم الجنسية، وإحاطتها بجو من اللذة المجنونة والشهوات الصارخة، والإلحاح في ذلك إلحاحاً مسرفاً، قد خرج بها عن دائرة الفن، ولم يبق فيها غير الإثارة البشعة، لتجسم المشكلة تجسيماً مبالغاً فيه،

---

(١) مجموعة فتاوى الشيخ ابن عثيمين، ج٢/ ص ٥٣١.





فأوقعت كثيراً من الأغرار في حمأة الخيالات الجنسية المؤرقة » .

« وقد تمادى كتاب الجنس في إسفافهم، فتناولوا العلاقات الزوجية والعائلية بمزيد من الاستهتار، حتى أنهم يكتبون عن الخيانات الزوجية، والعلاقات غير الشرعية، واللقطاء وقضايا العشاق . . . » .

« يكتبون عن ذلك وهم يُشعرون القارئ بالتعاطف مع الذين يأثمون، وقد لا يكون لإثمهم مبرر سوى مجرد إشباع الغريزة عن أي طريق »[١] .

●● فالمسلم عف اللسان، عف القلم، عف اليد، والمسلم يعلم (أن العين تزني، واليد تزني . . . »[٢] .

● نريد للأديب أن يَسْلم قلمه من البذاءة، وينجو من وصمة الحيوانية والإثارة المدمرة . . .

نريد له أن يربأ بنفسه عن تقليد المجتمعات الغربية المتفسخة التي شاع فيها أدب الجنس، ثم وجد لديها قبولاً واستحساناً في غالب الأحيان .

تلك مجتمعات غريبة علينا، لها ظروف خلقية ودينية، تختلف عن ظروفنا[٣] .

●● وقد ندد الشيخ علي الطنطاوي، بهذا الأدب المكشوف الهابط، ندد « بمن يلهو بالغافلات من بنات الناس، يستبيح منهن مواطن الجمال الظاهر

---

(١) الإسلامية والمذاهب الأدبية :د. نجيب الكيلاني ص (٥٦ – ٥٧)، مؤسسة الرسالة / بيروت / ط٢ / ١٤٠١هـ.

(٢) الإسلامية والمذاهب الأدبيج : د. نجيب الكيلان / ص (٥٧ – ٥٨) .

(٣) المرجع السابق / ص ٦١ ، بتصرف يسير.



والخفي، ثم لا يجد في نفسه حياء يحمله على أن يسكت، ولا يلقى في الناس قوة تضطره أن يكتم، فلا يكفيه إنْ جنى حتى يصف جناياته مفاخراً بها ذاكراً تفاصيلها في شعر جميل - فيما يبدو للناس -، فيفتن الناس جمالُ شعره، وتعمى عيونهم عما صنع بأعراض بناتهم.

ثم يأتي مَنْ فقد تقوى المؤمن، وغيرة العربي، ونخوة الرجل فيثني عليه، ويدافع عنه، ويشتم من أجله من يقول له كلمة الحق، ويعلن فيه حكم الله» . ثم يقول مستغرباً:

«فما الذي أصابنا حتى اختلطت الأحكام، واضطربت الموازين، وهبط العالي كما يهبط الذهب إلى قعر الماء، وعلا الحقير كما تعلو البعرة إلى السطح؟!! . أهذا هو المسخ الذي كتبه الله على من كان قبلنا؟!» .

كان بشار بن برد فاسقاً وقحاً، لا يستحي أن يعلن ما فعل، وكان أبو نواس أفسق وأوقح..

ولكن ما عرف تاريخ الأدب العربي، مَنْ غاص في حمأة الرذيلة وغطس برأسه في أنجاسها، (مثل هؤلاء من شعراء المجون المعاصرين»[(١)] .

● «وإن هذا الفن الساقط، نَظْم بلا مضمون، بل هو خواء وفراغ «فالأكواب الفارغة لا تروي ظمأ، والثمرة العفنة لا تستسيغها النفس، والعشوائية في أي شيء سذاجة وجنون» .

«فلا بد للفن إذن من مضمون، ودعامة هذا المضمون أفكار وفلسفات مستمدة من واقع البشر، الذي يتطابق حتماً مع واقعية الدين النظيف المبرأ من

(١) ذكريات الطنطاوي: ج٢/ ص (٢٠٦ - ٢٠٧).



الشوائب، وهوى أصحاب الفكر المنحرف»[1].

●● للشاعر المسلم مهمة سامية في الحياة، انظر إليه إذ يقول:[2]

لا أقبل الأشعار نبع غوايـــــة   وإثارة.. لغرائــــــز الإنسانِ

فالشعر صوتُ الثائريـن على الخنا   وعلى الهوى... وتسلّط الطغيانِ

والشـــعر مشكاةٌ تنير نفوســنا   ودروبنا ... بوميضـــها الفتانِ

هذه هي مهمة الشاعر المسلم، بعيداً عن السقوط في أوحال الجنس المهين، والأدب الساقط.

«والأديب المسلم لا يمكن أن يحس - وهو الذي يتنفس بالإسلام - أن اللحظات الوجدانية التي يعيشها بصدق هي خارج نطاق الإسلام»[3].

●●●

(١) الإسلامية والمذاهب الأدبية: د. نجيب الكيلاني/ ص ١٣.

(٢) للشاعر زهير المزوّق: في فاتحة مجموعته الشعرية «هذه الألحان إليك».

(٣) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: د. عبد الباسط بدر/ ص ٤٧.

الباب السادس

جماعة الأحباش في بلاد الشام

دعاة فتنة وضلال

الفصل الأول: عبد الله الحبشي النشأة والتأسيس

- نشأة الحبشي وإثارته للفتن في كل مكان.

- بعض أساليبه في التضليل.

- أساليب تلامذة الحبشي في الافتراء والتزوير.

- أبرز كتب الحبشي وإصداراته.

الفصل الثاني: الانحرافات العقدية عند الحبشي وأتباعه:

١- انحرافهم في صفات الله جل وعلا.

٢- مفهوم التوحيد عند الأحباش.

٣- عقيدتهم في أصحاب رسول الله ﷺ.

٤- انسياق الحبشي مع الفرق الضالة.

الفصل الثالث: الشذوذ في الفتاوى والانحراف في السلوك.

المبحث الأول: نماذج من الفقه الشاذ عند الأحباش.

المبحث الثاني : شذوذات الحبشي في قضايا المرأة .

الفصل الرابع: المؤسسات والأنشطة المشبوهة عند الأحباش .

١- المؤسسات والأنشطة المختلفة :

جمعية المشاريع الخيرية - المدارس - وسائل الإعلام - الأندية وفرق الغناء .

٢- نشاطهم في المساجد وإثارة الشغب فيها .

٣- نشاطهم خارج لبنان : في دول أوربا وسوريا والأردن وغيرها .

٤- أقوال العلماء في جماعة الأحباش .

تمهيد:

الأحباش فرقة تنسب إلى الشيخ عبد الله الحبشي الهرري، ظهرت في السنوات الأخيرة في لبنان، وقد جاء الحبشي من الحبشة بعد أن قام بفتنة في «هرر» التي سببت أذى كبيراً لأهل السنة هناك، متعاوناً مع نظام «هيلا سيلاسي» الصليبي الحقود.

وقد جاء إلى سوريا عام/ ١٩٥٠م، حيث بين الشيخ ناصر الألباني انحرافاته، فاضطر إلى مغادرة سوريا، والنزوح إلى لبنان مستغلاً الحرب الأهلية فيه.

● وهناك بدأ ينشر معتقداته الفاسدة وفتاواه الشاذة، متعاوناً مع الخرافيين ومريدي الرخص في الدين، والتحلل من روابط الإسلام وضوابط شريعته.

● وقد أحيا الحبشي أفكار عدد من الفرق الضالة، فتبنى عقائد المعتزلة في الصفات وشتم الصحابة، وسار على طريقة الخوارج في تكفير علماء المسلمين المشهود لهم بالاستقامة والعدل، كابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والذهبي، أما المعاصرون فقد صب عليهم جام السب والشتم والكفير، كسيد قطب، والسيد سابق، والشيخ ناصر الدين الألباني - رحمهم الله - جميعاً.

وقد أثار الحبشي وتلامذته الشغب والإرهاب ضد أهل السنة في المساجد وفي كل مكان، واعتمدوا على السلاح واتخذوا مظلة من سماح أولي الأمر لهم بذلك...

كما نشروا الأخلاق المنحلة، والأساليب الملتوية في لباس الحبشيات وزينتهن واختلاطهن بالرجال الأجانب.



● وإيضاحاً لعقيدة الأحباش وضلالهم، أمام الشباب الناشئ، كتبت هذا الفصل، لأن هذه الأفكار المنحرفة، والتيارات الضالة، تساهم في المؤامرة الضخمة التي تدبَّر لبلاد الشام.

●●●

الفصل الأول

عبد الله الحبشي: النشأة والتأسيس

ظهر عبد الله الحبشي الهرري في السنوات الأخيرة في لبنان، ونسبت إليه طائفة سميت باسمه «جماعة الأحباش»، وقد تبنت هذه الطائفة عقائد منحرفة، خالفت فيها كثيراً من اعتقادات أهل السنة.

كما أنها سلكت مسالك شاذة في الفقه والاستنباط، والسلوك الإسلامي القويم.

ولهم جمعية اسمها «جمعية المشاريع الخيرية»، ومجلة شهرية تسمى «منار الهدى» تصدر في لبنان[1].

● كان عبد الله بن محمد الهرري الحبشي شخصية غامضة، لم تكن معروفة في العالم الإسلامي، إلا بعد مساهمته في فتنة شديدة هي «فتنة كُلُب» كان قد أشعلها في أرض هرر[2].

●● وقد حارب الحبشي أهل السنة هناك، بإيعاز من أديس أبابا، حيث تعاون مع صهر حاكم هرر «صهر هيلا سيلاسي» عدو المسلمين الأول هناك.

---

(١) ينظر مجلة البيان، العدد (٦٢) شوال/ ١٤١٣هـ، مقال: بعنوان« الأحباش دعوة أم فتنة»، لمحمد الشيخ عثمان وهو من الصومال، ومطَّلع على تاريخ الحبشي وفتنته/ ص (١١٠ - ١١١).

(٢) المرجع السابق.



وقد سبّب بعمله هذا إغلاق مدارس تحفيظ القرآن هناك، وعرف بسبب ذلك «بشيخ الفتنة»، ثم هرب من الحبشة إلى الشام، وأسس مذهبه في لبنان، مستغلاً أزمة لبنان الأخيرة، والاضطرابات الأهلية فيها.

كما أنه تسبب في سجن المشايخ والدعاة ونفيهم خارج بلادهم[1].

● وكان عبد الله الحبشي، قد بدأ ينشر عقيدته الفاسدة في سوريا، عام/ ١٩٥٠م، حيث وجد قبولاً عند بعض مشايخ الطرق الصوفية.

وقد تصدى للحبشي وأفكاره المنحرفة، الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله -، ولما لم يجد الحبشي في سوريا أرضاً خصبة لترويج عقيدته الفاسدة، وأفكاره الضالة، انتقل إلى لبنان، واستغل ظروف البلاد خلال الحرب الأهلية الأخيرة، بعد عام/ ١٩٧٥م واتخذ من بيروت مقراً له، ثم صار يتردد على مدينة طرابلس الشام، ويغشى مجالس الناس في المقاهي، فيؤول لهم الرؤى والأحلام، ويروي لهم القصص الغريبة، فاجتذبهم من هذا الباب...

وقد كثر حوله مريدو التصوف والخرافات، ومريدو الانحلال الأخلاقي، إذ يجدون بغيتهم عنده، لتساهل الشيخ في كثير من قضايا الإسلام وأصوله[2].

● وقد أفتى الشيخ ابن باز - رحمه الله - بضلال الحبشي وفرقته، كما صدرت الفتاوى العديدة، تحذر من انحرافات الأحباش وزيغ عقيدتهم، من قبل هيئة كبار العلماء في السعودية، وصدرت الكتب في كشف زيغهم

(١) ينظر: الحبشي شذوذه وأخطاؤه، الشيخ عبد الرحمن دمشقية ص (٧ - ٩)، الطبعة الثالثة/ ١٤١٧هـ.

(٢) ينظر مجلة البيان، العدد (١١٠) ص ٦٩/ مقال لعبد الرحمن بن عبد الله الحجاج، بعنوان: «جماعة الأحباش حقيقتهم وآراؤهم».



وضلالهم[1] .

●● والحقيقة أن الحبشي وتلامذته يعتبرون شركة تنقيب عن الزلات والهفوات والأقوال المرجوحة، والفتاوى الشاذة، يستقطب بها أناساً، لا يطلبون ورعاً، بل رخصاً يوفقون فيها بين الدين وأهوائهم، ومَنْ حمل شاذ العلماء حمل شراً كبيراً.

بعض أساليب الحبشي في التضليل:

● يأتي الحبشي بالفتوى الشاذة يظلّلها لك بـ «قال محمد بن الحسن، قال عطاء، قال أحمد، قال سفيان، يسندها لك حتى تستسيغها ويكمم بأسانيده المظلمة أفواه المنكرين والمعترضين[2] .

● فالحبشي قد يأتي بفتوى خاطئة أو رأي مرجوح، زلت به قدم عالم فاضل، ثم يجمع إليها العديد من الزلات، بعد أن يكون قد أمضى عمره في جمعها وترتيبها، يستجلب بها أصحاب نفوس مريضة وهوى مستحكم، يريدون الحق، ولكن تبعاً لأهوائهم.

●● فمن كان يريد فتوى ترخص له تعطيل الزكاة، يجد بغيته عند الحبشي، ومن كانت نفسه تميل إلى أخذ الربا وجمع الغنائم أو المقامرة بالأموال، يجد بغيته عند الحبشي، ومن كانت تريد فتوى ترخص لها الخروج متعطرة متزينة متكشفة، تجد بغيتها عند الحبشي[3] .

---

(١) سوف نورد نماذج من هذه الفتاوى في آخر الفصل الرابع من هذا الكتاب، ص ٤٤٦ .

(٢) ينظر موسوعة أهل السنة: ج١ / ص ٧، عبد الرحمن دمشقية/ الطبعة الأولى – مكتبة الشقيري، الرياض/ ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٣) المرجع السابق/ ص ٩، الجزء الأول.



●● الحبشي لا يقول لك: الزكاة حرام، الربا حلال، اليانصيب حلال، إذ لو فعل ذلك لكان غبياً، ساعد على كشف أمره، ولكن طريق الشبهات طريق ماكرة، تعود بالناس إلى الإباحة بعد التحريم.

يأتي بأحاديث وآثار لا يُعرف لها صحة، ويبني عليها عقيدة، ويحتج لها بأسانيد فاسدة، فيزعم مثلاً: أن الله تعالى، قال للملائكة: «اسكتوا يا ملائكتي» «وأنه أمر جبريل بتوزيع أقداح الشراب بمناسبة مولد نبيه ﷺ»[1].

● بعض أساليب تلامذة الحبشي في الافتراء والتزوير:

● ولأتباع الحبشي حذق في ترتيب المقدمات الفاسدة، وتلبيس الدلائل والشواهد الباطلة في إثبات مقاصدهم، فهم يكثرون من الافتراء على الخصم، وقد يبترون النصوص أو ينقلونها إلى المعنى الذي يفهمونه، ولذلك لا يحل لأحد أن يأخذ كلامهم ونصوصهم حتى يتحقق منها، فإن للنصوص لصوصاً محترفين.

وقد كانوا رسل فتنة، أيّدَ بهم الحبشي ضرب كل مرجعية إسلامية، وتوجيه الإهانات إلى كل طالب علم نشيط، تتوجه إليه قلوب المسلمين، ومن ثم لا يتورعون عن قذفه بشتى الرذائل حتى يسقط في أعين العامة، ولا يبقى للصحوة إلا أئمة ضلال، أو غيارى لا علم لهم، فتتخبط مسيرة الأمة بعد ضرب مرجعيتها، وهذه مؤامرة خطيرة، ولعبة قذرة، جند بها عبد الله الحبشي تلامذته لضرب أهل السنة، وهو يضمن بذلك بقاء عامة المسلمين حيارى لا قيادة علمية تقودهم على هدي الكتاب والسنة، وفي ذلك خدمة جليلة لأعداء

---

(١) موسوعة أهل السنة / ص ٩، وينظر كتاب الحبشي: المولد الشريف ص (١٨).



المسلمين[١].

● ولذلك فالأحباش يستخدمون العنف في نشر مذهبه، ويثيرون التشويش في المساجد، ويفتعلون المشكلات في بيوت الله، ضد الأئمة والخُطباء.

يقول عبد الله محمد الشامي: «فما أكثر ما سمعته من كثير من عوام الناس حول هذه القضية، كقولهم: «إذا كان هذا هو الدين فإني لا أريده».

وقول الأكثر التزاماً: «لقد أصبحت المساجد موضع الجدل والخصام والعداوة، لذا فإني سأكتفي بالصلوات في بيتي، ولن أقرب هذه المساجد ثانية..»[٢].

● ومن سماتهم المعروفة: تكفيرهم لبعض الصحابة، كمعاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه –: جرياً على طريقة الرافضة، كما أن الحبشي يفسّق أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها[٣].

● كما أن الأحباش لا يتورعون عن نهش لحوم العلماء وتكفيرهم، وخاصة علماء الأمة الذين يُشهد لهم بالعدالة والاستقامة، كابن تيمية وابن قيم الجوزية، والإمام الذهبي، والشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد كفروا أيضاً عدداً من العلماء المعاصرين، كالأستاذ سيد قطب، والشيخ الألباني وآخرين، بينما نجد أن الحبشي يمدح «ابن عربي» الصوفي

---

(١) ينظر: الحبشي شذوذه وأخطاؤه، عبد الرحمن دمشقية/ ص ٣٢.

(٢) الرد على عبد الله الحبشي: عبد الله محمد الشامي/ ص ٢/ دار الاطلاع، وسوف نتحدث عن إثارتهم للشغب في المساجد في الفصول القادمة.

(٣) كتاب الدليل القويم للحبشي، ص ٢١٤.



الحلولي، وغيره ممن عرف بالدجل والشعوذة[1].

●●●

● وفيما يلي كلمات وجهها أحد الكتاب إلى الشيخ الحبشي، يذكر له فيها الانحرافات الخطيرة التي يدعو إليها، ويسأله عن الدوافع التي دفعته إلى اتباعها، يقول فيها:[2]

«لست أدري ما الذي يدفعك لإحياء وابتعاث قضية المعتزلة الذين ماتوا، وماتت عقائدهم الفاسدة معهم... فالمعتزلة ولوا، وولت معهم عقائدهم، بعد أن أفحمهم أهل السنة، ونقدوا مبادئهم من أساسها...»

«فهل من الحكمة أن تجمع عندك اللحام والخباز والنجار وغيرهم من عوام الناس، فتبدؤهم بحديث العرض والجوهر، وحول نظرية الكسب وخلق أفعال العباد؟!»[3].

«لم تكتف بذلك، بل ربيت أتباعك على التكلف والتحايل على أوامر الله ونواهيه، فترك العديد منهم صلاة الجمعة بعد أكلهم الثوم والبصل، وتكلفوا في إخراج أحرف الصفير خلال الصلوات وتلاوة القرآن..».

«وتزعم أنك على مذهب الأشعري في الصفات، وقد خالفته في تأويلها، وفي ترضيه عن كل الصحابة، بما فيهم معاوية - رضي الله عنه -».

---

(١) الدليل القويم، ،ص ١٥٢، ومجلة البيان: العدد (٦٢) ص (١١٢) وسوف نفصل القول في قضية التكفير عند الأحباش في الفصل الثاني القادم.

(٢) ينظر كتاب: الرد على عبد الله الحبشي، للشيخ عبد الله محمد الشامي ص (٩).

(٣) الرد على عبد الله الحبشي: عبد الله محمد الشامي/ ص (٤ - ٥)



«لقد سببت الفرقة بين المسلمين.. فالحبشية لا ترتضي زوجاً إلا أن يكون حبشياً!! والعكس كذلك، وكل ما سوى عقيدة الأحباش باطلة عندهم، لذلك فما زال أتباعك حتى اليوم ينهشون في لحوم العلماء، قديمهم وحديثهم - تكفيراً وتفسيقاً وقلما سلم عالم من هؤلاء العلماء»[1].

«حقاً إنها نكبة جديدة ومأساة عظيمة، تضاف إلى تلك المآسي التي تعرض لها المسلمون في لبنان من مؤامرات جماعية، وحرب شنيعة للإجهاز على عقيدتهم، فهل كان مسلمو لبنان وغيرهم في حاجة إلى الفلسفات التي تعلمهم إياها؟!.

لقد دخلت هذه الفلسفات الدين قديماً، وأحدثت فيه انقساماً واسعاً بسبب فلسفة اليونان، حتى تحول الانقسام إلى: جهمي وقرمطي وصوفي ومعتزلي، وشيعي وإسماعيلي.

إن علوم أرسطو وأفلاطون تفرق ولا تجمع، وحالة المسلمين في لبنان، تتطلب شيئاً يجمع، لا شيئاً يفرق»[2].

● حقاً إن فتنة الأحباش فتنة خطيرة، تهدم حصون الأمة من داخلها، وتجذب إليها أخلاطاً من المسلمين بعد أن ضعفت عقيدتهم، ومالوا إلى الانغماس في مفاتن الحضارة الجديدة وأوحالها...

ومما أعانهم على غيهم، رغبة الظلمة من العلمانيين والطواغيت في انزلاق الأمة إلى مهاوي الانحلال والرذيلة.

---

(١) المرجع السابق/ ص (٨،٦)/ لعبد الله الشامي.

(٢) الرد على عبد الله الحبشي/ عبد الله محمد الشامي/ ص ٩.





●● وقد صدرت للحبشي كتب عديدة منها:[1]

١- المقالات السنيّة في كشف ضلالات ابن تيمية.

٢- التعقيب الحثيث: رد فيه على الألباني، وكفّره لمجرد فتوى الألباني ببدعة التسبيح بالمسبحة.

٣- النهج السوي في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مولوي.

٤- الدليل القويم على الصراط المستقيم: جرى فيه على طريقة الجهمية والمعتزلة.

٥- بغية الطالب في معرفة العلم الديني الواجب: ويشتمل الكتاب على عجائب وشواذ، مما سيمر بعضه في الأبحاث القادمة.

٦- صريح البيان: وهو كتاب مليء بشواذ الفتاوى والأقوال وسب الصحابة.

٧- كتاب المولد النبوي: وفيه أساطير وخرافات لا يصدقها عاقل.

- ولتلاميذه بعض الكتب على نفس المنهج.

●●●

---

(١) ينظر: الحبشي شذوذه وأخطاؤه، لعبد الرحمن دمشقية/ ص (٣٧ - ٤٠).

الفصل الثاني

الانحرافات العقدية عند الحبشي وأتباعه

عقيدة الأحباش عقيدة فاسدة، مباينة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وهي خليط من عقائد الفرق الضالة، كالمعتزلة والخوارج والرافضة، وكذلك المرجئة والجهمية، **وتتضح معالم الانحراف والضلال عندهم فيما يأتي:**

١- انحرافهم في مفهوم صفات الله عز وجل:

- التعطيل على طريقة المعتزلة، والتجسيم بطريقة غريبة.

- اعتقاد الحبشي وجوب تأويل صفات الله.

- نفي علو الله على خلقه، وأن القرآن ليس كلام الله حقيقة.

٢- مفهوم التوحيد عند الأحباش:

- يقتصر الأحباش على توحيد الربوبية فقط.

- جواز الاستغاثة والاستعاذة بالأموات، وتعظيم المشاهد والقبور.

- غلوهم في شيخهم الحبشي، ولهم في ذلك قصص وغرائب...

- ولع الأحباش في البدع ومخالفة السنة، وتعظيم أئمة التصوف الحلولية.

- الأحباش يتبعون خرافات الطريقة الرفاعية وطرائقها المنحرفة.



٣- عقيدتهم في أصحاب رسول الله ﷺ :

- تشبه عقيدة الرافضة والمعتزلة في التطاول على عدد منهم .

- شتمهم لمعاوية والسيدة عائشة وكل من لم يكن في صف علي . . .

٤ - موافقة الأحباش للفرق الضالة في كثير من المسائل :

- موافقة الحبشي لفرقة المعتزلة في الصفات وشتم الصحابة .

- متابعة الحبشي لفرقة المرجئة في مسائل الإيمان .

- متابعة الخوارج في التكفير : لمن خالفهم ، فكفروا عدداً من علماء المسلمين في القديم والحديث .

(١)

انحرافهم في صفات الله عز وجل:

ينفي الأحباش جميع الصفات التي وصف الله بها نفسه، ولا يثبتون إلا ما تتخيله عقولهم القاصرة، زاعمين أنهم برد هذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، إنما ينزّهون الله، كما أنهم يكفرون كل من يثبت هذه الصفات لله تعالى، ويتهمونه بأنه مجسّم ومشبّه.

وللأحباش طريقة عجيبة في نفي صفات الله جل وعلا، وذلك بمقارنته بالمخلوق، فيقولون: المخلوق له يد، والله منزه عن اليد والمخلوق له قدم، والله منزه عن القدم، والمخلوق له عينان والله منزه عن العينين، ويتجاهلون أن الله ليس كمثله شيء وأن صفاته ليست كصفات المخلوقين، فإثبات هذه الصفة - كما يليق بجلاله - لا يستلزم تمثيله بمخلوقاته.

- وقد وصل الأمر بالأحباش إلى الكلام عن اللسان والحنجرة والأسنان، بل إلى الأليتين!!، فقالوا:

«إذا قلنا: إن الله مستوٍ على العرش، فمعنى ذلك أن له أليتين»! (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً »[١].

---

(١) لقاء مع نزار الحلبي أحد مشايخ الأحباش، في جريدة «المسلمون» العدد (٤٠٧)، وكتاب شيخهم الحبشي: الدليل القويم/ ص ٣٦، وانظر مجلة البيان، العدد (١١٠)، ص ٧١/ من مقال: لعبد الرحمن بن عبد الله الحجاج.



●● ومن أسوأ أساليبهم في نفي بعض الصفات، أنهم يتناولونها بطريقة عجيبة، عندما يقارنون ذات الله بذوات المخلوقين، فيقولون: (الله ليس كالرجل الضخم، والله ليس كذا وكذا» مما يطبع في ذهن السامع صوراً وأشكالاً وتفكراً في ذات الله سبحانه وتعالى»[1].

وقد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً إلى النبي ﷺ قوله: «تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله»[2].

●● وقد عطل الحبشي معظم صفات الله سبحانه وتعالى، كصفة اليد، وصفة المجيء والإتيان، وصفتي الغضب والرضا، ولجأ إلى تأويلها تأويلاً فاسداً.

فقد تأول صفة اليد، رغم أن الله تعالى وصف بها نفسه، وأمرنا أن نؤمن بما وصف به نفسه، كما تأول صفات المجيء والإتيان كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾. [البقرة: ٢١٠]

قال الحبشي: معنى الآية هنا: (يأتي أمره)، وفسر قوله تعالى:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، أي جاء أمره[3].

● وهذا تصريف لمعاني الآيات، على غير مراد الله تعالى، وعبث وتلاعب بكتابه.

---

(١) مجلة البيان: العدد (١١٠) ص ٧١، وموسوعة أهل السنة: ج١/ ص ٥٧٣، عبد الرحمن دمشقية.

(٢) ينظر: صحيح الجامع الصغير، حديث (٢٩٧٦)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٧٨٨).

(٣) الصراط المسقيم للحبشي: ص (٢٤ - ٢٥).





قال حماد بن أبي حنيفة – رحمه الله –: «إن من أنكر أن الملك لا يجيء صفاً، ومن أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب»[1].

●● كما ينفي الحبشي صفتي الغضب والرضا عن الله عز وجل، إذ يقول: «يحتم العقل تنزيه الله عن الانفعال بالغضب والرضا»[2]؛ لأن ذلك عند الحبشي من الانفعالات التي يتصف بها البشر، بينما نجد الآيات كثيرة في إثبات هاتين الصفتين.

قال تعالى: ﴿وباءوا بغضب من الله﴾، ﴿غير المغضوب عليهم﴾، وقوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾، ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾، كما وردت الأحاديث الكثيرة الصحيحة في إثبات ذلك[3].

● والحبشي يزعم وجوب تأويل صفات الله، لأن الله لو كان متصفاً بصفة من صفات الخلق لجاز عليه ما يجوز على الخلق من فناء وحدوث، وهذا هو رأي جمهور المتكلمين من حيث وجوب الخوض في تأويل المتشابهات[4].

وكيف يكون التأويل واجباً ثم يتركه السلف وتابعوهم ثلاثة قرون، حتى يأتي جماعة المتكلمين، أتباع فلاسفة اليونان؟!.

●● ولما سأل رجلٌ الإمام مالك: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟! قال الراوي: فما وجدته غضب من شيء كغضبه من مقالته، ثم قال

---

(١) عقيدة أصحاب الحديث لشيخ الإسلام: إسماعيل الصابوني، ج١/ ١١٨ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٢) الدليل القويم للحبشي/ ص ٥٢.

(٣) ينظر: الرد على الحبشي: عبد الله محمد الشامي/ ص (٢١٣ – ٢١٧).

(٤) موسوعة أهل السنة، ج١/ ٣٨٣.



- رحمه الله -: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، أخرجوه»[1].

هكذا كان موقف السلف، في الابتعاد عن التأويل، مع إثبات الصفات كما أثبتها الله لنفسه.

بينما يصر الأحباش على وجوب الأخذ بالتأويل، حتى صاروا ينفون عن الله ما أثبته لنفسه، يثبتون له ما لا يليق به.

وقد أكسبهم هذا العبث في صفات الله قسوة في القلب وقلة في الورع، والله المستعان[2].

● وقد أقسم أتباع الحبشي أن مَنْ يثبت الصفات لله من غير تأويل لها، فهو أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان[3].

بينما لا يرى شيخهم الحبشي السجود للصنم كفراً، وإنما يرى أنه معصية من الكبائر[4].

فانظر كيف يحقدون على مثبتي الصفات أكثر من حقدهم على الساجد للأصنام.

فالحبشي يتابع المعتزلة والجهمية في موضوع الصفات، إذ يزعم أن أخذ

---

(١) المرجع السابق: ج١/ ٣٨٥.

(٢) موسوعة أهل السنة: ج١/ ص (٣٨١ - ٣٨٢). عبد الرحمن دمشقية.

(٣) مجلة منار الهدي: ١٢/ ٢٦.

(٤) شريط الحبشي رقم (٣)، عداد/ ٦٤، عن موسوعة أهل السنة ١/ ٣٨٣.



آيات القرآن على ظاهرها كفر، وهذا مطابق لقول المعتزلة[1].

وقول الجهمية: من أثبت هذه الصفات على ظاهرها فهو مشبه[2].

●● ومن أجمل ما يوضح هذه القضية قول نعيم بن حماد: «مَنْ شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه»[3].

● **وقد بينت فتوى هيئة كبار العلماء ضلالات الأحباش بما يأتي:**

«إن الأحباش يرون وجوب تأويل النصوص الواردة في القرآن والسنة في صفات الله عزو وجل.

وهذا خلاف ما أجمع عليه المسلمون من لدن الصحابة والتابعين، ومَنْ سار على نهجهم إلى يومنا هذا، فإنهم يعتقدون بوجوب الإيمان بما دلت عليه نصوص أسماء الله وصفاته من المعاني، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه لا سمي له ولا كفو له ولا ند».

● قال الإمام الشافعي رحمه الله: «آمنت بالله وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله».

---

(١) متشابه القرآن لعبد الجبار المعتزلي/ ص ١٩.

(٢) موسوعة أهل السنة: ج١/ ٣٩٨.

(٣) سير أعلام النبلاء: ج١٠/ ٦١٠، وأصول أهل السنة، اللالكائي ج٣/ ٥٣٢.



● وقال الإمام أحمد – رحمه الله –: «نؤمن بها ونصدق ولا نرد شيئاً ونؤمن أن ما جاء به الرسول ﷺ حق وصدق، ولا نرد على رسول الله، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه»(١).

●● ومن عقائدهم الباطلة: نفي علو الله سبحانه على خلقه:

يرى الحبشي أنه لا يجوز القول بأن الله في السماء، لأن ذلك يعني أنه محصور فيها، وأنه محدود فيها، وأنه في حيز وجهة، فيقتضي ذلك أن السماء أكبر منه، وهذا عنده كفر، وحجته في ذلك هي حجة المشبهة الذين يقيسون الله بما يقاس على المخلوقين(٢).

● والحبشي يفسر قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ بمعنى:

العرش بالرحمن استوى، وانتقد الحبشي ما رواه البخاري من تفسير مجاهد وأبي العالية، للاستواء على العرش بأنه: «علا وارتفع» متجاهلاً أنه عين قول الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله –، فهو يؤول أن الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء متابعة لعقيدة المعتزلة(٣).

والحقيقة أن الحبشي مضطرب متناقض في هذه المسألة، ما بين الإثبات والتأويل(٤).

---

(١) ينظر الفتوى الصادرة عن هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، فتوى رقم (١٩٦٠٦) وتاريخ: ٢٤ / ٤ / ١٤١٨هـ.

(٢) الرد على عبد الله الحبشي: عبد الله محمد الشامي/ ص ٢٤٣.

(٣) ينظر: الدليل القويم / ٤٤، وموسوعة أهل السنة. ج١ / ٦٣٩.

(٤) الرد على عبد الله الحبشي: عبد الله الشامي/ ص (٢٤٧ ـ ٢٤٨).



● وقد جاءت فتوى هيئة كبار العلماء توضح هذه القضية كذلك، إذ بينت أن «عقيدة المسلمين التي دلت عليها آيات القرآن القطعية والأحاديث النبوية والفطرة السوية والعقول الصريحة، أن الله جل وعلا، عال على خلقه، مستوٍ على عرشه، لا يخفى عليه شيء من أمور عباده، قال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ في سبعة مواضع من كتابه، وقال جل شأنه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال جل وعلا: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وغيرها من الآيات الكريمة.

وثبت عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح الشيء الكثير، ومنها قصة المعراج المتواترة، وتجاوز النبي ﷺ السماوات سماءً سماءً، حتى انتهى إلى ربه تعالى فقربه وأدناه، وفرض عليه الصوات خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه تبارك وتعالى.

● وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ألا تأمنوني وأنا أمين مَنْ في السماء»، وفي صحيح مسلم وغيره، في قصة الجارية، أن النبي ﷺ قال لها: «أين الله؟!» قالت: في السماء: قال: «من أنا؟»، قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

●● وعلى هذه العقيدة النقية درج المسلمون: الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان إلى يومنا هذا، والحمد لله.

ولعظم هذه المسألة وكثرة دلائلها التي تزيد على ألف دليل، أفردها أهل العلم بالتصنيف، كالحافظ أبي عبد الله الذهبي، في كتابه: «العلو للعلي



الغفار»، والحافظ ابن القيم في كتابه: «اجتماع الجيوش الإسلامية»[1].

●●●

ومن انحرافاتهم الشنيعة: أن القرآن عندهم ليس كلام الله حقيقة[2]

فقد صرح الحبشي: «بأن القرآن بمعنى اللفظ المنزل هو غير كلام الله»[3].

وهو يعتبر أن كلام الله معانٍ نفسية، وأن القرآن في الحقيقة هو كلام جبريل عليه السلام، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **إنه لقول رسول كريم** ﴾، حيث أضافه إلى جبريل عليه السلام[4].

وهذه هي عقيدة الأشاعرة، تبناها الحبشي وزعم أنها عقيدة أهل السنة، وهي قول المعتزلة في ثوب آخر.

ويلزم من هذا الاعتقاد: (عدم تكفير من ينكر ما بين دفتي المصحف، أن يكون كلام الله تعالى.

وعدم كون المقروء والمحفوظ هو كلام الله تعالى حقيقة)[5].

● ويدحض ما تقدم الآيات التالية، قال تعالى:

﴿ **وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ** ﴾ [الأنعام: ٣٤].

---

(١) فتوى هيئة كبار العلماء، رقم (١٩٦٠٦) في ٢٤/ ٤/ ١٤١٨هـ.

(٢) ينظر في هذا الموضوع: موسوعة أهل السنة، ج١/ص (٥٨٢ – ٥٨٥) و ص ((٥٩٣).
وكتب الحبشي نفسه، وآراء العلماء في هذه القضية.

(٣) الدليل القويم للحبشي/ ص ٦٩.

(٤) إظهار العقيدة السنية: عبد الله الحبشي/ ص (٥٨ – ٥٩، ص ٦٢).

(٥) موسوعة أهل السنة: ج١/ ص (٥٧٢ – ٥٨٣).

وقال جل شأنه: ﴿ ويحق الله الحق بكلماته ﴾ [يونس: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ وصدقت بكلمات ربها وكتبه ﴾ [التحريم: ١٢].

فكيف يقال: إن كلام الله معنى قديم قائم بالنفس، ليس بكلمات؟ والقول: بأن كلام الله معانٍ نفسية، يجعل القرآن بمنزلة الحديث القدسي، فإن الحديث القدسي مروي عن الله بالمعنى، وهؤلاء لا يفرقون بين القرآن والحديث القدسي[١].

●● وقد أحدث هذا القول جماعة، من المبتدعة الأعاجم السفهاء، كما قال ابن الجوزي: «قدم إلى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم، فارتقوا منابر التذكير والوعظ، وكانوا يقولون في مجالسهم:

ليس لله في الأرض كلام، وهل المصحف إلا ورقٌ، أين الحروفية الذين يزعمون أن القرآن حرف وصوت؟! هذا عبارة جبريل»[٢].

وقالوا: «إن الله ليس في السماء وأن الجارية التي قال لها النبي ﷺ، أين الله؟ كانت خرساء، فأشارت إلى السماء»[٣].

وهذه الأقوال يرددها أتباع الحبشي في أيامنا هذه.

●● وفي فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، حول ضلالات الأحباش حول هذه القضية ما يأتي:

«أن القرآن عندهم ليس كلام الله حقيقة» ...

---

(١) المرجع السابق/ ج١/ ٥٨٥، الشيخ عبد الرحمن دمشقية.

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي/ ص ١٨١، طبعة المكتبة العلمية.

(٣) المرجع السابق/ ص (١١٥ - ١١٦).



« ومعلوم بنص القرآن والسنة إجماع المسلمين أن الله تعالى يتكلم متى شاء، كيف شاء على الوجه اللائق بجلاله سبحانه، وأن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقيقة، حروفه ومعانيه، كما قال تعالى: ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره، حتى يسمع كلام الله** ﴾ [التوبة: ٦].

وقال سبحانه: ﴿ **وكلم الله موسى تكليماً** ﴾ [النساء: ١٦٤] والآيات في هذ المعنى كثيرة معلومة، وتواتر عن السلف الصالح إثبات هذه العقيدة، كما نطقت بذلك نصوص القرآن والسنة، ولله الحمد والمنة »[١].

(٢)

مفهوم التوحيد عند الأحباش:

التوحيد عند الأحباش توحيد مضطرب مشوش، **فهو عندهم توحيد الربوبية فقط**، وهو عندهم توحيد الله بأفعاله كالاعتقاد بأن الله هو الخالق الرازق، وقد تأثروا في ذلك بالفلاسفة والمتكلمين، وهذا التوحيد آمن به مشركو قريش[٢].

● فالمشركون يعلمون ويقرون، أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، ولم ينكر مشركو قريش على محمد ﷺ، دعوته إلى رب واحد، يحيي ويميت ويخلق ويرزق، وإنما أنكروا عليه، أنْ جعل الآلهة إلهاً واحداً، فقالوا:

﴿ **أجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب** ﴾ [سورة ص: ٥]

---

(١) فتوى هيئة كبار العلماء رقم (١٩٦٠٦)، تاريخ: ٢٤/ ٦/ ١٤١٨هـ.

(٢) مجلة البيان، العدد (١١٠)، عبد الرحمن بن عبد الله الحجاج.



وقد خلط الحبشي بين توحيد الألوهية، وإخلاص العبادة لله وحده، وتوحيد الربوبية، ويرى أنّ من أقرّ بأن القادر على الاختراع هو واحد، فقد أتى بالتوحيد الخالص[1].

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله** ﴾ [العنكبوت: ٦١].

ويقول جل من قائل: ﴿ **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء، فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله** ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

●● فتوحيد الأحباش لم يكتمل، لأنه يلزم معه توحيد الألوهية، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة.

والأحباش هم أعظم الناس نقضاً لتوحيد الألوهية، حيث أباحوا الشرك الأكبر، كدعاء الأولياء والأموات، والاستغاثة بهم[2].

●●●

والحبشي يعلم الناس الاستغاثة والاستعاذة بالأموات، ويزعم أنهم يخرجون من قبورهم لكشف كرب الداعي، فهو يقول:

« وليس مجرد الاستغاثة بغير الله، ولا الاستعاذة بغير الله، يعتبر شركاً، كما يزعم بعض الناس »[3].

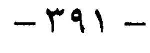
● وعندما سئل الحبشي عن حكم من يستغيث بالأموات، ويدعوهم كأن

---

(١) الرد على عبد الله الحبشي: عبد الله الشامي/ ص (١٨٢ – ١٨٥).

(٢) مجلة البيان، العدد (١١٠) من مقال: عبد الرحمن الحجاج.

(٣) بغية الطالب للحبشي/ ص ٨، وصريح البيان له أيضاً/ ص (٥٧ – ٥٨).





يقول: «يا سيدي بدوي أغثني، يا سيدي دسوقي المدد» قال الحبشي:

«يجوز ذلك ويجوز أن يقول: أغثني يا بدوي، ساعدني يا بدوي». قيل له: إن الأرواح تكون في برزخ»، فكيف يستغاث بهم وهم بعيدون؟!

أجاب: «الله تعالى يكرمهم، بأن يسمعهم كلاماً بعيداً وهم في قبورهم، فيدعوا لهذا الانسان وينقذوه، ويخرجون أحياناً من قبورهم، فيقضون حوائج المستغيثين بهم، ثم يعودون إلى قبورهم»(١).

● وهذا من أعظم الشرك والعياذ بالله، فكأن الأحباش لا يقرأون قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير﴾ [فاطر: ١٤].

وقوله عن رسول الله: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ [النمل: ٨٠]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»(٢).

● ويجيز الحبشي الاستعاذة بالرسول مع الله، إذ يقول:

«وليس مجرد الاستعاذة بغير الله تعتبر شركاً»(٣).

وهذا شرك باتفاق العلماء، فقد ذكر البيهقي: أنه لا يجوز أن يستعاذ

---

(١) عبد الله الشامي: بين أهل السنة وأهل الفتنة، وشريط: رد خالد كنعان على الحبشي/ الوجه (٢)، عداد (٧٠) عن موسوعة أهل السنة/ ج١/ ص ٢٦.

(٢) حديث صحيح رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، وفي الرقائق والورع، ورواه الإمام أحمد في مسند بني هاشم.

(٣) الدليل القويم للحبشي/ ص ١٧٣، وصريح البيان له أيضاً ص (٥٧ - ٥٨).



بمخلوق من مخلوق[1].

واحتج بقوله تعالى: ﴿ فاستعذ بالله ﴾، واحتج الحافظ ابن حجر براوية عن النبي ﷺ: «وإذا استعذت فاستعذ بالله»[2].

وقال ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»[3].

●● وللأحباش عقيدة غريبة عجيبة في رسول الله، فهم غلاة في مواطن، وجفاة في مواطن أخرى، حيث يستغيثون به ويطلبون منه المدد والعون، ويجعلون ذلك من القربات ومن لوازم محبته، ويقيمون الاحتفالات بذكرى مولده ﷺ، وما كانت الموالد تعرف عند المسلمين قبل عهد دولة العبيديين الباطنية.

ومن جهة ثانية، فالأحباش مجحفون في حقه ﷺ، بعدم اتباعهم هديه، وإعلانهم أنه يكفي للمسلم أن يصلي على النبي مرة واحدة في عمره كله، بينما يرى أهل السنة والجماعة مشروعية وتأكيد الصلاة عليه ﷺ، في مواطن كثيرة وأن تاركها آثم وخاصة عند ذكره عليه أفضل الصلاة والتسليم حيث قال: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ»[4].

●●●

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي: ج١/ ٣٠٥، طبعة حيدر.

(٢) فتح الباري: ١٣/ ٣٨١، وانظر موسوعة أهل السنة: ١/ ٧٣.

(٣) رواه البخاري في الجنائز، برقم/ ١٢٣٨.

(٤) حديث صحيح رواه الترمذي في كتاب الدعوات.

وللأحباش غلو في شيخهم: على طريقة غلاة الصوفية، ولهم قصص عجيبة في ذلك.

- قال تلميذه نبيل الشريف: «كان الشيخ إذا نام في مكان يمتلئ هذا المكان عطراً، من أطيب أنواع العطور».

- بل ذكروا أن بلغم الشيخ معطر، وكان أحد خدام الشيخ يكبس رجليه، وحينما كانت الغرفة مظلمة، رأى نوراً يخرج من عيني الشيخ فجأة، ويدخل في صدر هذا الرجل نور حقيقي، رآه والغرفة مظلمة[1].

- وقال أحد أصحابه في الحبشة: «كان الشيخ يأتينا من الغابة يحرسه أسدان: واحد عن يمينه وواحد عن يساره، الله ينفعنا به»[2].

● ومن غلو أتباعه فيه: أنهم يشترطون على الداخل عليه أن يصلي ركعتين، وقد حصل هذا لأحد الإخوة الصوماليين، «إخيار محمد علي»، أراد الدخول على الحبشي ليسأله مسألة، فمنعوه وطلبوا منه أن يصلي ركعتين صلاة التوبة، وهاتان هما ركعتا تحية الحبشي.

هذا عدا عن تقبيل يديه ورجليه عند أتباعه، وهو لا يزجرهم[3].

●● أين هذا من هدي رسول الله ﷺ، إذ كان الصحابة إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهيته لذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار» فكيف بهذا التقديس لمشايخ

---

(١) مجالس الهدى «أشرطة»: ٢٨/ ٨٢٥، ٨٨٠.

(٢) مجالس الهدى: ٢٨/ ١٠٧٠.

(٣) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ١١٨٧ - ١١٨٨، عبد الرحمن دمشقية.



الضلالة؟!.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[1].

●● **وللأحباش ولع شديد بالبدع**: ومخالفة السنة أشد خلاف، فعندهم بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، وهذا من ضروريات مذهبهم، إذ يقيمون لذلك صالات الاحتفالات الكبيرة، ويملأون الشوارع بإعلاناتهم لهذا الغرض، وفي المناسبات البدعية المتعددة، إضافة إلى الاحتفالات بموالد البدي والشاذلي والجيلاني وغيرهم، ويحضر موالد البدوي الملايين كما يزعم الأحباش، وزعم أن جماعة سعوا في إبطال هذا المولد فانتقم الله منهم[2].

● إضافة إلى أنهم يعظمون أئمة التصوف الحلولية، والزنادقة ويترضون عنهم، ويطعنون فيمن يتكلم فيهم بسوء.

● وبقي الأحباش لسنوات طويلة، يحثون الناس على قراءة كتاب (البرهان المؤيد) للرفاعي، على أنه الكتاب الذي يمثل عقيدة التوحيد، وفيه أن الله (صرَّف الأولياء في الأكوان، وجعلهم يقولون للشيء كن فيكون».

وهذا كفر صريح، وقد نقل هذا القول (ابن حجر الهيثمي)، عن القرافي[3].

---

(١) رواه البخاري: في كتاب أحاديث الأنبياء، والإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(٢) مجلة منار الهدى: ٣٥/ ص (١٨ - ١٩).

(٣) ينظر: موسوعة أهل السنة، ج١/ ص ١٢٢.



●● ولا ننسى أن الأحباش من أتباع الطريقة الرفاعية:

الذين سجل التاريخ خيانة أسلافهم الرفاعيين، حينما كانوا يترددون على سلاطين التتار ويوالونهم، ويأخذون منهم الأعطيات والهدايا، كما نص على ذلك ابن كثير في تاريخه، وحكاه الذهبي وابن تيمية - رحمهم الله تعالى[1].

وقد اشتهروا بإحياء البدع، يغنون ويرقصون في مجالس مختلطة، ويعتمدون على السحر والشعوذة[2].

● والحبشي ـ شأن المتصوفة ـ يقسم مصادر المسلمين إلى:

حقيقة وشريعة، وظاهر وباطن، ويدعي أخذ العلم عن الله، بما يسمونه «العلم اللدني»، ويزعم أنه يجتمع بالخضر وبأرواح المشايخ، وأنه أخذ العهد والبيعة عنهم، وهم في قبورهم، ويعتقد أنهم متصرفون بالأكوان حسب مراتبهم، فمنهم: القطب والوتد والنجيب والبدل، وهم يمسكون الأرض أن تزول...[3]

●● وللأحباش استغاثة بكم هائل من الأولياء ومشايخ الطرق، واستعطاف الأموات عند قبورهم لاستمداد البركات منهم، وهم يلتقون مع الشيعة في تعظيم القبور، والاستغاثة بأهل القبور، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك أشد النهي.

● فعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال في مرض موته: «لعن الله

---

(١) الحبشي شذوذه وأخطاؤه: عبد الرحمن دمشقية/ ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق/ ص (٣٠، ٣٤).

(٣) ينظر: الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص (٣٥ - ٣٦)، وطبقات الشعراني/ ج١/ ٤٢.



اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[١] .

قال ابن حجر – رحمه الله –: « فكأنه ﷺ، علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يعظم قبره، كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى، إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم »[٢] .

● وعن أبي الهياج الأسدي، أن علياً – رضي الله عنه – قال له: « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ؟ أمرني أن لا أدع قبراً مشرفاً – مرتفعاً –، إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته »[٣] .

(٣)

عقيدتهم في أصحاب رسول الله ﷺ :

عقيدة الأحباش في أصحاب رسول الله، فيها شبه كبير بعقيدة الرافضة والمعتزلة، فهم يتطاولون على أم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنها – .

كما يتطاولون على كل من خالف علياً – رضي الله عنهم جميعاً –، شأن غلاة الرافضة .

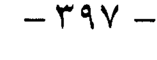
ويفسقون صاحب رسول الله وكاتب الوحي، معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه –، بل يعتبرون كل من اشترك من الصحابة مع معاوية وضد علي،

---

(١) روا ه الإمام البخاري: برقم (١٣٣٠) .

(٢) فتح الباري: ج١ / ٥٣٢ .

(٣) رواه الإمام مسلم، برقم (٩٦٩) .





أنهم من الدعاة إلى النار[1] .

● ولقد أخذ المحدّثون روايات كثيرة لمعاوية - رضي الله عنه -، عن رسول الله ﷺ ، كالبخاري ومسلم والترمذي، وأبي داود وابن ماجه، فهل يعقل أن تؤخذ الأحاديث الصحيحة من رجل راويها فاسق؟! قاتل الله الحبشي، وكل أهل الفتن والضلال[2] .

● يقول شيخهم: «ثم ليعلم أن معاوية كان قصده من هذا القتال: الدنيا فلقد كان به الطمع في الملك وفرط الغرام في الرئاسة»[3] .

● وقد سار الحبشي على طريقة أهل الضلال من الرافضة والمعتزلة كما ذكرنا، وقد ذمّ الحافظ ابن عساكر المعتزلة لقولهم عن معاوية وعدد من الصحابة لا تقبل شهادتهم فقال: «وكذلك قالت المعتزلة: إن أمير المؤمنين معاوية وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة، وكل مَنْ تبعهم على الخطأ، ولو شهدوا على حبة واحدة، لم تقبل شهادتهم»[4] .

● هذا رغم أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة

---

(١) صريح البيان للحبشي/ ص ١٩٨، ص ٢١١ .

(٢) الرد على عبد الله الحبشي: لعبد الله محمد الشامي/ ص (١٩ - ٢٠).

(٣) صريح البيان للحبشي/ ص ٢٢٠ .

(٤) تبيين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر/ ص (١٥١ - ١٥٢).

(٥) رواه البخاري في كتاب المناقب، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة .



والناس أجمعين»[1].

●● فالحبشي يطعن ويلعن عدداً من أصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما معاوية، الذي يلعنه أتباعه من على منابرهم تقرباً إلى الرافضة والباطنية، الذين بني مذهبهم على سب الصحابة.

وقد حكم الحبشي على معاوية بأنه كان يأمر بأكل أموال الناس بالباطل ويأمر بالقتل[2].

وقد حشا الحبشي في كتابه: «صريح البيان» جملة من أحاديث الشيعة ورواياتهم المسمومة، ولا سيما روايات الاختلاف بين علي ومعاوية، من غير تحقيق ولا تثبت[3].

● ويزعم الحبشي أنه لم يصح عن النبي ﷺ في فضل معاوية شيء، مع أنه ثبت دعاء النبي ﷺ لمعاوية وفيه:

«اللهم اجعله هادياً مهدياً واهده واهد به»[4].

● هذا ومن أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، محبة أصحاب النبي، لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا أحداً من أصحابي»[5].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني/ ج٥/ ٤٤٦.

(٢) ينظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي، ص ١٨٢، الحبشي شذوذه وأخطاؤه: عبد الرحمن دمشقية/ ص ٢٠، ص ٩١.

(٣) الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص(٩١ - ٩٢).

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ، ٤/ ١/ ٣٢٧.

(٥) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٨٢٩).



– وعن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – قال:

«سألت أبي عن رجل يشتم رجلاً من أصحاب رسول الله فقال:

ما أراه على الإسلام»[1].

وقال الإمام أحمد في كتابه السنة: «ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم؛ فمن سب أصحاب رسول الله أو واحداً منهم، فهو مبتدع رافضي، ولا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم».

● ويكفي من فضائل معاوية، أنه كان كاتباً للوحي عند رسول الله ﷺ، وقد ثبت هذا في صحيح مسلم وأن النبي ﷺ، استجاب لطلب أبي سفيان – رضي الله عنه –، في أن يكون ابنه معاوية كاتباً لوحي رسول الله ﷺ[2].

● وقال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله، فاعلم أنه زنديق»[3].

●● هذا، وما أجمل ما قاله عمر بن عبد العزيز – رحمه الله –، حينما سئل عن حقيقة الفتنة، ومَنْ المحق فيها من المخطئ فقال:

«تلك فتنة قد طهر الله منها سيوفنا وأيدينا، أفلا نطهر منها ألسنتنا»؟! «الحلية: ج٩ / ١١٤».

● وفي الإبانة للأشعري: «أن ما جرى بين علي ومعاوية – رضي الله

---

(١) الإمام الذهبي في مقدمة المسند للإمام أحمد.

(٢) صحيح مسلم: ٤ / ٩٤٥، حديث (٢٥٠١).

(٣) الكفاية للخطيب البغدادي، ص ٦٧ / دار الكتاب العربي.

عنهما -، كان على تأويل واجتهاد، وكل الصحابة أئمة مأمونون، غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبّدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم، والتبري من كل من ينتقص أحداً منهم»[١].

ورغم ذلك يزعم الحبشي أنه على مذهب الأشاعرة، بل هو على مذهب إبليس في إثارة الفتن وإحيائها، كما هو واضح من سلوكه وسلوك تلامذته.

● ويستمر الحبشي في طغيانه، رغم كل النصوص التي تحرم الخوض في الخلاف بين الصحابة، أو انتقاصهم، وها هو يملأ مجالسه في الخوض فيما شجر بين الصحابة ويقول: «هذا أقرره في مجلسي من باب تبليغ العلم»[٢].

فهل من تبليغ العلم في شيء أن يزعم أن معاوية كان يبيع الأصنام إلى الوثنيين ليشتري بها ثمناً قليلاً... وأنه كان ملكاً جباراً في الأرض؟!»[٣].

اللهم إن هذا بهتان عظيم، واجز المفتري بما يستحق، فهو شيخ (فتّان) كما أُطلق عليه في الحبشة.

---

(١) يتبين كذب المفتري لابن عساكر/ ص ١٦١.

(٢) مجلة منار الهدى، ٢١/ ٢١.

(٣) صريح البيان/ ص ٢٢٧، من الطبعة الجديدة المجلدة، وإظهار العقيدة السنية/ ص ١٨٢.



(٤)

الحبشي على خطا الفرق الضالة:

لقد خالف الحبشي أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة، فهو يتصيد الآراء الفاسدة من كل الفرق المنحرفة، فتجده تارة جهمياً، وتارة مرجئاً، يرى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن العمل لايدخل في مسمى الإيمان، كما أنه يأخذ فكرة التكفير من الخوارج، بل توسع فيها توسعاً قبيحاً، وقد عرفنا كيف أنه يوافق الشيعة في شتم كثير من الصحابة، وخاصة ممن لم يكونوا مع علي خلال الفتنة[١].

● الحبشي والمعتزلة[٢]:

لقد تبنى الحبشي كثيراً من آراء المعتزلة، فهو يرى أن الله قد اضطر الكافر على الكفر، وأنه لولا الله ما استطاع الكافر أن يكفر، وهذا مذهب الجهمية.

فقد ذكر البغدادي: أن جهم بين صفوان كان ينكر الاستطاعات كلها[٣].

وقال أبو الحسن الأشعري: «إن عبَّاداً من المعتزلة كان يقول:

إن الله قد قوّى الكافر على الكفر وأقدره عليه»[٤].

---

(١) ينظر كتاب الدليل القويم للحبشي والرد عليه لعبد الله الشامي/ ص (٢١٨).

(٢) ينظر: موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية/ ج٢/ ص (٨٧٢ - ٨٧٤).

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي/ ص ١٩٩.

(٤) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري/ ص ٢٣٩.



وهذا عين ما يقوله الأحباش، فقد فسروا قول شيخهم «الإعانة» بالإقدار والتمكين، لأن الله يعين على الإيمان والكفر»[١].

● وصرح الحبشي بأن قول الله تعالى: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ تعني أنَّ الله على غالب الأشياء قدير، وأنه على كل شيء قدير مجازاً لا حقيقة، وذلك حتى يخرجوه عن القدرة على فعل الظلم[٢].

● ويتظاهر الحبشي أحياناً بتحامله على المعتزلة، رغم أنه يوافقهم في كثير من آرائهم، فهو يوافقهم في نفي علو الله فوق سماواته، واستوائه ونزوله، ويوافقهم كذلك في سب معاوية ونفي فضائله، بل يوافقهم قبل ذلك كله في المصدر، فإن مصدره ومصدرهم، هو الفلاسفة وعلماء الكلام[٣].

وقد عرفنا أنه يوافقهم في تأويل النزول بنزول الملك، وتأويل الاستواء والاستيلاء خلال الفصل الثاني من هذا الباب[٤].

●● ورغم كل ذلك فهو يزعم أنه موافق لأقوال الأشعري ومخالف للمعتزلة ويسبهم في كتبه.

ولا تنتهي تناقضات الحبشي، فهو يخالف الأشعري في كثير من آرائه، فالأشعري – رحمه الله –يقول: «ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا وأن الرب يقول: «هل من سائل، هل من

---

(١) مجلة منار الهدى: ٢٥/ ٥٣.

(٢) إظهار العقيدة السنية للحبشي/ ص ٤٠، وموسوعة أهل السنة: ج٢/ ٨٧٤.

(٣) الرد على عبد الله الحبشي لمحمد عبد الله الشامي/ ص ٢٥٠.

(٤) الدليل القويم للحبشي/ ص (٤٩، ٣٨)، والرد على الحبشي/ ص ٣٢٥. وانظر: ص ٣٧٩ من هذا الكتاب.



مستغفر؟» ويقول: «ونصدق بسائر ما نقلوه وثبتوه خلافاً لما قاله أهل الزّيغ والتضليل»[1].

الحبشي والمرجئة[2]:

يتابع الحبشي أهل الإرجاء في مسائل الإيمان، ويتساءل هل الإيمان مجرد اعتقاد في القلب، أم يشترط معه النطق باللسان؟ ثم انتهى إلى أنه لا يشترط لصحة إسلام المسلم النطق بالشهادتين، بل يكفي الاعتقاد في القلب[3].

أما الداخل في الدين، فيشترط له النطق ولو مرة واحدة في العمر، قال: «فمن لا يؤدي شيئاً من فرائض الله، ولا يجتنب شيئاً من المحرمات، لكنه قال لو مرة في العمر: لا إله إلا الله، فهذا مسلم مؤمن، ويقال له أيضاً مؤمن مذنب[4]».

وقال أيضاً: «إن بعض الناس يظن أن من لم يجمع الأمور الخمسة، كالصلاة والصيام، أن إسلامه لا يصح إلا باجتماعها، وأن من لم يجمع هذه الأمور الستة وهي (أركان الإيمان) ليس بمؤمن، وهذا غلط، إنما الشرط في حصول أصل الإيمان والإسلام الشهادتان بمعناهما»[5].

● وهذه آراء الجهمية يرددها الأحباش لمصلحة مَن في هذه الأيام؟!

روى الخلال عن حمدان بن علي، أنه سمع أحمد بن حنبل يقول:

---

(١) الإبانة ص ٢٥، والتبيين لابن عساكر تحقيق شعيب الأرناؤوط/ ص ١٦١.

(٢) ينظر موسوعة أهل السنة: ج٢/ ص (١٢٧٧ - ١٢٧٨، ١٢٨٢ - ١٢٨٣).

(٣) الدليل القويم على الصراط المستقيم، ص ٧.

(٤) السابق/ ص (٩ - ١٠)، وبغية الطالب للحبشي/ ص ٥١.

(٥) شريط (٦)، عداد (٢٢٤)، و(١٨٩)، و(٤٦٢) الوجه الأول.



«الجهمية تقول: إذا عرف المرء ربه بقلبه، وإن لم تعمل جوارحه فهو مؤمن، وهذا كفر إبليس، فقد عرف ربه بقلبه فقال: «ربِّ بما أغويتني»[(١)].

وعن وكيع قال: «الجهمية تقول: الإيمان معرفة بالقلب، فمن قال: الإيمان معرفة بالقلب يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[(٢)].

● وقد نقل الربيع عن الإمام الشافعي قوله: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[(٣)].

●● وروى البيهقي عن الثوري أنه قال: «قد خالَفَنا المرجئة في ثلاث:

١- نحن نقول: إن الإيمان قول وعمل، وهم يقولون: قول بلا عمل.

٢- ونحن نقول: الإيمان يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص.

٣- ونحن نقول: أهل القبلة عندنا مؤمنون، أما عند الله، فالله أعلم، وهم يقولون: نحن من عند الله مؤمنون»[(٤)].

●● وقد جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله» وفي رواية عند الشيخين: «ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة»[(٥)].

---

(١) الإيمان لابن تيمية/ ص ٣٨٤.

(٢) السنة للخلال/ ج٥/ ١٢٢.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي/ والانتقاء لابن عبد البر/ ص ٨١.

(٤) الاعتقاد للبيهقي، ص ٨٣/ وانظر الرد على الحبشي، لمحمد بن عبد الله الشامي/ ص (٤٠٣ - ٤١٥).

(٥) رواه الإمام مسلم، رقم (٢١، ٣٢، ٣٣).

- وقال النبي ﷺ لوفد عبد القيس: «أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغانم»[1].

● وقاتل أبو بكر - رضي الله عنه - قوماً أقاموا الصلاة، ولم يؤدوا الزكاة، كما في الصحيحين وقال الصديق: «لأقاتلنّ مَنْ فرق بين الصلاة والزكاة».

●● وكلام أئمة المذاهب صريح في أن مَنْ ترك الصلاة قتل، وعند الشافعي وأحمد وعامة أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[2].

●●●

الأحباش على خطا الخوارج في التكفير:

عرفنا أن الحبشي يكفر معاوية ومن كان معه ضد علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم جميعاً -، فهو في هذا متشيع خارج عن مذهب أهل السنة والجماعة في عدالة الصحابة، كما أنه يفسق أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، على طريقة الرافضة في التطاول على الصحابة، وعلى منهج المعتزلة في قدحهم بعدالة الصحابة والتابعين[3].

●● وقد شابه الأحباش الخوارج في مسائل التكفير لمن خالفهم، وصار من سمات جماعتهم، تكفير علماء أهل السنة، الذين شهدت لهم الأمة بالعدالة والاستقامة.

---

(١) البخاري في الإيمان (٥٣)، ومسلم (١٧).

(٢) سير أعلام النبلاء: ج٧/ ١٦٨، وص ٢٥٢، وج ٨/ ص ١٠٨.

(٣) ينظر: الفقرات السابقة (الحبشي والمعتزلة ...).



فهم يكفرون شيخ الإسلام ابن تيمية، وتمليذه ابن قيم الجوزية، كما يكفرون الإمام الذهبي والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم، ويكفرون ابن خزيمة ويسمون كتابه «التوحيد» كتاب الشرك، – رحم الله الجميع –.

● وصبوا جام غضبهم وتكفيرهم، على علماء وأعلام الدعوة المعاصرين، وفي مقدمتهم: الشيخ ناصر الألباني، والشيخ عبد العزيز بن باز، وسيد قطب، والسيد سابق، وابن عثيمين، رحمهم الله جميعاً.

●● والمتابع لدروس الحبشي، يلاحظ أنها كانت لا تخلو، بمناسبة وبغير مناسبة، من التعرض للآخرين، من علماء وشخصيات إسلامية بالسب والشتم واللعن، وكان سلوكه هذا سبباً في كراهية الناس له في بلده «هرر» وقد وصف هنالك بأنه «شيخ الفتنة»، وهو شيخ الفتن في كل بلد حل بها، في لبنان، وسوريا، والديار الغربية[1].

●● وقد أصبح الأحباش متخصصين في غلوهم بالتكفير، وعرفهم العالم والجاهل بهذه الخصلة الذميمة، وغاية ما يبرعون به هو التفتيش والتنقيب في بطون كتب العلماء لاستخراج ما يرخص لهم شن الحملات عليهم، فتراهم لا يكاد يسلم أحد من حملاتهم هذه، ويطبعون من أجل ذلك المنشورات الكثيرة[2].

●● **وقد نسب الحبشي لابن تيمية جملة من الافتراءات**، لكنه لم يحل إلى كتاب من كتبه، و ربما أحال إلى بعض النصوص يوردها مبتورة مقطوعة على طريقة لصوص النصوص، وقد شهد لابن تيمية العديد من الأئمة المعتبرين

---

(١) ينظر: الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص (١١٧ – ١١٨).

(٢) الرد على عبد الله الحبشي/ ص ١٦٠.



بصلاح ابن تيمية وقوته في الحق وذبه عن السنة، وإقتفائه أثر السف الصالح[١].

• كان ابن تيمية مجاهد سيف وقلم، كشف الله به أباطيل أهل التأويل الباطني وهتك أسرارهم، ودعا الناس إلى السنة ونبذ البدع والتصوف[٢].

•• وتناول الأحباش الإمام الذهبي بالتشنيع، حيث يقول فيه الشيخ الفتان «الحبشي»: «وإذا قيل الذهبي خبيث فهو في محله»[٣].

•• أما الشيخ الألباني: فقد كفره الحبشي بمجرد أنه انتقده في قضية السبحة، وقال عنه - رحمه الله -: «هذا إن مات مسلماً»[٤].

وذلك لمجرد الاختلاف معه في قضية فرعية، وزعم أحد صغار أتباع الحبشي، أن الألباني ليس بمحدّث ولا عشر عشر محدث؟![٥].

وكفى بكتب الألباني في الحديث النبوي الشريف، وبإحيائه لمنهج السلف الصالح في العقيدة، أن تكون شاهداً على كذب ادعاء الأحباش هذا، بينما نجد أن كتب الحبشي مملوءة بالأحاديث الباطلة السند من ضعيف الأحاديث والروايات المكذوبة[٦].

---

(١) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩٩٧، وج ٢/ ص-١٠٠٦ - ١٠١٥).

(٢) ينظر الحبشي شذوذه وأخطاؤه، ص ١٢٨، لعبد الرحمن دمشقية.

(٣) شريط خالد كنعان الوجه (أ)، ١٤٣، بصوت الحبشي نفسه.

(٤) التعقيب الحثيث للحبشي، ص ٨٩.

(٥) شريط: ١٥، وجه (أ)، ٥١٧.

(٦) موسوعة أهل السنة ج٢/ ١١٨٦.



●● وقد كفر الأحباش صاحب الظلال سيد قطب :

وزعموا أنه لم يسبق له أن جثا بين يدي العلماء للتعلم، ولا قرأ عليهم، ولا شم رائحة العلم، وكان أول أمره صحفياً « النهج السوي ص (٣ – ٤) .

وزعموا – قبحهم الله – أن سيد قطب يكفر البشرية كلها، مع أن الذي يمضي على طريق تكفير البشرية كلها (واحداً واحداً) هم الأحباش أنفسهم، وهذا مما اشتهروا به، حتى صار يعرفهم بذلك عوام الناس وجهالهم .

إن سيداً – رحمه الله – كان قد أمضى حياته كلها في السجون حتى انتهى به الأمر إلى الإعدام، لأنه رفض أن تكون كلمة « لا إله إلا الله » كلمة لا مدلول لها، ولا أثر لها بين من ينتسبون إليها، فآثر كلمة الحق، وصبر على دفع ثمنها، إلى أن أخفى الطواغيت صوته بالشنق، بعد أن عاش حياته في السجن والتعذيب، لا كبعض علماء السوء الدجالين الذين يتصدرون المجالس، ويمدون أياديهم وأرجلهم ليقبلها لهم الناس »[١] وهؤلاء الذين نذروا أنفسهم لإثارة الفتن بين خيار المسلمين .

● وسيد قطب كان له الأثر البالغ، في تحذير الناس من الأنظمة الاشتراكية والعلمانية والرأسمالية، وأن الحاكمية لكتاب الله وسنة رسوله، لا للعلمانية[٢] .

●● وتعرض الحبشي لفقيه الأمة الشيخ السيد سابق – رحمه الله – « ووصفه بأنه مجوسي وإن ادعى أنه من أمة محمد »[٣]، لأنه انتقد بعض أقواله

---

(١) الرد على عبد الله الحبشي / ص ١٦٣، محمد عبد الله الشامي .

(٢) الحبشي شذوذه وأخطاؤه : عبد الرحمن دمشقية / ص ١٢٨ .

(٣) شريط رقم (١) بلفظ الحبشي، الوجه الأول (١٥٠) .



في مسألة الإيمان، وادعى أن الشيخ سيد يحرف كلام الله[1].

● فلمصلحة مَنْ تجري ملاحقة علماء أهل السنة في القديم والحديث، الأمر بات مكشوفاً، فمن وراء ذلك جهات لا تريد لفكر أهل السنة والسلف الصالح أن ينتشر، هذا الفكر الذي يحرر الناس من البدع والشركيات، والعبودية الفكرية، تلك التي ينشرها الحبشي بين أتباعه، باسم التوحيد، حتى يبقيهم عبيداً لحفنة من الطواغيت والمتسلطين[2].

● بينما نجد أن الحبشي وأتباعه يدافعون عن غلاة الصوفية، يدافعون عن الحلولي (ابن عربي) الذي شهد الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان: ٢ / ٣٨٤) بضلاله وزندقته، وتصريحه بوحدة الوجود، وحكم عليه معاصره سلطان العلماء «العزّ بن عبد السلام» بالزندقة والانحلال، وقال عندما سئل عنه: «هو شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجاً»[3].

● كما أن الحبشي يثني على ابن الفارض صاحب الشطحات الصوفية في وحدة الوجود...

وتقابل شدته على أهل السنة ثناء على الباطنيين، ودفاعاً مستميتاً عن الذين يحكمون بغير ما أنزل الله[4].

●● وقد اتخذ الأحباش الجدال حرفة لهم، فخاضوا فيه أشد الخوض، بعد أن زخرفه لهم الحبشي وسماه بعلم التوحيد، والتوحيد بريء من هذا الكلام

---

(١) موسوعة أهل السنة، ج٢/ ١١٨٦.

(٢) الحبشي شذوذه وأخطاؤه: عبد الرحمن دمشقية/ ص ٢٢.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ص ٤٨ - ٤٩.

(٤) الحبشي شذوذه وأخطاؤه / ص.٢٢ - ٢٣).



المزور، وقد نهى الرسول ﷺ عن الجدل والمراء[1].

ونهى عن الشتم واللعن، فقال عليه الصلاة والسلام:

«إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة»[2].

وقال ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[3].

●●●

---

(١) الرد على عبد الله الحبشي: محمد عبد الله الشامي/ ص ١٥٨.

(٢) أخرجه الإمام مسلم (برقم ٢٥٩٩).

(٣) أخرجه الإمام مسلم (٢٥٩٨).

الفصل الثالث

شذوذ الفتاوى الحبشية

المبحث الأول:

صور من الفقه الشاذ الغريب

١- إسقاط الزكاة في العملة الورقية.

٢- تناقض الفتوى حول أحكام الطهارة.

٣- اتباع الحيل لترك صلاة الجمعة وسرقة مال الغير.

٤- تتبع الحبشي للفتاوى الشاذة عند بعض المذاهب.

٥- فتوى الحبشي حول مخارج الحروف.

المبحث الثاني:

شذوذ الحبشي في قضايا المرأة

١- إباحة النظر إلى المرأة الأجنبية.

٢- إباحة خروج المرأة وهي متزينة متعطرة.

٣- جواز خروجها رغماً عن إرادة زوجها «لطلب العلم»؟!

٤- الحجاب الغريب والاختلاط المريب عند الأحباش.

٥- قضايا أخرى منحرفة:

كإباحة كشف الساقين، وإباحة مفاخذة النساء.

- وقفة قصيرة مع فتاوى الحبشي.

المبحث الأول

صور من الفقه الشاذ الغريب

لم يكتف الحبشي وأتباعه بتبني العقائد الفاسدة، وإنما حاولوا إفساد المجتمعات بسبب فساد سلوكهم، وإصدار الفتاوى الشاذة العجيبة، التي تتعارض مع الكتاب والسنة، وأقوال العلماء المعتبرة، وصارت مخالفاتهم ظاهرة واضحة ولم يسبقهم إلى هذا الفقه الشاذ أحد يعتد برأيه، من ذلك:

١- إسقاط الزكاة في العملة الورقية:

فالحبشي لا يرى زكاةً في العملة الورقية، وإنما تجب في الذهب والفضة فقط.

يقول الشيخ (الفتان) عبد الله الحبشي: «لا زكاة في الأثمان غير الذهب والفضة، لأن النبي ﷺ، لم يذكر زكاة في غيرهما، «ويرى أن العملة الورقية» كالدولار وغيره ليست داخلة في قوله تعالى: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة**﴾[1].

● وهذا مخالف لهديه ﷺ، حيث قال لمعاذ – رضي الله عنه – لما انتدبه على أهل اليمن: «فأعلمهم أنّ الله قد افترض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم» فهذا حق الفقراء، وفتوى الحبشي باطلة، لأنها تؤدي إلى

---

(١) بغية الطالب للحبشي، ص ٢٠٧، الطبعة الجديدة.



حرمان الفقير حقه من هذه الأموال.

ومعلوم أن التعامل النقدي، كان مقصوراً على الذهب والفضة، دون غيرهما، ولذلك رأى بعض الأئمة قصر الزكاة عليهما، أما اليوم فقد استبدلا بالعملة الورقية التي تؤدي عملهما من حيث الحقيقة، وجعل الذهب والفضة أرصدة مخزونة لتغطية الأوراق المتداولة نيابة عنهما[١].

● وتجدر الإشارة إلى أنه حتى زكاة الذهب والفضة، التي لا مفر للأحباش من أدائها، فإنهم لا يلبثون أن يستردوها، بطريقة الحيلة على الله، فيعطيها أحدهم لأخيه المستحق للزكاة، ثم يطلب منه أن يهبه إياها أو بعضها من باب الهدية[٢].

٢- التناقض في الفتوى حول أحكام الطهارة:

كان الحبشي قد أفتى بأن الأم إذا لمست بول طفلها أثناء تنظيفه، فإن ذلك يعتبر كبيرة اقترفتها هذه الأم!!.

مما أدى بتلميذاته إلى لبس القفازات «الكفوف» أثناء عملية تغيير الحفايض للأطفال[٣].

● بينما تجوز الصلاة عند الحبشي لمن كان متلبساً بالنجاسة، سواء كانت النجاسة على ثوب المصلي أو بدنه، حتى لو كانت النجاسة من بول الكلب أو

---

(١) موسوعة أهل السنة: عبد الرحمن دمشقية، ج٢/ ص ٩٢٠ - ٩٢١.

(٢) المرجع السابق: ج٢/ ٩٢٢.

(٣) الفتوى مسجلة بصوت الحبشي في شريط خالد كنعان (٤٢٩ / أ)، وانظر: موسوعة أهل السنة/ ج٢/ ص ٩٠٥، والحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص ٧٢.



عذرته، وبذلك فقد ظلم الحبشي «بفتواه هذه» الأطفال، حيث جعل بول الطفل أشد نجاسة من بول الكلب أو عذرته(١).

والحبشي يعتبر هذه الفتوى نفيسة في بابها، رغم أنها تتعارض مع الحديث النبوي الشريف: «لا صلاة إلا بطهور».

● ثم يتابع الحبشي هذيانه بقوله: «أما قشرة البرغوث، أو القملة أو البقة أو نحوها فنجسة غير معفوّ عنها، فلو صلى رجل بشيء من ذلك، فصلاته باطلة، علم بذلك أم لم يعلم»(٢).

كما يكره الحبشي، أن يستعمل الرجل يده عند الاستنجاء، ويرى ذلك أمراً قبيحاً»(٣).

وهذا الذي يسميه الحبشي قبيحاً، كان يفعله رسول الله ﷺ، فعن عائشة - رضي الله عنها -، عن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله يدخل الخلاء، فأحمل أنا وغلام معي إداوة من ماء، وعنَزَة، فيستنجي بالماء» [متفق عليه].

فالحبشي يكره استعمال الماء عند الاستنجاء، ويُسَنّ عنده تقديم الاستنجاء على الوضوء، فإن أخّر الاستنجاء إلى ما بعد الوضوء فصحيح(٤).

●● ومن شذوذات الحبشي، أنه يجوز دخول الحمّام، ولو كان فيه كشف

---

(١) موسوعة أهل السنة ج٢/ ٩٠٥.

(٢) بغية الطالب لعبد الله الهرري الحبشي، ص ١١٩، الطبعة الثانية.

(٣) شريط خالد كنعان «٤٧٠، وجه أ»، الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص ٧٢.

(٤) بغية الطالب للحبشي، ص ٩٦، من الطبعة الجديدة.



العورات، ولا يلزم الإنكار في أمر السوأتين فقط، كما أنه لا ينكر على مَنْ يصلي: «بالكلسون فقط»، وكان جسده مكشوفاً إلا من السوأتين فقط؟![1].

وقد جاء في الحديث الشريف، أن الفخذ عورة، قال عليه الصلاة والسلام: «غطّ فخذيك، فإن الفخذين عورة»[2].

٣- اتباع الحيل لترك الواجبات والقيام بالمحرمات:

كل من يريد الحصول على رخصة بعدم الذهاب إلى صلاة الجمعة أن يبادر إلى أكل بعض الثوم والبصل، لينطبق عليه النهي الوارد في الحديث الشريف: «مَنْ أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته»[3]. (هذا ما يقوله الحبشي)...

فصار تلاميذ الحبشي يأكلون الثوم والبصل، لتحصل لهم الرخصة، وتضيع صلاة الجمعة، وفي هذا ضلال كبير عن الإسلام الحنيف.

قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ ترك ثلاث جُمَع تهاوناً، طبع الله على قلبه»[4].

وقال ﷺ: «لينتهين أقوامٌ عن ودعهم الجمعات «أي تركهم»، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونَنّ من الغافلين»[5].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٩، وانظر: الحبشي شذوذه وأخطاؤه ص (٧٢ - ٧٨).

(٢) رواه البخاري في تاريخه، ج١/ ص١٣.

(٣) رواه الإمام مسلم: الحديث (٥٦٤).

(٤) رواه الإمام أحمد: ٣/ ٤٢٤، والنسائي وابن ماجة والحاكم: ج١/ ١٨٠) ووافقه الذهبي.

(٥) رواه الإمام مسلم: ح/ ٨٦٥ في الجمعة.



● إن هؤلاء المبتدعة يسلكون بتضييع الجمعة مسلك أصحاب السبت من اليهود في اتباع الحيل الممقتوتة.

والمتعمد لحصول الرخصة، هو متعمد للتفلت من حضور الجمعة مهما كان تعليله، فقد أخبر الرسول ﷺ، بأنه على آكل الثوم والبصل أن يعتزل المسجد وأخبر كذلك بأن تارك صلاة الجمعة، يطبع الله على قلبه، فأي الأمرين، أغلظ وأعظم عند الله، وبأي الأمرين نأخذ إن خيِّرنا بينهما؟! ويفهم من الحديث أن نتجنب أكل الثوم والبصل من أجل حضور صلاة الجمعة والجماعة، لا أن نتعمد أكلهما كي نتفلت منهما ونتركهما[١].

● ومن أساليب الأحباش في إباحة السرقة، أن كثيراً من أتباعهم، يلف ويسرق، ثم يأتي بما سرقه إلى بائع «وغالباً ما يكون حبشياً»، ويطلب منه أن يبيعه ما لا يملك هذا البائع، وإنما يبيعه ما سرقه هذا السارق الحبشي؛ وبهذه الطريقة يبيحون لأنفسهم سرقة السيارات والأشياء الثمينة، وأخبارهم في هذا الشأن (في الدانمارك وألمانيا) لم تعد خافية على الناس[٢].

●● وقد حذرنا النبي ﷺ من أئمة الضلال فقال: «إن أخوف ما أخافه عليكم من بعدي الأئمة المضلين»[٣].

وجاء في وصفهم بأنهم: «دعاة على أبواب جهنم، مَنْ أجابهم إليها قذفوه في النار» «وأنهم يهدون بغير هديه»[٤].

---

(١) الرد على الحبشي للشامي/ ص (٣٢ - ٣٥).

(٢) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩٣٢، وشريط (٦)، الوجه (١١٠٠).

(٣) رواه الإمام أحمد: ٥/ ١٤٥، والدارمي: ١/ ٧٠ بإسناد صحيح.

(٤) رواه الإمام البخاري (٧٠٧٤).



٤- تتبعهم لشذوذات الفتاوى وسقطاتها (عند بعض المذاهب):

ومن ذلك إباحة أخذ الربا من الكفار، حيث يزعمون أنه يجوز أخذ مال الكفار في دار الحرب، عن طريق الربا[١].

وهذا ليس من خلق المسلم ولا من هدي رسولنا ﷺ، بل هو من أخلاق اليهود الذين يجيزون أخذ الربا من غيرهم.

وعندما سئل الحبشي عن حكم أخذ الربا في لبنان قال: (هذه دار حرب عند الإمام محمد بن الحسن الشيباني، عنده يكفي لكون الدار دار حرب، إظهار أحكام الكفر على وجه الاشتهار»، قيل له: إذن أخذ الربا جائز؟! أجاب: عنده - أي عند محمد بن الحسن - يجوز، يجوز في لبنان وغيره، في كل بلد يظهر فيها أحكام الكفر على الاشتهار»[٢].

● وله فتاوى أخرى، أجاز فيها سرقة النصارى واليهود، ومقامرتهم واتخاذ أي طريقة، تؤدي إلى سلب أموالهم[٣].

مع أن الأحباش لا يصفون النصارى بأنهم «كفار حربيون» بل يصفونهم بالمواطنين الشرفاء، مع أنهم يسرقونهم، ثم يقولون لهم: نحن معتدلون؟!.

●● «وحينما سئل الحبشي عن قوم عندهم مزرعة، وجيرانهم غير مسلمين، هل يجوز سرقة زروعهم وبقرهم؟!.

---

(١) صريح البيان للحبشي/ ص ٢٦٦، وشريط خالد كنعان في الرد على الحبشي، الوجه الأول (١٦٩).

(٢) شريط خالد كنعان في الرد على الحبشي، الوجه الأول/ ١٦٩.

(٣) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩١٣.



أباح ذلك للسائل، بشرط ألا تودي سرقته إلى فتنة »[1] .

●● وأجاز الحبشي للمسلم، سلب أموال الكفار ولو بطريقة القمار، قال: « ولذلك لو باعهم ميتة أو قامرهم، وأخذ منهم مالاً بالقمار، فذلك المال طيب عند أبي حنيفة ومحمد بن الحسن رحمهما الله »[2] .

●● بينما قال أبو يوسف - رحمه الله -: « لا يحل هذا ولا يجوز »[3] .

وقال الإمام محمد بن الحسن الشيباني - رحمه الله -: « ليس من أخلاق المؤمن الفرار من أحكام الله بالحيل الموصلة إلى إبطال الحق »[4] .

٥- فتوى الحبشي حول مخارج الحروف:

أفتى الحبشي بوجوب تَشْديد مخارج حرفي « السين والصاد » لأنهما من الأحرف المستقبحة في نظره، ثم علّم أتباعه التلفظ بهما بطريقة مستقبحة .

وقد سئم الناس من سلوك الأحباش في المساجد، ومن الوسوسة في التلفظ حتى قالوا: إذا أردت سماع تغريد العصافير، فعليك بالصلاة في مسجد أبي حيدر » .

---

(١) شريط رقم (٢)، وجه ب / ٧٠٩ .

(٢) صريح البيان، ص ١٣٤، وموسوعة أهل السنة، ج٢ / ٩١٨ .

(٣) انظر كتاب الأم للإمام الشافعي: ج٨ / ص ٣٥٨ - ٣٥٩، وموسوعة أهل السنة، ج٢ / ٩١٥ .

(٤) فتح الباري، ج١٢ / ص (٣٢٨ - ٣٢٩) .



● كما شدد الحبشي على تلاميذه في ألفاظ النية، حتى صارت الشغل الشاغل لهم في الصلاة، وشق عليهم أداء تكبيرة الإحرام عند الدخول في الصلاة.

وبذلك شغلهم بالوسوسة عن تدبر التلاوة، واستحضار الخشوع، حتى شكا بعض أتباعه من ذلك.

●● ولم يصح عن النبي ﷺ شيء في ذلك، إنما كان ينوي بقلبه فقط، وكذلك كان يفعل أصحابه[١].

فإذا أقيمت الصلاة، وسمعت الصفير، يخيل إليك أن أحرف «السين» تتطاير في المسجد، وهذا النوع من التكلف، وسوسة من إبليس لتشغيل الموسوسين بها عن تدبر الآيات التي يتلونها في صلواتهم، بل ويشغلون غيرهم من المصلين.

● يذكر ابن الجوزي بأن هذا التكلف قد عرف في عصره فقال:

«وقد لبّس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول: الحمد، الحمد...، وتارة يلبّس عليه في تحقيق التشديد، تارة في إخراج «ضاد» المغضوب عليهم، ولقد رأيت من يقول: «المغضوب» فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده... وكل هذه وساوس من إبليس»[٢].

● ولم يكن التكلف طريقة الصحابة ولا مَنْ بعدهم، بل قد أخبرنا غير واحد من الصحابة» أنهم كانوا قليلي التكلف...

---

(١) الحبشي شذوذه وأخطاؤه: عبد الرحمن دمشقية/ ص (١١٤ - ١١٥).

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي/ ص ١٤٠.



وما يفعله الأحباش مضاد لهديه عليه الصلاة والسلام، فما خيروا بين أمرين، إلا اختاروا أعسرهما وأشدهما تكلفاً، لا عن حرص، ولا من باب الأخذ بالأحوط، ولكن من باب الوسوسة، التي ذمها كثير من الأئمة[1].

●●●

---

(١) الرد على الحبشي: محمد عبد الله الشامي/ ص (٢٩ – ٣١)، وينظر: موسوعة أهل السنة، ج٢/ ٩٣٥ – ٩٣٦.

المبحث الثاني

شذوذات الحبشي في قضايا المرأة

للأحباش فقه عجيب في دعوة المرأة إلى التبرج والسفور، وخروجها متعطرة متزينة، تخالط الرجال الأجانب. والأحباش يقللون من شأن المعاصي، كلمس المرأة الأجنبية، والنظر إليها، وارتدائها الملابس الضيقة الشفافة، وذلك من أجل ترويج مذهبهم بين الشباب المراهق المنحل، وعند أصحاب النفوس المريضة، ولشيخهم فتاوى عجيبة في هذا الموضوع...

●● ونساء الأحباش في ظل هذا الفقه الأعوج، يلبسن الثياب الشفافة الضيقة، بزعم أن الواجب هو ستر البشرة فقط، كما أفتى لهم مشايخهم[١].

وعندما سئل أحد مشايخهم: عن سبب اختلاط النساء الحبشيات بالرجال الأجانب، وهن يرتدين البنطلون الضيق جداً «الجينز» قال: «إننا بذلك نجمع بين الموضة والسترة؟!»[٢].

● وفيما يلي نذكر بعض فتاوى الأحباش الأجنبية:

١ - إباحة النظر إلى المرأة الأجنبية:

قال الحبشي: إن الرسول ﷺ قال لعلي: «إن لك النظرة الأولى، وليست

---

(١) بغية الطالب للحبشي/ ص ١٣٧.

(٢) جريدة: المسلمون العدد (٤٠٧)، لقاء مع نزار الحلبي.



لك النظرة الآخرة » .

وزعم أن (معنى النظرة الأولى تعني أنه إذا وقع نظر الشخص من دون نية تلذذ إلى وجه امرأة، فما عليه ذنب حتى لو استدام هذا النظر، وليس حراماً »[١] .

ثم أكد ذلك بقوله : « وليس في الحديث تعرض لتحريم النظر لو استمرّ واسْتدام بلا شهوة »[٢] .

● وهذا مخالف للكتاب والسنة، إذ أن غضّ البصر من دواعي تحصين الفرج، قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** ﴾ .

ولذلك قال العز بن عبد السلام : « والنظر إلى الأجنبية محرم لكونه وسيلة إلى الزنا »[٣] .

ومعلوم أن النظر إلى الأجنبية سهم من سهام إبليس .

●● وقد استنكر الحبشي فتوى الشيخ فيصل مولوي، بتحريم النظر إلى المرأة الأجنبية، سواء بشهوة أو بدون شهوة، قال الحبشي : « فالعجب من رجل تزيا بزي أهل العلم، وتصدّر بمنصب قاض يفتي للناس، فإنا نطالبه أن يظهر دليلاً »[٤] .

---

(١) بغية الطالب للحبشي/ ص ٢٨٠، الطبعة الجديدة .

(٢) بغية الطالب للحبشي/ ص ٣٦٦، الطبعة الجديدة .

(٣) موسوعة أهل السنة : ج٢/ ٩٤٢، عبد الرحمن دمشقية .

(٤) النهج السوي للحبشي/ ص ٤٣، وانظر الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص ٨٢، لعبد الرحمن دمشقية .



● كما أن الأحباش كفّروا: «الشيخ فيصل مولوي»، وأخرجوه من ملة الإسلام لأنه قال: «لا يجوز التكلم مع البنات، ولو من أجل الدعوة إلى الإسلام.. وحجة تبليغ الدعوة للنساء، هو مدخل من مداخل الشيطان، قد يودي بصاحبه إلى الخروج من الدعوة ومن الإسلام»[١].

فقال الأحباش: «هذا كلام باطل، قائله خرج من الإسلام» وليس غريباً أن يحذر الشيخ فيصل من فتنة الاختلاط بالنساء، حيث إن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وأن الرسول كان يخاف على أمته فتنة النساء[٢].

٢ - وأباح الحبشي للمرأة أن تخرج متزينة متعطرة:

قال قبحه الله: «اعلم أن خروج المرأة متزينة متعطرة، مع ستر العورة مكروه تنزيهاً دون الحرام، ويكون حراماً إذا قصدت المرأة بذلك التعرض للرجال، لتستميلهم إلى المعصية، أما إذا خرجت متعطرة متزينة ساترة ما يجب عليها ستره من بدنها، ولم يكن قصدها ذلك، فليس في ذلك أكثر من الكراهة التنزيهية، أي أنها لا تعصي الله»[٣].

ثم قال: «وأمّا مَنْ فهم من الحديث تحريم التطيب للمرأة, فلا يكون إلا واهماً»[٤].

● وفي هذا معارضة لصريح الأحاديث الصحيحة، فقد نهى النبي ﷺ

---

(١) مجلة الشهاب اللبنانية/ العدد (٩)، وانظر الرد على الحبشي لمحمد عبد الله الشامي/ ص ١٦٠.

(٢) الرد على الحبشي/ ص (١٦٠ - ١٦١).

(٣) بغية الطالب للحبشي/ ص ٤٤٦، الطبعة الجديدة.

(٤) السابق/ ص ٢٦٩.



المرأة الذاهبة إلى المسجد التطيب فقال: «إذا شهدت احداكن المسجد فلا تمس طيباً»، وقال: «أيما امرأة أصابت بخوراً، فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»[(١)].

وفي رواية: «إذا خرجت المرأة إلى المسجد، فلتغتسل من الطيب، كما تغتسل من الجنابة»[(٢)].

● قال ابن دقيق العيد: «إن الطيب إنما منع منه لما فيه من تحريك داعية شهورة الرجال»، وصرح بأن الفقهاء اشترطوا على الخارجة إلى المسجد ألا تتطيب»[(٣)]. وقال الذهبي: «ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة، وتطيبها بالمسك والعنبر»[(٤)].

فأي مقصد أشرف من التطيب للمسجد، ومع ذلك فقد أمر النبي المرأة أن تغتسل من الطيب للمسجد غسلها من الجنابة، فما بالك بالتطيب لغير ذلك؟!

٣- وأفتى الحبشي بجواز خروج المرأة رغماً عن إرادة زوجها:

إذا لم يأذن لها بالذهاب لطلب العلم، بل أجاز لها السفر ولو بغير إذنه لتعلم العلم الديني، واستفتاء المشايخ في أي وقت.

قال: «تخرج بدون رضاه»[(٥)].

---

(١) الحديثان رواهما مسلم - رحمه الله -/ ج١/ ١٩٩.

(٢) النسائي: ٢/ ٢٨٣، والبيهقي: ٣/ ١٣٣، بسند صحيح، ينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: (١٠٣١).

(٣) ينظر: إحكام الاحكام: ١/ ١٩٩.

(٤) كتاب الكبائر/ ص ١٠٢، الكبيرة (٢٨).

(٥) بغية الطالب للحبشي/ الطبعة الجديدة/ ص ٣٤٢.



فالحبشي بذلك يعتبر داعية إلى نشوز المرأة واستطالتها على زوجها، وداعية إلى تحويل ولاء الزوجة داخل البيت، إلى الشيخ نفسه، ويصبح الولاء إليه أعظم من الولاء للزوج[1].

٤- كما أفتى الشيخ الحبشي: أن الحجاب يكون بستر لون الجلد والشعر فقط[2]:

وبناء على هذا يجوز للمرأة اليوم أن تخرج لابسة هذه الثياب الضيقة التي تلتصق بالجسم مثل «الفيزون»، وهو ما تلبسه نساء الأحباش، ولهذا أفتى (نزار الحلبي) أحد مشايخهم، بجواز لبس «الجينز»، وهو السروال الضيق، وكذا السروال المعروف «بالفيزون»، فقال لمن سأله عن ذلك: «نعم فتياتنا يتعطرن ويرتدين «الجينز» لأننا نجمع بين السترة والموضة»[3].

● ولهذا نرى نساء الأحباش يخرجن بزينتهن، وروائح عطرهن تصل إلى آخر الطريق، وهن يلبسن السروايل الضيقة.

وغاب عن الأحباش، أن من شروط لباس المرأة أن لا يشف ولا يصف[4].

قال أسامة بن زيد - رضي الله عنهما -: «كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال: مرْها فلتجعل تحتها غلالة «بطانة» فإني أخاف أن تصف حجم عظامها»[5].

---

(١) موسوعة أهل السنة: عبد الرحمن دمشقية/ ج٢/ ٩٥٠.

(٢) بغية الطالب، ص ١٣٧، الطبعة الجديدة.

(٣) جريدة (المسلمون) العدد (٤٠٧) سنة/ ١٩٩٢م.

(٤) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩٥٢.

(٥) أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ٢٠٥، والبيهقي في سننه: ٢/ ٢٤٣.



• وقالت السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها -، حين قالت لأسماء: « يا أسماء إني قد استقبحت ما يصنع النساء، أن يُطرح على المرأة الثوب فيصفها »[1].

●●●

٥- وأباح الحبشي الاختلاط بين الرجال والنساء:

وأخذ يحشد الأدلة لإثبات جواز هذا الاختلاط، وأنه لا يحرم من الاختلاط إلا ما كان فيه ضم وتلاصق بين الرجل والمرأة، ثم انتهى إلى القول: « فمن أحاديث رسول الله ﷺ، وكلام العلماء، يتبين لنا: « أن اختلاط الرجال بالنساء إن لم يكن فيه خلوة ولا تضام ولا تلاصق، ونحو ذلك لا يكون حراماً »[2].

• والأحرى أن يسمى هذا التضام والتلاصق: « مباشرة ومداعبة ».

وليس اختلاطاً، وهو داخل في باب الزنا ومقدماته، لا باب الاختلاط... والإسلام يحذّر من مراحل الاختلاط كلها سداً للذريعة.

• كما أن الحبشي يجيز محادثة الرجال للنساء، ولو كان لغير حاجة مع جواز التزين والتعطر، وتقصير الثياب إلى السيقان، بل ربما إلى الركبة، مع كشف الشعر، ويعتبر هذا من صغائر الذنوب ومحقراتها.

وبذلك فإن النساء الحبشيات، يلازمْن مجالس العلم مع الرجال، وهن على هذه الصفات...

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٢/ ٤٣، والبيهقي في سننه: ٤/ ٣٤.

(٢) صريح البيان للحبشي/ ص ١٧٩.



ناهيك عن الاختلاط المشتمل على المسامرة والممازحة، وهي من الآفات المشهورة بين الأحباش والحبشيات، ولهذا تجد الفساد في السلوك، والانحلال الخلقي بين أتباع هذا الشيخ (الفتّان) وتابعاته، أكثر من الأوساط الأخرى.

بل ربما تجد بين تلميذاته، من لا تتحجب أصلاً، وإذا سئلت عن ذلك قالت: المهم أنْ تتقن عقيدة التوحيد ،وإن كانت متبرجة، والتوحيد بمفهومهم، هم طبعاً.

ويرى الأحباش أن اجتناب الاختلاط دليل على التطرف والتعسف...؟!

● عموماً فالاختلاط لن يؤدي إلا إلى ما لا تُحمد عقباه، وهو محرم، للنصوص الشرعية الثابتة، ولكونه وسيلة من وسائل الفساد والانحلال، ولا يجوز إلقاء مثل هذه الفتاوى بين العامة وأمام الرعاع، كما يصنع الحبشي وتلامذته[1].

● قال تعالى: ﴿ **وإذا سَألتموهُنَّ متاعاً، فاسألوهُنَّ مِن وراءِ حجابٍ** ﴾.

[الأحزاب: ٥٣]

وقال عليه الصلاة والسلام: « خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها » [أخرجه الإمام مسلم].

فلو جاز الاختلاط لجاز في الصلاة، ومع هذا رغب الإسلام المرأة أن تصلي في بيتها.

---

(١) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩٥٩ ـ ٩٦٠.



٥- قضايا أخرى منحرفة وشاذة:

وقد أفتى الشيخ الفتان، بإباحة كشف الساقين للمرأة[١]، وتلميذاته يكشفن عن سيقانهن لفتوى الضلالة هذه، وهن يزدرين المرأة المحتشمة التي تطيل ثيابها إلى أسفل القدمين، ويعتبرن ذلك من التطرف والتنطع، وإذا سئلن عن ذلك أجبن: بأن الشيخ رخص لهن بذلك، وقد غفلن عن فتوى رسول الله ﷺ، المتعارضة مع فتوى شيخهن.

قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ جرَّ ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة» فقالت أم سلمة - رضي الله عنها -: «إذن تنكشف أقدامهنّ، قال: فيرخين ذراعاً، لا يزدن عليه»[٢].

● وقد جرّتْ فتاوى الحبشي الكثيرات إلى فساد عظيم، حيث خرجت تلميذاته بمظهر يثير الفتنة، وهن بكامل الزينة، وطاب لأتباعه هذا المظهر والنظر إليهن.

●● **ومن فتاوى الشيخ الشنيعة الضالة إباحة مفاخذة النساء[٣].**

فهو يعتبر أن المفاخذة من صغائر الذنوب، وأنه لا يجوز وصفها بالزنا، لأن حد الزنا إما الجلد، وإما الرجم، وما سوى ذلك مما لا حد فيه، لا يجوز تسميته بالزنا.

● وعدم الحد لا يمنع عقوبة أخرى هي «التعْزير»، والتعزير حدٌّ غير محدد،

---

(١) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩٥٣.

(٢) رواه الترمذي (١٧٣١)، والنسائي (٨/ ٢٠٩)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) ينظر: موسوعة أهل السنة، ج٢/ ص (٩٥٤ - ٩٥٥).



وذلك ما يقدره القاضي، وقد أُتي علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – برجل وامرأة كانا في لحاف واحد، فأقام عليهما الحد تعزيراً...[١].

● والأحاديث النبوية تعتبر ما دون ذلك من الزنا، قال عليه الصلاة والسلام: «العين تزني وزناها النظر، والفم يزني وزناه القبل»[٢].

● فوصف ما دون المفاخذة بأنه زنى، مع أنه ليس فيه حد الزنى، والزنا درجات كما نلاحظ، مما يدحض افتراءات الحبشي.

وقد أدت فتاوى الحبشي (وضلالاته) إلى التبرج والسفور، والتعري على شواطئ البحار، بحجة أنها من صغائر الذنوب[٣].

● وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن دمشقية، وهو خبير بأمور الأحباش، وكتب عنهم الكثير، فقال: «حدثني بعض الإخوة في الدانمارك، أنّ من أتباع الحبشي، من يخرجون في بلاد الكفر مع النساء، فيزنون بهن «نكاية في دينهنّ – كما يزعمون» وهو اتباع للهوى والشهوة، وتزيين من الشيطان، كما قال تعالى: «الشيطان سول لهم وأملى لهم»[٤].

●● كما اعتمد أحد الأحباش على فتوى شيخهم لفتح ناديه على الشاطئ، إذ أفتاه أن التعري على الشواطئ من الصغائر[٥].

---

(١) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩٥٤، عبد الرحمن دمشقية.

(٢) رواه الإمام البخاري، برقم (٦٦١٢)، و (٦٦٤٣).

(٣) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩٥٤ – ٩٥٥.

(٤) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩٥٥، والحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص ٨٧، لعبد الرحمن دمشقية.

(٥) الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص ٨٧.



وقفة قصيرة مع الفتاوى الحبشية:

بعد استعراضنا لبعض ضلالات الحبشي، نتساءل:

ماذا يريد هذا الرجل من ضلالاته؟ وما المبررات التي يذكرها، وما منهجه في هذا التحريف؟!.

● يتمسك الحبشي بالمسائل المختلف فيها، ويختار المرجوح الشاذ منها، ويحتج على المعترضين بأن في المسألة خلافاً، ولا يحق الإنكار فيما هو مختلف فيه.

وهذا غير صحيح، فكل ما خلاف النص الصريح الثابت، ينكر على صاحبه مهما كان مقامه، وقاعدة: «لا إنكار في مسائل الخلاف» صار ذريعة إلى سد باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

●● ويعمد الأحباش إلى التحريف في الكتب التي تؤيدهم، فيحذفون منها صفحات وصفحات، ومن ثم يحتمون بكتب منحولة على الأئمة لم تصح نسبتها إليهم، مثل: تحريفهم لكتاب الفقه الأكبر المنسوب إلى الإمام الشافعي «وهو غير الفقه الأكبر المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة» وتحريفهم لكتاب (التمهيد) للباقلاني، كما حرفوا كتاب (الكفاية) للشيخ الفاخوري، وكتاب (البيهقي)، الأسماء والصفات[٢].

●●● واستغلوا حالة الإحباط في الحرب الأهلية في لبنان، كما استغلوا قضايا الجنس لدى المراهقين والمراهقات، فجذبوهم إليهم،، بالمغريات

---

(١) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩٦٥ - ٩٦٦.

(٢) السابق: ج٢/ ١١٩١ - ١١٩٨ (بإيجاز).



والشهوات . .

« وقد أثبتت التجارب، أن بعض الشباب يبحث عن الطوائف والأحزاب التي تضم الإناث إلى صفوفها، وتسهل علاقتهن مع الذكور .

● وها هي نساء الأحباش تغنّي في إذاعة « نداء الإيمان »، بطريقة مثيرة . . . فنشر الجنس يستقطب الشباب وأصحاب النفوس المريضة، وهم يتخذون من فتاوى الشيخ « الفتان » « وخادم الشبهات » ذريعة وستاراً، ظاناً أنه لن يُسأل عنها يوم القيامة . . . »[1]

وقد سبقهم إلى هذا المسلك في اتخاذ الجنس وسيلة لإكثار سوادهم، الجماعات اليسارية والقومية في البلاد العربية ولكنّ أمرهم إلى بوار . . .

وليعلم الحبشي وأنصاره، أنهم مسؤولون عن هذا الفساد الكبير الذي يضلون به الجهلة والمغرر بهم ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) ﴾ [النحل : ٢٥] .

●● ويبقى الاحتمال الكبير في سلوك الحبشي، ودأبه على نشر ضلالاته، وهي مخالفة للنصوص القطعية، ومما هو معلوم من الدين بالضرورة، أنّ وراءه جهات مشبوهة، تريد التخريب باسم الإسلام، وتحت واجهات مشايخ أدعياء، وقد ذكر بعضهم شيئاً من هذه الصلات المريبة، لكننا لم نقطع بذلك بعد، وسوف (يأتيك بالأخبار مَنْ لم تزود » والله أعلم[2] .

---

(١) ينظر موسوعة أهل السنة، ج٢ / ٩٦٢ - ٩٦٣ بتصرف يسير .

(٢) المرجع السابق، ج٢ / ص ٩٦٢ وما بعده بإيجاز .



الفصل الرابع

المؤسسات والأنشطة المشبوهة

أكثر الأحباش من لبنان، وهناك قلة من الجنسيات الأخرى، وقد امتد الأحباش إلى سوريا والأردن، كما بدأوا أخيراً في تكوين نشاط لهم في بعض الدول الغربية، وأكثر أتباع الحبشي، هم شباب متعصبون لشيخهم ولمذهبهم، المبني على كثير من الاعتقادات الفاسدة والشذوذات الفقهية[1].

وللأحباش نشاط متنوع، وهم يُدعمون مالياً وحكومياً بشكل لافت للنظر.

وسوف نوجز فيما يلي الحديث حول أبرز مجالات نشاطهم:

١- المؤسسات والأنشطة المختلفة:

كالمشاريع الخيرية والثقافية، والمدارس ووسائل الإعلام، والأندية الرياضية، إضافة إلى فرق الغناء والطرب.

٢- نشاطهم في المساجد: وإثارة العنف والشغب فيها.

٣- نشاطهم خارج لبنان:

في بعض الدول العربية، وعدد من الدول الغربية.

---

(١) مجلة البيان، العدد (٦٢٤)، محمد الشيخ عثمان، ٢٦/ شوال عام/ ١٤١٣هـ.



« ١ »

المؤسسات والأنشطة المختلفة:

أكثر الأحباش من المؤسسات والمشاريع لبث أفكارهم وانحرافاتهم الخطيرة مثل:

١ - جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية[١]:

أسست عام/ ١٩٨٣م ومركزها بيروت، ولها فروع في عدد من دول العالم، كالأردن وأستراليا والسويد وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وروسيا... وغيرها.

ويبلغ عدد هذه الفروع «٣٣ فرعاً».

وهي جمعية مشبوهة، هدفها المعلن التعليم الديني، وبناء المساجد والمدارس ومساعدة الفقراء، بينما هي تروج للمبادئ المنحرفة لهذه الجماعة.

٢ - المدارس:

أنشأ الأحباش مدارس خاصة لجميع المراحل الدراسية، ويقيمون فيها دورات صيفية دينية، إضافة إلى التعليم الشتوي، حتى ينشروا عقيدتهم بين أبناء المسلمين، وقد انتسب إلى مدارسهم مئات الطلاب في شتى المراحل، ومن أمثلة هذه المدارس: «مدارس الثقافة» في كل من بيروت وطرابلس وبعلبك[٢].

---

(١) مجلة المجلة العدد «٦٧٩»، في (١٠ - ١٦) من الشهر الثاني لعام/ ١٩٩٣م، ومجلة البيان: العدد (١١١) / ص ٩٣/ من مقال لعبد الرحمن الحجاج.

(٢) مجلة البيان. العدد (١١)، ص ٩٣.



وقد انتشرت مدارسهم في بقاع لبنان كلها، وينفقون عليها الأموال الطائلة، حتى صارت «باصاتهم» تملأ المدن، وأبنية مدارسهم تفوق سعة المدارس الحكومية، وينفقون عليها إنفاق مَنْ لا يخشى الفقر.

وهم ينشّئون الأطفال» أول نشأتهم على «احذروا المكان والحيّز لله» «احذروا رجلاً كافراً اسمه ابن تيمية» وغير ذلك من ضلالاتهم[1].

٣- وسائل الإعلام:

كان للأحباش إذاعة محلية خاصة بهم، تبث برامجها من بيروت، وينشرون من خلالها إباحيتهم وغثاءهم.

ولهم مجلة شهرية باسم «منار الهدى» تقوم بنشر مذهبهم، وفي الطعن في أئمة المسلمين وعلمائهم، كما تقوم بعض المجلات والصحف المحلية والدولية بعقد لقاءات ومقابلات مطولة مع أقطابهم، بهدف الدعاية لهم، والترويج لهم، والثناء عليهم.

كما فعلت جرائد «السفير والنهار والأنوار» ومجلة الوطن العربي، والأسبوع العربي، وغيرهما من الصحف والمجلات.

وللأحباش نشاط كبير في (التلفاز) اللبناني، وغيره من القنوات الخاصة بلبنان، حيث تُعرض اللقاءات والدروس، الخاصة بهم، كما يقوم الأحباش بتشغيل محطة تلفزيونية خاصة بهم.

وللكتب والأشرطة والنشرات، دور بارز في ترويج مبادئ هذه الجماعة، ونشر معتقداتها، من ذلك مؤسساتهم «كمركز الأبحاث والخدمات الثقافية في

---

(١) الحبشي شذوذه وأخطاؤه: عبد الرحمن دمشقية/ ص ٤٢.



بيروت»[١] .

٤- الأندية وفرق الغناء والطرب :

يعتمد الأحباش على وسائل اللهو، وإنشاء فرق للغناء المتحلل، والإنشاد الديني - كما يزعمون -، ولهم في لبنان عشرون فرقة للغناء والأناشيد، وتعتمد أناشيدهم الدينية على ترسيخ عقائدهم المنحرفة، مثل :

«نفي العلو لله تعالى» حيث ينشدون : «الله ليس في السماء، وليس له مكان»، كما تبث أناشيدهم الشرك بالله، حيث يحرصون على نشر أشعار غلاة التصوف، كالبوصيري وابن الفارض وغيرهما .

● وللأحباش فرقة كبيرة يرأسها «المايسترو شماعة»، حيث يتقربون إلى الله بالدف والرقص، الذي يجتمع عليه المتبرجات من النساء اللواتي يختلطن بالرجال، ويصفق الجميع على الإيقاعات الموسيقية «الإسلامية»، وهذا كله مسجل في أشرطة الڤيديو .

● وقد أصبحت هذه الفرقة وسيلة من وسائل التقرب إلى الحكام، فهم يغنون وينشدون لهم، ويتقربون ممن لا يحكم بما أنزل الله، وينزل أشد أنواع العذاب بالمؤمنين .

ورغم ذلك كله، فالأحباش يزعمون أنهم على مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله -، والشافعي منهم بريء، وهم يدعون أنهم على الطريقة الرفاعية، وفي ذلك بعض الصحة، من حيث كثرة الشعوذة والبدع والدجل[٢] .

---

(١) مجلة البيان : العدد (١١١)، ص ٩٤/ عبد الرحمن حجاج .

(٢) الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص (٣٤ - ٣٥)، لعبد الرحمن دمشقية/ مع تصرف يسير .



●● وقد أنشأ الأحباش عدداً من النوادي الرياضية، مثل نادي الفوز الرياضي في طرابلس، ومجمع ناجي الرياضي، في طرابلس أيضاً، وهي أندية مختلطة للرجال والنساء.

ويهتم الأحباش كثيراً بالألعاب الرياضية المختلفة، مثل كرة السلة، وكرة القدم والكاراتيه... وغير ذلك من الألعاب، لجذب الشباب والفتيات إليهم، والتودد إليهم، وتسريب عقائدهم المنحرفة إليهم.

ويركز الأحباش على النساء خاصة، لأن للمرأة تأثيراً كبيراً في المجتمع سلباً أو إيجاباً[١].

وخلاصة القول: فإن الأحباش على سذاجة دعوتهم، وقلة علمهم ينتشرون بسرعة عجيبة، وقد يكون من أسباب ذلك ما لديهم من إمكانيات اقتصادية هائلة، واختيارات واسعة، يأخذ كل صاحب هوى ما يوافق هواه، إضافة إلى ما تعلنه هذه الطائفة عن ولائها المطلق لكل حكومة لا تحكم شرع الله[٢].

● يقول النائب البرلماني «عدنان الطرابلسي» عن الأحباش وهو منهم: «نريد أن نقول للمتوجسين والخائفين: إننا ندعو للانفتاح والتفاهم.. نحن لسنا أصوليين بالمعنى السلبي للأصولية، هذه الأصولية المزعومة المراد منها الكرسي والزعامة والتخريب.

لا لهذه الأصولية التي تكفر حكام العرب والمسلمين، لمجرد أنهم حكموا بالقانون، من غير أن يعتقدوا أن القانون خير من القرآن»[٣].

---

(١) مجلة البيان، العدد ١١١، ص (٩٤ - ٩٥)، عبد الرحمن عبد الله الحجاج.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص ٤٥ - ٤٦.



●● وقد أثرت دعوة الحبشي في الناس، بسبب حماية أولي الأمر لهذه الفرقة، وضرب كل من يتصدى لها.. فهاهم الآن يمتلكون أكبر مركز للمخطوطات، وأكبر أجهزة للأبحاث، ومنها: مركز الأبحاث والخدمات، وجمعية المشاريع الإسلامية للخدمات...

ويقوم بالإشراف على التحقيق والمخطوطات كل من: كمال الحوت، عماد الدين حيدر، وعبد الله البارودي، وقد بدأوا يحققون كتب التراث تحقيقاً جهمياً، ويحيلون إلى أسماء غريبة، لا يعرفها طلاب العلم...

ويظهر أن قدوم الحبشي أمر مدبر، فهو رجل فتّان، ذو سوابق خطيرة، وخبرة في إثارة الفتن[1].

● وقد يكون وراء هذه الطائفة هدف سياسي مدبر، وقد تحقق أكثر ذلك، إذ تخرج الخريجون على عقيدة هذا الرجل، وبرز منهم أناس جدليون، على نسق أهل الكلام الأوائل، كبشر المرّيسي والعلاّف والقاضي عبد الجبار، من كبار المعتزلة.

والأحباش متهورون، شديدون على أهل السنة، حتى أنه يستفزونهم أينما ذهبوا، ويهددونهم بالقتل ليل نهار...

كما أنهم يطرقون بيوت الناس، ويلحون عليهم لتعلم العقيدة الحبشية، ويوزعون عليهم كتب شيخهم بالمجان، وهم يخصصون مكافآت كثيرة للألوف من دعاتهم، مما يثير قلق المراقبين لمسيرتهم الخطيرة على الإسلام والمسلمين، ليس على صعيد لبنان فحسب، بل على صعيد العالم كله، فقد انتشر أتباعه في أوربا

---

(١) الحبشي شذوذه وأخطاؤه: الشيخ عبد الرحمن دمشقية/ ص ٤١.



وأمريكا، وأثاروا القلاقل هنالك، ويتساءل الناس عن الممول الذي يغمرهم بالأموال من غير حساب[1].

(٢)

نشاطهم في المساجد وإثارة الشغب فيها:

لقد دأب الأحباش على دخول المساجد، يُحْدثون فيها التشويش مع سب المخالفين، وتهديدهم بالسلاح، بل وإطلاق النار أحياناً.

وقد لا يصلون وراء الأئمة في المساجد، فينشقون عن جماعة المصلين، ويشوشون على الخطباء ويقاطعونهم، حتى أثناء خطبة الجمعة، كما فعلوا ذلك مع المفتي الشيخ (حسن خالد) رحمه الله، وقد كفروه وهو يخطب الجمعة قائماً على المنبر.

وليس هذا غريباً، فالأحباش يثيرون الخصومات والجدل في المساجد، كما أنهم يفسقون ويكفرون الكثير من الأئمة فيها، وينادرن بذلك علناً[2].

● وهناك كثير من المساجد افتعلوا فيها المشاكل، ورفعوا السلاح وأطلقوا النار على المصلين، كمسجد حمد ومسجد صيدا، وزقاق البلاط.

ونشير على وجه الخصوص، إلى الجرائم التي اقترفها الأحباش في مسجد «الجامعة العربية»، حيث دخلوا المسجد، وطعنوا ما يزيد عن «١٣ مصلياً»،

---

(١) المرجع السابق/ ص ٤٢.

(٢) الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص ٣٢.



وكان أحد الأحباش يستصرخ أصحابه عند باب المسجد منادياً «حيَّ على الجهاد».

وقد أُغلق المسجد منذ ذلك الوقت حتى اليوم، لأن أعداء المسلمين لم يرق لهم أن يرَوْا جامعة علمانية، يتردد جامعيون إسلاميون على مسجد بجوارها، فاستعانوا بالأحباش لاختلاق المبررات لإغلاق المسجد[١].

● وقد حاول الأحباش توريط الجماعة الإسلامية في لبنان في عدد من القضايا، فكم من مكيدة دبروها لكثير من الدعاة، أدت بهم إلى السجن، أو النفي والهجرة من الوطن، ومنهم من قتل ظلماً.

وكم من مسلم أسلموه للعدو، وكم هددوا وتوعدوا المصلين، وانتهكوا الحرمات في المساجد، وتطاولوا على أئمتها، حتى انصرف كثير من المصلين عن أداء صلاة الجمعة في المساجد بسبب أذى هؤلاء[٢].

●● وكان مما أوصى به نبينا ﷺ أمته: «أنْ لا يمشوا ببريء إلى ذي سلطان»[٣].

وأوصى عليه الصلاة والسلام: «أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٤].

والأحباش إذا لم يستطيعوا منع إمام المسجد من إمامة المصلين، تظاهروا

---

(١) المرجع السابق/ ص ١٢٣.

(٢) الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص ١٢٤.

(٣) رواه الحاكم: ١/ ٩، وقال الذهبي: صحيح لا نعرف له علة.

(٤) صحيح متفق عليه صحته.



بالانشغال بصلاة نفل، فإذا انتهى الناس من الصلاة، أقاموا جماعة أخرى[١].

(٣)

نشاطهم خارج لبنان:

لقد نجح الحبشي في خرق الصف، وشق عصا المسلمين، وإثارة الخصومات خارج لبنان، وفي أنحاء متفرقة من العالم، حيث يحلون بين الجاليات الإسلامية، مثل أستراليا «حيث ولد الحبشي» هناك، وفي الدانمارك وألمانيا وكندا وأمريكا[٢].

● وقد أثار الأحباش في ديار الغرب فتنة حول الاتجاه الصحيح للقبلة، وزعموا أن الناس في أمريكا وكندا يتجهون إلى غير جهة الكعبة، التي يتوجه إليها المسلمون هناك، حتى صار للأحباش مساجدهم الخاصة بهم، وقد انحرفت قبلتهم عن الاتجاه المعروف بتسعين درجة.

ومع أنهم لم يفعلوا ذلك في لبنان، إلا أنهم ينحرفون إلى جهة اليمين قليلاً مما جعلهم يضايقون المسلمين في الصلاة، ويثيرون الجدل فيها[٣].

● وقد صدر في أمريكا كتاب يرد عليهم، ويبطل استدلالاتهم الفاسدة، التي أثارت موجة من القلاقل وسخرية الكفار من المسلمين، وذكر صاحب

---

(١) الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص (١٢٤ - ١٢٥).

(٢) الحبشي شذوذه وأخطاؤه/ ص ١٢٥.

(٣) موسوعة أهل السنة: ج٢/ ٩٣٧.



الكتاب، أنه تم طرد أتباع الحبشي من عدد من ولايات أمريكا، عندما حاولوا تغيير اتجاه القبلة، من الجهة الشمالية الشرقية إلى الجهة الجنوبية الشرقية[1].

●● وقد امتد نشاطهم إلى سوريا والأردن، حيث يعملون تحت غطاء جمعية الثقافة في الأردن.

وازداد نشاط الأحباش في الأردن «حتى عبرت أوساط سياسية وبرلمانية في الأردن عن قلقها وانزعاجها من اتساع نشاط حركة الأحباش «الهرريون» في الساحة الأردنية، وتسامح الجهات الرسمية معها، في الوقت الذي تتعرض فيه حركات سياسية أخرى للتضييق...».

«وقد قام عدد من نواب البرلمان الأردني مؤخراً بحملة لجمع التواقيع على مذكرة نيابية للتقدم بها إلى مجلس النواب، للمطالبة بعقد جلسة خاصة لمناقشة نشاط الحركة، ومصادر تمويلها التي يصفونها بالمشبوهة، مع تغاضي الحكومة عن نشاطها، ومنحها مساحة تحرك واسعة...

وأشار النواب إلى أن المذكرة ستطالب الحكومة وبالتحديد وزارة الأوقاف، بفتح ملف جمعية الثقافة العربية الإسلامية، وهي الواجهة المعلنة لحركة الأحباش في الأردن، والتي ينفذون من خلالها نشاطاتهم».

«كما تطالب المذكرة الحكومة بالتقدم بما لديها من معلومات حول وجود الحركة في الأردن، ومصادر تمويلها وتوجهاتها ومرجعياتها، والتسهيلات الحكومية الممنوحة لها...».

«وقد أشار النواب المعترضون إلى الفتاوى والمخالفات الدينية المنحرفة، ومنها

---

(١) السابق/ ج٢/ ٩٣٩.



شتم الصحابة وجواز أخذ الربا من الكفار، وتكفير شخصيات إسلامية كابن تيمية وسيد قطب وغيرهما... وعبر هؤلاء النواب عن استيائهم من فتح وزارة الأوقاف (ووزير الأوقاف: عبد السلام العبادي) الأبواب للأحباش للسيطرة على منابر المساجد التي يستغلونها لنشر أفكارهم ومخالفاتهم». «ويدافع العبادي عن معتقدات الأحباش وخاصة التكفير، وقضية خلق القرآن، وأن القرآن ليس كلام الله».

●● «وكان وجود الأحباش في الأردن قد بدأ منذ منتصف الثمانينيات بعد وفود عدد منهم من لبنان، وتزايد نشاطهم في بداية التسعينيات، حيث انتشروا في عدد من مساجد العاصمة عمان، وانتقل نشاطهم إلى غالبية المدن الأخرى، وحصلوا على ترخيص من وزارة الثقافة لإنشاء واجهة لممارسة نشاطهم، وأجيزت كتب مؤسس الحركة (عبد الله الحبشي) من وزارة الأوقاف وسمح بتداولها، رغم ما تتضمنه من انحرافات عقدية وفقهية، وتهجم على عدد من الصحابة وعلى رموز العمل الإسلامي...»[1].

● **وعاد نشاط الأحباش إلى القطر السوري، بعد أن غادره عبد الله الحبشي إلى لبنان**، حينما لم يلق رواجاً لأفكاره المنحرفة هناك، بعد تصدي الشيخ ناصر الألباني - رحمه الله - له، وذلك عام/ ١٩٥٠م[2].

●● ونشاطات الأحباش مسموح بها في سوريا، وقد أقيمت مهرجانات صداقة مع كشافة لبنان ومنظمات الشبيبة بين القطرين، وتسيطر الدولة على هذه

---

(١) ينظر: مجلة المجتمع، العدد «١٤٤٠» مقال من عمّان لأسامة عبد الرحمن/ في الرابع من ذي الحجة/ ١٤٢١هـ - ٢٧/ ٢/ ٢٠٠١م.

(٢) مجلة البيان، العدد «١١٠»/ ص ٦٩.



النشاطات عن طريق الأحباش.

فيأتي سنوياً آلاف من أبناء لبنان وبناته، للاشتراك في نشاطات مشتركة كزراعة الأشجار مثلاً.

وفي المساء تقام حفلات الرقص الصاخب، والغناء المائع في أوساط الشباب والفتيات، وهم في سنّ المراهقة.

وهذا أمر يبثه التلفاز السوري يومياً، خلال أيام المهرجانات ولو بشكل موجز.

ويتولى الدكتور (عدنان طرابلسي) النائب اللبناني، وهو من طائفة الأحباش، رئاسة الاتحاد الكشفي العربي، وهي منظمة بعثية حبشية لبنانية[1].

(٤)

أقوال العلماء في جماعة الأحباش:

أفتى عدد من العلماء بضلال الحبشي وجماعته، فجاء في فتوى لهيئة كبار **العلماء في السعودية حول التحذير من الحبشي وفرقته وضلالاته القول:** «ظهرت في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري جماعة يتزعمها (عبد الله الحبشي) الذي نزح من الحبشة إلى الشام بضلالته، وتنقل بين دياره، حتى استقر به المقام في لبنان، وأخذ يدعو الناس إلى طريقته، وينشر أفكاره التي هي أخلاط

(١) هذه النشاطات معروفة لدى الناس في سوريا، يتناقلها المسافرون والمهتمون بهذه القضايا.



من اعتقادات الجهمية والمعتزلة والقبورية والصوفية، ويتعصب لها، ويناظر من أجلها، ويطبع الكتب والصحف الداعية لها.

والناظر فيما كتبته ونشرته هذه الطائفة، يتبين له بجلاء أنهم خارجون في اعتقادهم عن جماعة المسلمين «أهل السنة والجماعة» في مسائل الإيمان، وقضايا الصفات، وفي موقفهم من الصحابة».

●● «وبناء على ما تقدم ذكره، **فإن اللجنة تقرر ما يأتي:**

١- أن جماعة الأحباش فرقة ضالة خارجة عن جماعة المسلمين «أهل السنة والجماعة» وأن الواجب عليهم الرجوع إلى الحق الذي كان عليه الصحابة والتابعون، في جميع أبواب الدين، في العمل والاعتقاد، وذلك خير لهم وأبقى.

٢- لا يجوز الاعتماد على فتاوى هذه الجماعة، لأنهم يستبيحون التدين بأقوال شاذة، بل ومخالفة لنصوص القرآن والسنة، ويعتمدون التأويلات البعيدة والفاسدة لبعض النصوص الشرعية، وكل ذلك يطرح الثقة بفتاويهم، والاعتماد عليها من عموم المسلمين.

٣- عدم الثقة بكلامهم على الأحاديث النبوية، سواء من جهة الأسانيد، أو من جهة المعاني.

٤- يجب على المسلمين في كل مكان الحذر والتحذير من هذه الجماعة الضالة، ومن الوقوع في حبائلها تحت أي اسم أو شعار، واحتساب النصح لأتباعها والمخدوعين بها، وبيان فساد أفكارها وعقائدها»[(١)].

---

(١) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم «١٩٦٠٦» وتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٤١٨هـ.



● وقد حذر العلماء من ضلالات الحبشي، وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - حيث يقول: «إن هذه الطائفة معروفة لدينا، فهي طائفة ضالة، ورئيسهم المدعو عبد الله الحبشي، معروف بانحرافه وضلاله، فالواجب مقاطعتهم وإنكار عقيدتهم الباطلة، وتحذير الناس منهم، ومن الاستماع لهم أو قبول ما يقولون»[1].

●● كما رد على الأحباش عدد من الدعاة والكتاب من هؤلاء:

- الشيخ محمد عبد الله الشامي في كتابه «الرد على عبد الله الحبشي».

- والشيخ عثمان الصافي في رده على الشيخ الحبشي.

- والشيخ عبد الرحمن دمشقية في كتابه: الحبشي شذوذه وأخطاؤه، وفي موسوعة أهل السنة في نقد أصول فرقة الأحباش (مجلدان) له أيضاً.

- والشيخ أسامة القصاص - رحمه الله - في رده: استواء الله على العرش.

●●●

● أما الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فله رأي آخر، يخالف فيه جميع العلماء والهيئات المشهود لها بالعدل والاستقامة، فيقول رداً على سؤال موجه إليه في موقعه على الإنترنت[2]:

- «فرقة الأحباش، ينسبون أنفسهم إلى العقيدة الأشعرية، فهل هم

(١) هذه فتوى أرسلها سماحة الشيخ ابن باز في معرض جوابه للجالية الإسلامية اللبنانية في «استراليا» عام/ ١٤٠٦هـ بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ١٤٠٦هـ.

(٢) ينظر موقع البوطي على الانترنت: http//www.bouti.com



صادقون في انتسابهم هذا؟!».

قال البوطي: «الذي أعلمه أنهم من أهل السنة والجماعة، والأشاعرة والماتريدية، هم سدى ولحمة أهل السنة والجماعة، والسواد الأعظم الذي أمر رسول الله باتباعه؟!

هذا بقطع النظر عن وقوعهم، أو وقوع غيرهم في أخطاء في النظر والاجتهاد، إذ ما منّا إلا من رد ورد عليه».

فكأن الدكتور الموقر لم ير ولم يسمع الفتاوى الشاذة والعقائد الباطلة، التي كان الحبشي ينشرها هو وأتباعه بين المسلمين، وما يزالون في غيهم سادرين.

وحتى ادعاؤهم، بالانتساب للأشاعرة غير صحيح، وكذلك انتسابهم إلى الإمام الشافعي فيه تدليس وإيهام، وقد بينا ذلك في الفصول السابقة - والله أعلم -.





الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، وعلى آله وأصحابه، ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد رصدنا من خلال هذا البحث أبعاد المؤامرة على بلاد الشام، تلك المؤامرة التي حيكت خلال نصف قرن من الزمن، عن طريق تغلغل التيارات الفكرية المسمومة وضلالات العقائد الهجينة.

● وشهدنا خلال عقود خلت هيمنة المشروع العلماني، الذي انطلق في بلادنا كالطوفان الجارف، وهو لا يعدو أن يكون محاكاة ممسوخة للتيارات الليبرالية الغربية، أو المفاهيم الماركسية الملحدة، تحمّل وزرها أناس من بني جلدتنا باسم التقدمية والتحديث، فكانت النتائج مريرة، وحصدنا العلقم والخراب خلال تطبيقها.

حيث انهارت الأخلاق، وشاع الإلحاد، وانتُهكت المقدسات.

● وسقطت أصنام متعددة، خلال عقود خلت، فشهدنا سقوط الصنم القومي، والصنم الثوري الاشتراكي، وشهدنا سقوط رائد القومية والتقدمية والوحدة.

سقطت كل أقنعة الرايات والزعامات، والمناهج العلمانية الجاهلية، وظهر لآحاد الناس أنهم لم يفلحوا في السلم بعد الحرب.



لقد كفر الناس بهذه الأصنام كلها، وأيقنوا أن بعدهم عن الإسلام هو سبب هذه الهزائم المتكررة، وعاد الشباب إلى دين الله أفواجاً، بعد أن سقطت شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية، وعانى المواطنون آلام التفرق والفقر، ومظالم قانون الطوارئ.

كما سقطت وعود الثوريين في تحرير فلسطين، فكانت الهزائم والتنازلات، وطلب الحماية من النصارى على اليهود!!.

● وغدا الأدب أحد أدوات الغزو الفكري، فتم توظيفه في خدمة المباديء الهدامة، والتآمر الشنيع في إفساد الأجيال الناشئة، فقد أشاع شعراء الحداثة، والمدارس الحديثة، أدب الجنس والتمرد والردة، كما دعا بعضهم إلى سيادة مفاهيم الماركسيين، وشذاذ الآفاق والهدامين.

ولاحظنا دعماً قوياً مشبوهاً من جهات غربية لرموز هذه المدارس الأدبية الحديثة، ومدّ يد العون ليستمر إنتاجهم ومجلاتهم.

●● وقد ساهم الأحباش في التخريب العقدي والأخلاقي من خلال إفساد الأجيال الناشئة، عقيدة وسلوكاً، وإحياءً للفرق الضالة التي درست ونسيها الناس.

●● لقد ملّ الناس هذه التيارات المنحرفة، وكفروا بتلك الشعارات الخداعة، وعاد الشباب إلى دين الله أفواجاً.. وبدأوا يتلمسون السبل للنهوض بهذه الأمة من كبوتها، والعودة إلى سابق تألقها ومجدها.

وبدا لهم أن الخلاص لن يكون سهلاً، وأن دروبه مضنية ومليئة بالعوائق، وأن اجتيازها لا يكون إلا بالعودة الصادقة إلى دين الله، وأن اجتيازها لا يكون



إلا بالعودة الصادقة إلى دين الله، والالتحام بالعقيدة الصافية.

● فلا بد من العودة إلى التربية الإيمانية العظيمة التي تبني الإنسان، وترفعه فوق زخارف الدنيا وأهوائها، وتغرس في نفسه محبة المؤمنين وموالاتهم، وكره المشركين والمنافقين ومعاداتهم.

- لا بد من عودة جادّة إلى صفاء المنهج الإسلامي في التربية، كما تلقته الأجيال الأولى في مطلع الدعوة النبوية في رحاب مكة المكرمة، وجنبات طيبة الطيّبة.

- ومن المهم تبيان المناهج المنحرفة، والتيارات الضالة التي أودت بأمتنا إلى مهاوي الذل والهوان..

ولعل هذا الكتاب يكون قد وضع بعض اللبنات في الطريق الصحيح.. وكشف أبعاد هذه المؤامرة، التي ألقت بثقلها على بلادنا منذ زمن بعيد.

- لابد من السعي الحثيث نحو التخلص من آثار المؤامرة وتياراتها ورموزها، بالتربية السليمة، والفهم العميق، وليس ذلك على الله بعزيز.

● وأخيراً: لا يسعني إلا الدعاء إلى الله، بأن يردنا إلى ديننا رداً جميلاً، وأن يلهمنا الرشد والصواب، والإخلاص في القول والعمل.

«والحمد لله رب العالمين».



فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

«أ»

١ - الاتجاه الأخلاقي في الإسلام: د. مقداد يا لجن ـ مكتبة الخانجي بمصر، عام/ ١٣٩٢هـ.

٢ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة: بيروت/ ١٤٠٣هـ.

٣ - الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين - نشر الدار المتحدة - بيروت - الطبعة الثانية.

٤ - الآثار الكاملة لأدونيس/ طبعة دار العودة - بيروت/ ١٩٧١م.

٥ - أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية، خادم حسين إلهي - بخش/ الطبعة الأولى - دار حراء للنشر.

٦ - أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام: محمد الناصر - دار الرسالة بمكة، عام/ ١٤١٣م.

٧ - أخطاء المنهج الغربي الوافد - أنور الجندي/ دار الكتاب اللبناني/ ١٩٧٤م.

٨ - أدب الردة (قصة الشعر العربي الحديث): جمال سلطان، مركز الدراسات



الإسلامية – برمنجهام: بريطانيا/ ١٤١٢هـ.

٩ – الأسطورة في الشعر العربي الحديث: د. أنس داوود.

١٠ – الإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي/ طبعة دار الاعتصام/ القاهرة.

١١ – الإسلام والحضارة الغربية :د. محمد محمد حسين/ مؤسسة الرسالة/ ١٩٨٢م.

١٢ – الإسلامية والمذاهب الأدبية: د. نجيب الكيلاني/ الطبعة الثانية/ مؤسسة الرسالة – بيروت/ ١٤٠١هـ.

١٣ – الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم – دار الصحوة للنشر/ مصر/ ١٩٨٥م.

١٤ – الاشتراكية في التجارب العربية: طائفة من المفكرين – نشر دار الكتاب الجديد– لبنان/ ١٩٦٥م.

١٥ – الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام: عبد الله التل – ط٢/ ١٩٧١م – نشر المكتب الإسلامي.

١٦ – الاعتصام للإمام الشاطبي – مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

١٧ – الأعلام «تتمة» جزءان: محمد خير رمضان يوسف/ دار ابن حزم – بيروت/ ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

١٨ – إعادة النظر في كتابة العصريين في ضوء الإسلام: أنور الجندي.

١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة: لمعين بسيسو/ نشر دار العودة بيروت/ ١٩٧٩م.



٢٠ - الأعمال الشعرية الكاملة: لنزار القباني.

٢١ - الانتفاضة المباركة ومستقبلها: جهاد محمد جهاد - نشر مكتبة الفلاح - الكويت/ عام ١٩٨٨م.

٢٢ - الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين: علي بن بخيت الزهراني/ دار الرسالة/ مكة المكرمة.

٢٣ - الانقلابات العسكرية: محمد أبو عزة/ المنارة في دمشق وبيروت عام/ ١٩٨٨م.

٢٤ - أمل والمخيمات الفلسطينية: عبد الله محمد الغريب/ ط٢ - ١٩٨٨م.

٢٥ - أوراق سرية: سعيد الجزائري - نشر دار الجيل - بيروت/ ١٩٩٠م.

٢٦ - إلياس أبو شبكة: لعبد اللطيف شرارة/ بيروت/ ١٩٦٥م.

«ب»

٢٧ - البداية والنهاية لابن كثير - مكتبة المعارف - بيروت عام/ ١٩٧٨م.

٢٨ - بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة:

محمد الناصر - مكتبة السوادي/ جدة/ ١٤١٦هـ.

٢٩ - بروتوكلات حكماء صهيون: ترجمة محمد خليفة التونسي/ الطبعة الثانية.

٣٠ - بغية الطالب: عبد الله الهرري الحبشي - ط٢ / عام/ ١٩٨٨م.

«ت»

٣١ - تاجر الشنطة الفلسطينية: محمد العباسي - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة/ ١٩٩١م.

٣٢ - تاريخ الأستاذ الإمام: محمد رشيد رضا ـ مطبعة المنار - القاهرة.

٣٣ - تاريخ الدولة العثمانية: علي حسين - المكتب الإسلامي - بيروت ودمشق.

٣٤ - التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية: الغادري وقدري قلعجي ـ نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣٥ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية -عمر فروخ ومصطفى الخالدي، نشر الدار السعودية - جدة - ١٩٨٢م.

٣٦ - تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها: د. محمد جابر الأنصاري/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت/ ١٩٩٨م.

٣٧ - التجربة المرة: د. منيف الرزاز - طبعة بيروت/ ١٩٦٧م.

٣٨ - التحريف المعاصر في الدين: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني - نشر دار القلم بدمشق/ عام ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٩ - تحطمت الطائرات عند الفجر ـ للجاسوس الإسرائيلي باروخ نادل.

٤٠ - تحكيم القوانين الوضعية: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - طبعة الرياض/ ١٤٠٣هـ.

٤١ - التسوية الصعبة: د. عدنان السيد حسين - نشر مركز الدراسات



الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ـ بيروت / ١٩٨٨م.

٤٢ - التشريع وسنّ القوانين في الدول الإسلامية: د. محمد أحمد مفتي، و د. سامي صالح الوكيل - نشر دار النهضة الإسلامية/ ١٤١٣هـ.

٤٣ - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير/ طبعة دار الشعب بالقاهرة، ودار الجيل ـ بيروت/ ١٤٠٨هـ.

٤٤ - تقويم معاهدة السلام مع إسرائيل: نبيل شبيب ـ المركز الإسلامي في آخن عام / ١٩٧٩م.

٤٥ - التوازن العسكري في الشرق الأوسط: ترجمة نبيه الجزائري/ نشر دار الجيل في عمان/ ١٩٨٤م.

٤٦ تهافت القراءة المعاصرة: د. منير محمد طاهر الشواف/ طبعة عام ١٩٩٣م نشر الشواف للنشر والدراسات.

«ث»

٤٧ - ثروت عكاشة ومذكراته في السياسة والثقافة: مطبعة دار الهلال.

٤٨ - ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق: د. يوسف القرضاوي/ نشر دار الشروق بالقاهرة / ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

«ج»

٤٩ - الجامع الفريد: للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وابن تيمية وابن القيم: نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية/ السعودية.

٥٠ - جاهلية القرن العشرين: محمد قطب/ نشر دار الشروق/ ١٤٠٢هـ.





٥١ – جذور البلاء: عبد الله التل/ طبعة بيروت عام/ ١٣٩٠هـ.

٥٢ – الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري/ محمد الناصر/ ط١/ ١٤١٩هـ/ مكتبة الكوثر/ الرياض.

«ح»

٥٣ – حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة: د. جميل عبد الله المصري/ دار أم القرى ـ عمان/ ١٤٠٩هـ.

٥٤ – الحبشي شذوذه وأخطاؤه: للشيخ عبد الرحمن دمشقية/ ط٣/ ١٤١٧هـ.

٥٥ – الحداثة في ميزان الإسلام: عوض محمد القرني/ هجر للطباعة والنشر عام/ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٥٦ – الحرب السرية في الشرق الأوسط: أندرو راثمل/ ترجمة محمد نجار/ نشر الأهلية للنشر والتوزيع: عمان/ ١٩٩٧م.

٥٧ – الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام: منير محمد نجيب – نشر: مكتبة المنار – الأردن / ط٢/ ١٤٠٣هـ.

٥٨ – حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني/ د. محمد عبد اللطيف البحراوي – نشر دار التراث – القاهرة/ ط١/ ١٩٧٨م.

٥٩ – حركة الفتح الإسلامي: د. شكري فيصل – دار العلم للملايين – بيروت/ ١٩٨٢م.

٦٠ – حزب البعث: د. سامي الجندي/ طبعة بيروت عام/ ١٩٦٩م.

٦١ - حزب البعث (تاريخه وعقائده) : سعيد بن ناصر الغامدي / نشر : دار الوطن ـ الرياض / ١٤١١هـ .

٦٢ - الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا : د . يوسف القرضاوي نشر مؤسسة الرسالة / ط ١٥ / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٦٣ - حماس الجذور التاريخية والميثاق : د . عبد الله عزام / مكتب خدمات المجاهدين / ١٩٨٩م .

٦٤ - حواراتي مع السادات : أحمد بهاء الدين - نشر دار الهلال .

٦٥ - الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام : محمد الناصر وخولة درويش دار عالم الكتب في الرياض / ١٤١٧هـ .

« د »

٦٦ - دراسات في النفس الإنسانية : محمد قطب / دار الشروق / ١٤٠٧هـ .

٦٧- دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي : حسن مروة .

٦٨ - الدكتاتورية محنة الإسلام والعالم : محمد عبد الغني حجازي / الزهراء للإعلام العربي / القاهرة - ١٩٨٨م .

٦٩ - دور الماركسية في الاشتراكية العربية : د . عمر حليق . نشر دار الكتاب الجديد / عام / ١٩٦٥م .

٧٠ - ديوان الزيتون : د . صالح آدم بيلو / مطبعة مخيمر بالقاهرة عام / ١٩٦٢م .

٧١ - ديوان سميح القاسم - بيروت ـ دار العودة / ١٩٧٣م .



٧٢ – ديوان فدوى طوقان – بيروت – دار العودة/ ١٩٨٤م.

٧٣ – ديوان مديح الظل العالي: محمد درويش/ دار العودة ـ بيروت/ ١٩٨٤م.

«ذ»

٧٤ – ذاكرة ملك: للملك الحسن الثاني، الشركة السعودية للأبحاث والنشر.

٧٥ – ذكريات الشيخ علي الطنطاوي – الطبعة الثانية – دار المنارة للنشر – جدة/ ١٤٠٩هـ.

«ر»

٧٦ – رائد الشعر الحديث: د. محمد عبد المنعم خفاجي – المطبعة المنيرية بالأزهر – القاهرة/ عام ١٣٧٢هـ – ١٩٥٣م.

٧٧ – الرد على عبد الله الحبشي: عبد الله الشامي – دار الاطلاع.

«س»

٧٨ – سد باب الاجتهاد وما ترتب عليه: عبد الكريم الخطيب – الطبعة الأولى/ دار الأصالة/ ١٤٠٥هـ.

٧٩ – سقوط الجولان: خليل مصطفى بريّز – طبعة مصر/ ١٩٨٠م.

٨٠ – السنّة: تحقيق، د. محمد سعيد القحطاني – دار ابن القيم بالدمام/ ١٤٠٦هـ.

٨١ – السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، الطبعة





الثالثة/ المكتب الإسلامي - بيروت/ ١٤٠٢هـ.

٨٢ - السلام السري من عبد الناصر إلى عرفات: علي منير/ دار الحرية - القاهرة عام/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٨٣ - سلسلة كتب فلسطينية (٣٢): غازي خورشيد/ مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت/ ١٩٧١م.

٨٤ - سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة/ ١٤٠٥هـ.

٨٥ - السيف البتار في نحر الشيطان نزار: ممدوح بن علي السهلي الحربي/ نشر دار المآثر: المدينة المنورة.

«ش»

٨٦ - شرح صحيح مسلم: للإمام النووي - نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية بالسعودية.

٨٧ - الشرق الإسلامي في العصر الحديث: د. حسين مؤنس/ مطبعة حجازي/ القاهرة/ ١٩٣٨م.

٨٨ - الشرق الأوسط الحديث: ترجمة أسعد صقر/ دمشق - دار طلاس/ ١٩٩٦م.

٨٩ - الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د. عمر سليمان الأشقر/ نشر دار النفائس ومكتبة الفلاح - ط٣/ ١٤١٢هـ.

٩٠ - الشعوبية الجديدة: محمد مصطفى رمضان.

٩١ – الشيوعية وليدة الصهيونية : أحمد عبد الغفور عطار / المكتبة العصرية في صيدا وبيروت – عام ١٣٩٤هـ .

«ص»

٩٢ – صحيح الجامع الصغير : محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي بيروت ودمشق / ١٤٠٦هـ .

٩٣ – الصحوة الإسلامية لأنور الجندي / دار الاعتصام بالقاهرة .

٩٤ – صدمة الحداثة لأدونيس طبعة دار العودة / بيروت / ١٩٨٣م .

٩٥ – الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : أبو الحسن الندوي / ط٥ دار الأرقم بالكويت / ١٤٠٥هـ .

٩٦ – صراع مع الملاحدة حتى العظم : عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني / دار القلم – دمشق وبيروت / عام / ١٩٨٠م .

٩٧– الصراع العربي الإسرائلي : محمد عبد الغني النواوي / ط١ / ١٤٠٣هـ .

٩٨ – الصراع على السلطة في سوريا : د . نيقولاوس فان دام / ط٢ / ١٩٩٥م .

٩٩ – الصوفية : محمد العبدة وطارق عبد الحليم / دار الأرقم – الكويت .

١٠٠ – صور وطرائف من تاريخ دمشق / هاني الخير / مؤسسة النوري للطباعة والنشر – دمشق .

«ظ»

١٠١ – ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي : د . سفر الحوالي ، رسالة دكتوراه



من جامعة أم القرى عام/ ١٤٠٥هـ.

١٠٢- ظاهرة التكفير: الأمين الحاج محمد أحمد - مكتبة دار المطبوعات الحديثة/ جدة/ ١٤١٢هـ.

«ع»

١٠٣ - عائد من الجحيم: أنطوان دومازة. طبعة عام ١٩٧٢م.

١٠٤ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار: الشيخ عبد الرحمن الجبرتي/ نشر دار الفارس ـ بيروت.

١٠٥ - العروبة أولاً: ساطع الحصري/ ط٢/ بيروت/ ١٩٥٥م.

١٠٦ - العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد الناصر ـ مكتبة الكوثر في الرياض/ عام ١٤١٧هـ.

١٠٧ - العلمانية (نشأتها وتطورها وآثارها): د. سفر الحوالي/ ط١/ جامعة أم القرى/ ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ.

١٠٨ - العلمانيون والإسلام: محمد قطب / طبعة دار الوطن عام/ ١٤١٤هـ.

١٠٩ - عوارف المعارف: عبد القادر السهروردي - طبعة دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٦٦م.

«غ»

١١٠ - الغارة على العالم الإسلامي: ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، نشر الدار السعودية/ جدة.

١١١ – الغرب والشرق الأوسط: برنارد لويس – تعريب الدكتور نبيل صبحي.

١١٢– غزة أريحا سلام أمريكي: إدوارد سعيد، دار المستقبل العربي/ بيروت/ ١٩٩٥م.

١١٣ – الغزل في الشعر العربي الحديث: سعيد دعيبس – طبعة بنغازي – ليبيا/ ١٩٧١م.

١١٤ – غيث المواهب العلية، للنفزي الرندي/ دار الكتب الحديثة بالقاهرة/ ١٩٧٠م.

«ف»

١١٥ – الفتاوى: لابن تيمية/ جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – الرباط/ المغرب.

١١٦ – فتاوى اللجنة الدائة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش – طبع دار أولي النهى.

١١٧ – فتاوى عن الشيوعية: د. عبد الحليم محمود/ طبعة دار المعارف بمصر/ ط٢.

١١٨ – الفجر العربي: د. ك كارنجيا / ط١ بيروت، المكتبة الأهلية/ ١٩٥٩م.

١١٩ – الفرق بين الفرق: للبغدادي/ القاهرة/ مكتبة محمد علي صبيح.

١٢٠ – الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البهي/ ط٩ مكتبة وهبة بمصر/ ١٩٨١م.

١٢١ – الفكر السياسي المعاصر في سوريا: د. جورج جبور، المنارة، بيروت



ودمشق ١٩٩٣م.

١٢٢ - الفكر العربي في عصر النهضة: ألبرت حوراني/ دار النهار ببيروت ترجمة: كريم عزقول.

١٢٣ - في ظلال القرآن: سيد قطب - دار الشروق.

«ك»

١٢٤ - الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة -: المهندس محمد شحرور/ نشر مؤسسة سينا للنشر/ بالقاهرة - ومؤسسة الأهالي في دمشق.

١٢٥ - كسرة خبز: د. سامي الجندي/ ط٢/ بيروت، دار النهار للنشر.

١٢٦ - الكفاية للخطيب البغدادي: دار الكتاب العربي.

«ل»

١٢٧ - لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة: محمد قطب/ دار الوطن بالرياض/ ١٤١٣هـ.

١٢٨- لعبة الأمم: ما يلز كوبلاند. تعريب : مروان خيّر/ طبعة بيروت عام/ ١٩٧٠م.

«م»

١٢٩ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي/ طبعة دار القلم -الكويت عام/ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٣٠ - المجتمع الإسلامي المعاصر: محمد المبارك/ ط١/ دار الفكر - بيروت/



١٩٧١م.

١٣١ - مجموع فتاوى ابن باز - جمع الشويعر.

١٣٢ - مجموعة الرسائل المنيرية: طبعة دار إحياء التراث العربي.

١٣٣ - مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب/ دار الشروق - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٣٤ - مذكرات السلطان عبد الحميد: ترجمة وتعليق محمد حرب عبد الحميد/ نشر دار الوثائق - الكويت.

١٣٥ - المرأة بين الجاهلية والإسلام: محمد الناصر وخولة درويش/ نشر دار الرسالة بمكة المكرمة/ ١٤١٣هـ.

١٣٦ - المسلمون تحت الحكم الشيوعي: محمد سامي عاشور/ مطابع دار القلم/ القاهرة.

١٣٧ - المسلمون في المعسكر الشيوعي: د. علي المنتصر الكتاني/ نشر رابطة العالم الإسلامي/ مكة المكرمة/ ١٩٩٣م.

١٣٨ - مشكلات الشرق الأوسط: إبراهيم علوان/ المكتبة العصرية - صيدا وبيروت/ ١٩٧٠م.

١٣٩ - مع القومية العربية: الحكم دروزة وحامد الجبوري.

١٤٠ - مفاهيم ينبغي أن تصحح: محمد قطب/ دار الشروق - القاهرة/ ط١/ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٤١ - مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري/ مكتبة النهضة المصرية/



١٤٠٠هـ.

١٤٢ – مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: د. عبد الباسط بدر/ دار المنارة للنشر – جدة.

١٤٣ – المؤامرة الكبرى ومعركة المصير: د، سعد جمعة/ ط٣.

١٤٤ – المؤامرة الكبرى على بلاد الشام/ ج١/ محمد فاروق الخالدي/ ط١/ دار الراوي للنشر/ عمان/ ١٤٢١هـ.

١٤٥ – الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي/ ط٢/ الرياض.

١٤٦ – موسوعة أهل السنة: عبد الرحمن دمشقية/ ط١ – مكتبة الشقيري بالرياض/ ١٤١٨هـ.

١٤٧ – المواجهة بين الإسلام والعلمانية: محمد صلاح الصاوي/ نشر الآفاق الدولية للإعلام/ ١٤١٣هـ.

«ن»

١٤٨ – النثر المهجري: د. عبد الكريم الأشتر/ ط٣/ ١٩٧٠م – دار مكتبة الفكر – طرابلس الغرب.

١٤٩ – النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل/ دار البينة للنشر والتوزيع عام/ ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

١٥٠ – نضال البعث: ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث.

١٥١ – النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ دار يعرب للدراسات والنشر



والتوزيع – دمشق/ ١٩٩٦م.

١٥٢ – نكبة الأمة العربية بسقوط الدولة العثمانية/ محمد الخير عبد القادر – مكتبة وهبة / القاهرة / ١٤٠٥هـ.

١٥٣ – نواقض الإيمان: د. عبد العزيز العبد اللطيف – دار الوطن – الطبعة الأولى.

«هـ»

١٥٤ – الهلال الخصيب: د. محمود حسن منسي – جامعة الأزهر/ ١٤١٦هـ.

«و»

١٥٥ – واقعنا المعاصر: محمد قطب/ مؤسسة المدينة للصحافة – جدة/ ١٤٠٧هـ.

١٥٦ – الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد: د. أحمد بسام ساعي – دار المنارة للنشر – جدة/ ١٩٨٥م.

١٥٧ – الولاء والبراء: د. محمد بن سعيد القحطاني/ دار طيبة – الرياض – ط٢/ ١٤٠٤هـ.

«ي»

١٥٨ – ياسر عرفات من التوريط إلى التفريط: غازي حسين/ المنارة في دمشق وبيروت/ / ١٩٩٦م.

١٥٩ – يوميات يمانية في الأدب والفن: د. عبد العزيز المقالح. طبعة دار العودة

– بيروت .

١٦٠ – الصحف والمجلات :

– الحياة – المسلمون ـ الشرق الأوسط : الصادرة في لندن .

– البعث – صحيفة الجماهير – الصادرة في دمشق .

– صحيفة البلاد – والندوة – والوطن : الصادرة في السعودية .

المجلات :

– مجلة البيان ـ والعالم – والمجلة : لندن .

– مجلة الحوادث والشهاب ـ منار الهدى : بيروت . .

– جيش الشعب : دمشق، والهلال في القاهرة، والمجتمع في الكويت – وهنالك مجلات : فلسطيننا والطليعة والموقف العربي .

● إضافة إلى عدة مواقع في الأنترنت، مثبتة في ثنايا البحث .





فهرس الموضوعات

الباب الثاني
الشيوعية في المنطقة العربية
١٠٣ - ١٣٢

الفصل الثاني:



الباب الثالث

الحركات القومية في النصف الثاني من القرن العشرين

١٣٣ - ٢٠٨

الفصل الثاني:



الباب الرابع

الحصاد المرّ للحلول المستوردة خلال نصف قرن

٢٠٩ - ٣٠٢

الفصل الأول:

الفصل الثاني:

الباب الخامس

أدب الردة والتغريب

